



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

ثالث
الاسلام

الجزء الرابع

بومدين

مكتبة جامعة الكويت ودار المعلمين الكويتية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تاريخ عصر الغيبة المجلد 4

كاتب:

منذر حكيم

نشرت في الطباعة:

المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، معهد المخطوطات العربية

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
17	تاريخ عصر الغيبة المجلد 4
17	اشارة
18	اشارة
22	كلمة المنظمة
24	الفهرست
34	الدرس 1: المهديّة في التاريخ الإسلامي و الإنساني
34	قضية المصلح العالمي إنسانية قبل أن تكون إسلامية
35	دور الدين في طرح قضية المصلح العالمي
36	آثار الإيمان بالمهدي المنتظر
37	القضية المهديّة إسلامية قبل أن تكون شيعة
38	طوائف أحاديثها
41	تمذهب القضية المهديّة
42	الخلاصة
44	الأسئلة
45	الدرس 2: الإمام المهدي (عليه السّلام) في ظلّ أبيه (عليه السّلام) (1)
45	الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) والظروف الحرجة
49	أمّ الإمام المهدي (عليه السّلام)
50	ميلاد الإمام المهدي (عليه السّلام) والظروف المحيطة به
53	الخلاصة
54	الأسئلة
55	الدرس 3: الإمام المهدي (عليه السّلام) في ظلّ أبيه (عليه السّلام) (2)
55	الأخبار الدالّة علي إخفاء ولادة الإمام (عليه السّلام)

56	علّة إخفاء ولادته (عليه السّلام)
59	الخلاصة
59	الأسئلة
60	الدرس 4: الإمام المهدي (عليه السّلام) في ظلّ أبيه (عليه السّلام) (3)
60	دور الإمام العسكري (عليه السّلام) في الإعلان عن الولادة
65	عرض الإمام العسكري (عليه السّلام) لولده علي شيعته
69	الخلاصة
70	الأسئلة
71	الدرس 5: (عليه السّلام) عصر الإمام المهدي
71	اغتيال الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) واضطراب السلطة
72	تجهيز الإمام العسكري (عليه السّلام) وتشيعه
74	كسب دار الإمام العسكري (عليه السّلام)
76	الخلاصة
77	الأسئلة
78	الدرس 6: إمام المهدي (عليه السّلام) يتسلّم زمام الأمر
78	عمر الإمام المهدي (عليه السّلام) حين تسلّمه مهامّ الإمامة
78	بدء الغيبة الصغرى
80	الملاحم العامة لعصر الغيبة الصغرى
84	الثورات العلوية
86	الخلاصة
87	الأسئلة
88	الدرس 7: الإمام المهدي (عليه السّلام) و التصدّي لمهامّ الإمامة
88	وفد القمّيين
90	جعفر بن الإمام علي الهادي (عليه السّلام)
91	موقف جعفر من الإمام المهدي (عليه السّلام) وإمامته

92	لماذا ادّعي جعفر الإمامة؟
93	لماذا فشل جعفر؟
93	موقف الإمام المهدي (عليه السلام) من جعفر
97	الخلاصة
98	الأسئلة
99	الدرس 8: تمهيدات الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) للغيبة الصغرى
99	إشارة
101	علل الغيبة الصغرى
104	الخلاصة
104	الأسئلة
105	الدرس 9: الغيبة الصغرى والارتباط بالإمام المهدي (عليه السلام)
105	إشارة
105	السفير الأول
108	السفير الثاني
110	السفير الثالث
113	السفير الرابع
115	الخلاصة
116	الأسئلة
117	الدرس 10: لسفارة: الخصائص والمضمون
117	الخصائص العامة والمضمون الاجتماعي للسفارة
117	إشارة
119	أ- في معني التوقيع
119	ب- في احتياج التوقيع إلي سؤال
119	ج- إن التوقيع كما يعتبر عملاً للإمام (عليه السلام)
119	د- في مدة خروج التوقيع

125	المهام الأساسية للسفارة
126	الخلاصة
127	الأسئلة
128	الدرس 11: السفارات المزورة
128	إدعاء السفارة عن الإمام (عليه السلام)
128	مناشئ التزوير
129	التسلسل التاريخي للتزوير
131	الإمام المهدي (عليه السلام) وموقفه من مدعي السفارة
131	إشارة
131	أحدهما
131	ثانيها
134	الخلاصة
135	الأسئلة
136	الدرس 12 : تفاصيل أعمال السفراء (1)
136	إشارة
136	النقطة الأولى
138	النقطة الثانية
140	النقطة الثالثة
141	النقطة الرابعة
145	الخلاصة
145	الأسئلة
146	الدرس 13: تفاصيل أعمال السفراء (2)
146	النقطة الخامسة
147	النقطة السادسة
149	حياة الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى

149	1. صفته
150	2. مكانه و تنقلاته
153	3. عمره الشريف
155	الخلاصة
155	الأسئلة
157	الدرس 14: الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (1)
157	أهم نشاطات الإمام (عليه السلام) العامة
157	أولاً: وجوده وإمامته
157	ثانياً: صيانة تراث آبائه (عليهم السلام)
158	ثالثاً: النيابة الخاصة
159	رابعاً: الكيان الشيعي
160	خامساً: لقاءه بالمؤمنين
162	الخلاصة
162	الأسئلة
163	الدرس 15 : الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (2)
163	الإمام (عليه السلام) والسلطة العباسية
169	الخلاصة
170	الأسئلة
171	الدرس 16: من تراث الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (1)
171	من التراث العقائدي
171	1. من كلامه في التوحيد ونبذ الغلو
171	2. في مقام الأنمة (عليهم السلام)
172	3. في علّة الخلق وبعث الأنبياء والأوصياء
172	4. في دحض إدعاء جعفر الكذاب
173	5. في انتظام نظام الإمامة وعدم خلوّ الأرض من الحجّة

175	6. الحقيّة والمفوضّة
175	7. الغيب لله
177	8. ارتداد الشلمغاني
177	9- الغيبة والقيادة والمرجعية
179	10-خلف العسكري
181	الخلاصة
182	الأسئلة
183	الدرس 17، 18 : من تراث الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (2)
183	مسائل الحميري - رقم 1
186	مسائل الحميري - رقم 2
190	مسائل الحميري - رقم 3
194	مسائل الحميري - رقم 4
205	مسائل الأسدى
207	الخلاصة
207	الأسئلة
208	الدرس 19: من تراث الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (3)
208	من أدب الدعاء والزيارة
208	1. دعاء التوحيد
209	2. دعاء القضاء الحوائج
210	3. من دعائه (عليه السلام) للمؤمنين عامّة
210	4. من دعائه (عليه السلام) في قنوته
211	5. حجابيه (عليه السلام)
212	6. ومن صلواته علي النبي (صلّي الله عليه وآله وسلّم) وآله
214	7. الزيارة المعروفة بزيارة آل ياسين
217	الخلاصة

217 الأسئلة
218 الدرس 20 : من تراث الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (4)
218 الأجوبة الموجزة الصادرة عن الإمام(عليه السلام)
218 اشارة
218 1. ستلد ابناً
218 2. نعي إلي نفسي
219 3. ولادة الصدوق
219 4. مات الولد
219 5. ثوبان للكفن
220 6. يبقي
220 7. تحوّل قرمطياً
220 8. حصانة الوكلاء
221 9. مقام أبيك
222 10. جواب الثلاثة
222 11. إلي أحمد بن الحسن
223 12. إماماً لك
223 13. إنك تحتاج إليها
223 14. لك فيها عشرون درهماً
224 15. أخرج حقّ لابن عمّك
224 16. كذب الوقّاتون
225 17. إن عرفوا المكان
226 الخلاصة
226 الأسئلة
227 الدرس 21 : بدء الغيبة الكبرى
227 اشارة

228	الإعلان عن بدء الغيبة الكبرى
230	علل الغيبة الكبرى
234	الخلاصة
234	الأسئلة
235	الدرس 22 : خصائص الغيبة الكبرى
235	إشارة
236	سيرة الإمام المهدي(عليه السلام) في عصر الغيبة الكبرى
236	إشارة
237	1. أطروحة خفاء الشخص
238	2. الأطروحة الثانية: أطروحة خفاء العنوان
241	مهام الإمام المهدي(عليه السلام) في الغيبة الكبرى
244	الخلاصة
244	الأسئلة
245	الدرس 23: الإنتفاع بالإمام (عليه السلام) في الغيبة الكبرى (1)
252	الدرس 24: الإنتفاع بالإمام (عليه السلام) في الغيبة الكبرى (2)
252	إشارة
255	موطن الإمام (عليه السلام) في الغيبة الكبرى
255	زواج الإمام المهدي(عليه السلام) وأولاده
258	الخلاصة
258	الأسئلة
259	الدرس 25: تكاليف الأمة الإسلامية في عصر الغيبة الكبرى (1)
259	1. الإيمان بالإمام المهدي المنتظر(عليه السلام)
261	2. الانتظار
261	إشارة
262	مستويات الانتظار

262	اشارة
262	1. المستوي العقائدي
262	2. المستوي النفسي للانتظار
263	3. المستوي السلوكي للانتظار
263	اشارة
263	المستوي الأول
264	المستوي الثاني
264	المستوي الثالث
264	المستوي الرابع
265	3. أهمية العمل الإسلامي ما قبل الظهور
268	الدرس 26 : تكاليف الأمة الإسلامية في عصر الغيبة الكبرى (2)
268	مدلول الانتظار
268	مراحل الانتظار
268	المرحلة الأولى
269	المرحلة الثانية
271	المرحلة الثالثة
271	المرحلة الرابعة
275	الخلاصة
276	الأسئلة
277	الدرس 27 : الحكم الإسلامي في عصر الغيبة الكبرى
277	اشارة
279	ضرورة الحكم الإسلامي في زمن الغيبة
280	الكيان الشيعي في عصر الغيبة الكبرى
280	1. الشيعة في القرن الرابع للهجرة
281	2. الشيعة في القرن الخامس وحتّى القرن التاسع الهجري

283	3. الشيعة في القرن العاشر والحادي عشر للهجرة
283	4. الشيعة في القرن الثاني عشر وحتى القرن الرابع عشر للهجرة
284	الخلاصة
284	الأسئلة
285	الدرس 28 رؤية الإمام (عليه السلام) في عصر الغيبة الكبرى (1)
285	1. الأحاديث الدالة على الرؤية
288	2. دليل نفي الرؤية وتفسيره
290	3. فوائد وآثار الرؤية
292	الخلاصة
293	الأسئلة
294	الدرس 29 : رؤية الإمام (عليه السلام) في عصر الغيبة الكبرى (2)
294	نماذج من الرؤية
306	الخلاصة
306	الأسئلة
307	الدرس 30 : تراث الإمام (عليه السلام) في عصر الغيبة الكبرى
307	رسالته (عليه السلام) إلى الشيخ المفيد
309	رسالة ثانية للشيخ المفيد
312	دعاء الفرج
313	الخلاصة
313	الأسئلة
314	الدرس 31 : شرائط الظهور وعلاماته (1)
314	الظروف الموضوعية لانتهاؤ الغيبة الكبرى
314	إشارة
314	الجهة الأولى
317	الجهة الثانية

321	الجهة الثالثة
323	الخلاصة
324	الأسئلة
325	الدرس 32 علامات الظهور (2)
325	إشارة
329	مناقشة علامات الظهور
331	الخلاصة
332	الدرس 33: علامات الظهور (3)
332	في الحوادث التي دلنا التاريخ على حدوثها
334	التبؤ بثورة صاحب الزنج
334	إخبار النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) بوقوع الحروب الصليبية
336	فتح القسطنطينية
336	علامات أخرى متحققة
338	الخلاصة
339	الأسئلة
340	الدرس 34: الدولة الإسلامية في عصر الظهور
340	إشارة
341	عالمية النفوذ السياسي
341	إشارة
343	1. عالمية العقيدة الإسلامية (عقيدة التوحيد) وعمومها للمجموعة البشرية في العالم أجمع وتطهير الأرض من كل عقائد الشرك والكفر والضلال والنفاق.
343	2. تنعم الأمة الإسلامية في زمنه (عليه السلام)
344	3. انتشار الثقافة والعلم
344	4. وحدة سيرة الإمام والنبي
345	5. أصحاب الإمام المهدي (عليه السلام)
347	الخلاصة

348 الأسئلة

349 تعريف مركز

سرشناسه: حکیم، منذر

عنوان و نام پدیدآور: تاریخ عصر الغیبه المجلد 4 / منذر الحکیم

مشخصات نشر: قم: المنظمه العالمیه للحوزات و المدارس الاسلامیه، 14 ق. = - 13.

شابک: 964-5913-08-x ؛ 964-5913-08-x

یادداشت: عربی

یادداشت: فهرستتویسی براساس جلد چهارم: 1420 ق. = 1378

یادداشت: پشت جلد به انگلیسی: Islamic history.

یادداشت: ج. 1420 : 3 ق. = 1378 (دوره): ISBN 964-7271-03-41

یادداشت: (ج. 2): ISBN 964-7271-07-6

یادداشت: ج. 3 (1420 ق. = 1378)؛ (دوره): ISBN 964-7271-03-4؛ (ج. 6): ISBN 964-7271-02-6

یادداشت: کتابنامه به صورت زیر نویس

مندرجات: .- -- ج. 4. تاریخ عصر الغیبه

موضوع: اسلام -- تاریخ

موضوع: اسلام -- سرگذشتنامه

موضوع: ائمه اثنا عشر -- سرگذشتنامه

شناسه افزوده: سازمان حوزه ها و مدارس علمیه خارج از کشور

رده بندی کنگره: BP14/ح8ت2 1300 ي

رده بندی دیویی: 297/912

شماره کتابشناسی ملی: م 6341-79

ص: 1

اشارة

تاريخ

عصر الغيبه

منذر الحكيم

ص: 3

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 4

لقد أرسى الإسلام العظيم أسس ثورته الثقافية العملاقة علي قواعد علمية تضمّنها القرآن الكريم وطبقها الرسول العظيم وأهل بيته الميامين، وذلك من خلال تربية علماء صلحاء يفقهون الشريعة ويعملون بها ولا يألون جهداً في تبليغها وتعليمها من برونه مستعداً لحمل هذا العبء الرسالي العظيم

وبالرغم من كل الضغوط وأنواع الاضطهاد الذي مارسه الحكام الطغاة والمستعمرون في حق الحوزات العلمية لقلعها أو تحجيمها أو حرفها عن مسيرتها الربانية الحقّة، استطاعت أن تصمد أمام كل هذه الأعاصير الصفراء متّجهة نحو الرقي والكمال مستجيبة لحاجات العصور علي مدي الأجيال، و مجيبة علي الأسئلة والشبهات المثارة من قبل الأعداء أو الأصدقاء. كل ذلك لما كانت تمتلكه من مرونة و انفتاح وقدرة فائقة علي النمو والإبداع.

والخصائص التي تمتاز بها الحوزات العلمية المتطورة تتجلي اليوم في ما يلي:

1. اهتمام الحوزات العلمية بجميع روافد المعرفة والثقافة الإسلامية، و التحقيق المستمر و العمل العلمي الدؤوب في مختلف فروع المعرفة الإسلامية.
2. الإبداع والتجديد المستمر في أساليب التدريس و تدوين الكتب الدراسية التي تتطلبها حاجات العصر بنحو يحقق التطور العلمي باستمرار و يّمي قوة الإبداع إلي جانب تعميق المفاهيم و حفظ الأصالة و الارتباط التام بالتراث الإسلامي العريق.
3. الانفتاح علي معضلات العصر وقضاياها و التصدي لكل الشبهات المستحدثة و

الإجابة علي الأسئلة التي تتولّد باستمرار بنحو يوفّر للحوزات العلمية عنصر مسايرة الزمن أو التقدّم عليه علي أسس قرآنية علمية و مبان عقلية قويمة.

ومن هنا تبنت المنظّمة العالمية للحوزات و المدارس الإسلامية المنهج العلمي المتطوّر في نظامها الدراسي و أساليب التدريس و تدوين الكتب الدراسية في مختلف فروع المعرفة الإسلامية مستفيدة من الجهود العلمية الجبّارة للعلماء و المحققين و المؤلّفين الذين انتدبتهم لتحقيق هذه الأهداف السامية.

و قد روعيت في الكتب التي تبنت المنظمة تأليفها أو تدوينها ما يلي:

1. مراعاة الأهداف المتوخّاة في كل درسٍ من خلال الإلتزام بالمنهج المقرر لكل مادة دراسية.

2. مراعاة المستوي العلمي للطلبة في كل مرحلة من المراحل الدراسية.

3. مراعاة الانسجام فيما بين الكتب الدراسية لكل مرحلة دراسية مع الاجتناب عن ملل الإطناب و خلل التكرار.

4. مراعاة أصول التدوين الدراسي.

إنّ هذا الكتاب تاريخ الإسلام (4) يشكّل مفردة من هذه المنظومة الدراسيّة التي قرّرتها المنظمة للمرحلة العامة. و من هنا نتقدّم بالشكر لسماحة حجة الإسلام والمسلمين السيّد منذر الحكيم الذي تصدّي لتأليف هذا الكتاب ولجميع من ساهم في إخراجه سائلين من الباري لهم ولجميع المؤمنين التوفيق.

لجنة التأريخ و حدة تأليف الكتب الدراسية

1420 هـ. ق

ص: 6

المهدويّة في التاريخ الإسلامي والإنساني....13

قضيّة المصلح العالمي قضيّة إنسانية.....13

القضيّة المهدويّة قضيّة إسلاميّة.....16

تمذهب القضيّة المهدوية.....20

الدرس (2)

الإمام المهدي(عليه السّلام) في ظلّ أبيه (عليه السّلام)(1).24

الإمام العسكري(عليه السّلام) والظروف الحرجة...24

أمّ الإمام المهدي (عليه السّلام).....28

ميلاد الإمام المهدي (عليه السّلام) والظروف المحيطة به .. 29

الدرس (3)

الإمام المهدي(عليه السّلام) في ظلّ أبيه(عليه السّلام) (2).34

الأخبار الدالة علي إخفاء ولادته.....34

علّة إخفاء الولادة.....35

الدرس (4)

الإمام المهدي (عليه السّلام) في ظلّ أبيه(عليه السّلام) (3)..39 دور الإمام العسكري (عليه السّلام) في الإعلان عن الولادة...39

عرض الإمام العسكري(عليه السّلام) علي ولده علي شيعته .44

ص:7

الدرس (5)

عصر الإمام المهدي (عليه السّلام) ... 50

اغتيال الإمام العسكري (عليه السّلام) واضطراب السلطة 50 تجهيز الإمام العسكري (عليه السّلام) وتشيعه 51

كسب دار الإمام العسكري (عليه السّلام) 53

الدرس (6)

الإمام المهدي (عليه السّلام) يتسلم زمام الأمر 57

عمره حين تسلّمه مهامّ الإمامة 57

بدء الغيبة الصغرى 57

الملاحم العامة لعصر الغيبة الصغرى 59

الثورات العلوية 63

الدرس (7)

الإمام المهدي (عليه السّلام) والتصديّ لمهامّ الإمامة ... 67

وفد القميين 67

جعفر بن الإمام الهادي (عليه السّلام) ... 69

موقف جعفر من الإمام المهدي (عليه السّلام) 70

لماذا ادّعي جعفر الإمامة؟ 71

لماذا فشل تخطيط جعفر؟ 72

موقف الإمام المهدي (عليه السّلام) من جعفر 72

الدرس (8)

تمهيدات الرسول (صليّ الله عليه وآله وسلّم) والأئمة (عليه السّلام) للغيبة الصغرى 78

علل الغيبة الصغرى 80

الدرس (9)

الغيبة الصغرى والارتباط بالإمام المهدي (عليه السلام).....84

السفير الأول84

السفير الثاني87

السفير الثالث89

السفير الرابع92

الدرس (10)

السفارة: الخصائص والمضمون96

الخصائص العامة والمضمون الاجتماعي للسفارة96

المهام الأساسية للسفارة104

الدرس (11)

السفارات المزوّرة107

ادّعاء السفارة عن الإمام (عليه السلام)107

مناشئ التزوير107

التسلسل التاريخي للتزوير108

موقف الإمام المهدي (عليه السلام) من مدّعي السفارة110

الدرس (12)

تفاصيل أعمال السفراء (1)115

الدرس (13)

تفاصيل أعمال السفراء (2)125

حياة الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (1).....128

الدرس (14)

الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (2) 136....

أهم نشاطاته العامة 136.....

الدرس (15)

الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (3) 142.....

الإمام (عليه السلام) والسلطة العباسية 142.....

الدرس (16)

من تراث الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (1) 150

الدرسان (17 و 18)

من تراث الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (2) 162

الدرس (19)

من تراث الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (3) 187

الدرس (20)

من تراث الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (4) 197

الدرس (21)

بدء الغيبة الكبرى 206.....

الإعلان عن بدء الغيبة الكبرى 207.....

علل الغيبة الكبرى 209.....

الدرس (22)

خصائص الغيبة الكبرى 214....

سيرة الإمام المهدي (عليه السلام) في عصر الغيبة الكبرى 215..

220..... المهام الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الكبرى

الدرس (23)

224 الإنتفاع بالإمام (عليه السلام) في الغيبة الكبرى (1)

الدرس (24)

231.... الإنتفاع بالإمام (عليه السلام) في الغيبة الكبرى (2)

موطن الإمام في الغيبة الكبرى....234

زواج الإمام وأولاده234

الدرس (25)

238..... تكاليف الأمة الإسلامية في عصر الغيبة الكبرى (1)

1- الإيمان بالإمام المهدي (عليه السلام) المنتظر 238

2 - الانتظار 240

3- أهمية العمل الإسلامي قبل الظهور 244

الدرس (26)

247..... تكاليف الأمة الإسلامية في عصر الغيبة الكبرى (2)

مدلول الانتظار ... 247

مراحل الانتظار 247

الدرس (27)

256..... الحكم الإسلامي في عصر الغيبة الكبرى

الكيان الشيعي في عصر الغيبة الكبرى 259

الدرس (28)

264 ... رؤية الإمام (عليه السلام) في عصر الغيبة الكبرى (1)

الدرس (29)

رؤية الإمام (عليه السلام) في عصر الغيبة الكبرى (2) ... 273

نماذج من الرؤية 273

الدرس (30)

تراث الإمام (عليه السلام) في عصر الغيبة الكبرى ... 286

الدرس (31)

شرائط الظهور وعلاماته (1) 293

الظروف الموضوعية لانتهاء الغيبة الكبرى 293

الفرق بين شرائط الظهور وعلاماته 293

الدرس (32)

علامات الظهور (2) 304

الدرس (33)

علامات الظهور (3) 311

الدرس (34)

الدولة الإسلاميّة في عصر الظهور 319

ص: 12

الدرس 1: المهدوية في التاريخ الإسلامي و الإنساني

فضية المصلح العالمي إنسانية قبل أن تكون إسلامية

1. «ليس المهدي تجسيداً لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان الطموح اتّجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإبهام فطري، أدرك الناس من خلاله - علي الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلي الغيب - أنّ للإنسانية يوماً موعوداً علي الأرض، تتحقّق فيه رسالات السماء بمغزاهما الكبير وهدفها النهائي، و تجد فيه المسيرة المحدودة (المتّعبة) للإنسان علي مرّ التاريخ استقرارها وطمأنينتها، بعد عناءٍ طويل. بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر علي المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتدّ إلي غيرهم أيضاً وانعكس حتّي علي أشدّ الأيدي ولوجيات والاتّجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات، كالمادية الجدلية التي فسّرت التاريخ علي أساس التناقضات، و آمنت بيوم موعود، تصفّي فيه كلّ تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام. وهكذا نجد أنّ التجربة النفسية لهذا الشعور التي مارسها الإنسانية علي مرّ الزمن، من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً (انتشاراً)

دور الدين في طرح قضية المصلح العالمي

2. «و حينما يدعم الدين هذا الشعور النفسي العام، ويؤكد أنّ الأرض في نهاية المطاف ستمتلي، قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، يعطي لهذا الشعور قيمته الموضوعية ويحوّله إلى إيمان حاسم بمستقبل المسيرة الإنسانية، وهذا الإيمان ليس مجرد مصدر للسلوة والعزاء فحسب، بل مصدر عطاء وقوة، فهو مصدر عطاء؛ لأن الإيمان بالمهدي إيمان برفض الظلم والجور حتّى وهو يسود الدنيا كلها، وهو مصدر قوة ودفع لا- ينضب؛ لأنه بصيص نور يقاوم اليأس في نفس الإنسان، ويحافظ علي الأمل المشتعل في صدره مهما ادلهمت الخطوب و تعملق الظلم، لأنّ اليوم الموعود، يثبت أنّ بإمكان العدل أن يواجه عالماً مليئاً بالظلم والجور، فيزعزع ما فيه من أركان الظلم، ويقيم بناءه من جديد، وأنّ الظلم مهما تجرّب وامتدّ في أرجاء العالم، وسيطر علي مقدّراته، فهو حالة غير طبيعية، ولا بدّ أن ينهزم. وتلك الهزيمة الكبرى المحتمومة للظلم وهو في قمة مجده، تضع الأمل كبيراً أمام كلّ فرد مظلوم، وكلّ أمة مظلومة في القدرة علي تغيير الميزان وإعادة البناء».

3. «و إذا كانت فكرة المهدي أقدم من الإسلام وأوسع منه، فإنّ معالمها التفصيلية التي حدّدها الإسلام جاءت أكثر إشباعاً لكلّ الطموحات التي انشدت إلي هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الديني، وأغني عطاءً وأقوي إثارةً لأحاسيس المظلومين والمعدّيين علي مرّ التاريخ؛ وذلك لأنّ الإسلام حوّل الفكرة من غيب إلي واقع، و من مستقبل إلي حاضر، ومن التطلع إلي منقذ تتمخّض عنه الدنيا في المستقبل البعيد المجهول، إلي الإيمان بوجود المنقذ فعلاً و تطلّعه مع المتطلّبين إلي اليوم الموعود، واكتمال الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم.

فلم يعدّ المهدي (عليه السّلام) فكرة تتظر ولادتها، ونبوءة تنطلع إلي مصداقها، بل واقعا قائماً نتنظر فاعليته، وإنساناً معيناً يعيش بيننا - بلحمه ودمه - نراه ويرانا، ويعيش مع

آمالنا وآلامنا ويشاركنا أحزاننا وأفراحنا، ويشهد كل ما تزخر به الساحة علي وجه الأرض من عذاب المعدّبين وبؤس البائسين وظلم الظالمين، ويكتوي بكل ذلك من قريب أو بعيد، و ينتظر بلهفة اللحظة التي يتاح له فيها أن يمدّ يده إلي كلّ مظلوم وكلّ محروم، وكلّ بائس، ويقطع دابر الظالمين» . .

«وقد قدّر لهذا القائد المنتظر أن لا يعلن عن نفسه، ولا يكشف للآخرين حياته علي الرغم من أنّه يعيش معهم؛ انتظاراً للحظة الموعودة».

آثار الإيمان بالمهدي المنتظر

4. «و من الواضح أنّ الفكرة بهذه المعالم الإسلامية، تقربّ الهوة الغيبية بين المظلومين - كلّ المظلومين - والمنقذ المنتظر، وتجعل الجسر بينهم وبينه في شعورهم النفسي قصيراً مهما طال الانتظار.

ونحن حينما يراد منا أن نؤمن بفكرة المهدي بوصفها تعبيراً عن إنسان حيّ مُحدّد يعيش فعلاً كما نعيش و يتقرب كما نتقرب، يراد الإيحاء إلينا بأنّ فكرة الرفض المطلق لكل ظلم و جور التي يمثّلها المهديّ، تجسّدت فعلاً في القائد الراض المنتظر، الذي سيظهر وليس في عنقه بيعة لظالم كما في الحديث(1)، وأنّ الإيمان به إيمان بهذا الرفض الحي القائم فعلاً و مواكبة له.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة الحثّ المتواصل علي انتظار الفرج، ومطالبة المؤمنين بالمهدي أن يكونوا بانتظاره. و في ذلك تحقيق لتلك الرابطة الروحية، والصلة الوجدانية بينهم وبين القائد الراض، وكل ما يرمز إليه من قيم، وهي رابطة وصلة ليس بالإمكان إيجادها ما لم يكن المهديّ قد تجسّد فعلاً في إنسان حيّ معاصر.

وهكذا نلاحظ أنّ هذا التجسيد أعطي الفكرة زخماً جديداً، وجعل منها مصدر عطاء وقوة بدرجة أكبر، إضافة إلي ما يجده أي إنسان راض من سلوة وعزاء

ص: 15

و تخفيف لما يقاسيه من آلام الظلم والحرمان، حين يحس أن إمامه وقائده يشاركه هذه الآلام ويتحسس بها فعلاً بحكم كونه إنساناً معاصراً، يعيش معه وليس مجرد فكرة مستقبلية»⁽¹⁾.

القضية المهدوية الإسلامية قبل أن تكون شيعة

«إن كثيراً من قضايانا العقائدية صبغت بطابع مذهبي أو طائفي، بسبب عوامل معينة، طرأت عليها، فجعلتها في إطار ذلك المذهب، أو نطاق تلك الطائفة. مما أفقدها طابعها العام، بصفتها عقيدة إسلامية عامة.

وراحت تتغلغل في تمذهبها نتيجة دفع كثير من الدراسات والبحوث، غير المقارنة أو غير الموضوعية، التي تدور حول القضية علي اعتبار أنها من عقائد مذهب معين، أو طائفة معينة.

و(قضية المهدي المنتظر)، إحدى تلك القضايا التي حوّلتها العوامل الطارئة، إلى قضية خاصة، فجعلتها في إطار مذهب الشيعة وفي نطاق هذه الطائفة من طوائف المسلمين.

«في حين أن دراسة هذه القضية أو بحثها بشيء من الوعي والموضوعية، ينتهي بنا حتماً إلى أنها قضية إسلامية، قبل أن تكون مذهبية، شيعية أو غيرها.

إنّ باحثي موضوع المهدي المنتظر - علي اختلاف مذهبهم - يمتدّون بجذور المسألة إلى أحاديث صادرة عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم). ثبتت صحّة صدورهما، إمّا لأنّها متواترة أو لأنّها أخبار آحاد توفّرت علي شرائط الصحّة.

إنّ الأحاديث في المسألة الواردة عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، قد قال بتواترها غير واحد من العلماء....

ص: 16

1- بحث حول المهدي للشهيد السيد محمد باقر الصدر، ص 7. 12.

وهي - في حدود ما وقفت عليه . علي طوائف ثلاث:

1. القول بتواترها عند المسلمين.

2. القول بتواترها عند أهل السنة.

3. القول بتواترها عند الشيعة(1).

والقول بالتواتر لدي طائفتي المسلمين - في واقعه - قول بالتواتر عند المسلمين جميعاً.

وقال بصحّة صدورها من لم يصرح بتواترها من العلماء، أمثال: أبي الأعلى المودودي. قال: «غير أنّ من الصعب عليّ كلّ حال - القول بأن الروايات لا حقيقة لها أصلاً، فاننا إذا صرفنا النظر عمّا أدخل فيها الناس من تلقاء أنفسهم، فإنّها تحمل حقيقة أساسية، هي القدر المشترك فيها، وهي: أنّ النبي - رضي الله عنّه - أخبر أنه سيظهر في آخر الزمان زعيم عامل بالسنة، يملأ الأرض عدلاً، ويمحو عن وجهها أسباب الظلم والعدوان، ويُعلي فيها كلمة الإسلام، ويعمّ الرفاه في خلق الله»(2).

طوائف أحاديثها

إن الأحاديث في المسألة علي طوائف، هي:

1. ما لم يصرح فيها بذكر المهديّ (عليه السلام).

2. ما صرح فيها بذكر المهديّ (عليه السلام).

وقد حمل العلماء القسم الأول من الأحاديث (وهي التي لم يصرح فيها بذكر المهديّ (عليه السلام) لأنها مطلقة، علي القسم الثاني (وهي التي صرح فيها بذكر المهديّ (عليه السلام) لأنها مقيدة.

ص: 17

1- للوقوف علي الأقوال يقرأ: اسماعيل الصدر، محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص 131 وما بعدها. محمّد أمين زين الدين، مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية، ص 16 وما بعدها. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج 4، ق 3، سيرة الإمام المنتظر (عليه السلام).

2- البيانات. ص 116.

يقول المودودي: «قد ذكرنا في هذا الباب نوعين من الأحاديث: أحاديث ذكر فيها المهديّ بالصراحة، وأحاديث إنما أخبر فيها بظهور خليفة عادل بدون تصريح بالمهديّ (عليه السّلام) .

ولمّا كانت الأحاديث من النوع الثاني تشابه الأحاديث من النوع الأوّل في موضوعها، فقد ذهب المحدّثون إلي أن المراد بالخليفة العادل فيها هو المهديّ»(1).

وتنقسم الطائفة الأخيرة إلي طوائف أيضاً، هي:

أ- ما صرح فيها بأن المهديّ (عليه السّلام) من الأُمّة.

ب من العرب.

ج- . . . المهديّ من كنانة.

د من قریش.

هـ- . . . من بني هاشم.

و من أولاد عبدالمطلب.

وإلي هنا يحمل المطلق منها علي المقيّد، نظراً إلي عدم وجود ما يمنع من ذلك، فتكون النتيجة هي: ما تصرّح به الطائفة الأخيرة (و المهديّ من أولاد عبدالمطلب).

وهي تنقسم إلي طائفتين أيضاً، هما: -

1. ما صرّح فيه بأن المهديّ من أولاد أبي طالب.

2. ما صرّح فيه بأن المهديّ من أولاد العباس.

وهنا نظراً لتكافؤ الاحتمالين وهما: احتمال حمل المطلق المتقدّم (وهو ما تضمّن أنّ المهديّ من أولاد عبد المطلب)، علي القسم الأوّل (وهو ما تضمّن أنّ المهديّ من أولاد أبي طالب)، واحتمال حمله علي القسم الثاني (وهو ما تضمّن أنّ المهديّ من أولاد العباس)، لا يكون تقييده بأحدهما إلّا مع ثبوت المرجّح.

ص: 18

وحيث قد ثبت أنّ الأحاديث التي تضمّنت أنّ المهديّ من أولاد العباس موضوعة (1) تبقى الأحاديث من القسم الأوّل (وهي التي تضمّنت أنّ المهديّ من أولاد أبي طالب) غير معارضة، فيقيّد بها إطلاق ما قبلها، فيحمل عليها فتكون النتيجة: هي أنّ المهدي من أولاد أبي طالب.

والأحاديث المتضمنة أنّ المهديّ من أولاد أبي طالب تنقسم إلي طوائف أيضاً، هي:

1. المهدي(عليه السّلام) من آل محمّد (صليّ الله عليه وآله وسلّم)

2. من العترة (عليهم السّلام).

3. من أهل البيت (عليهم السّلام).

4. من ذوي القربي(عليهم السّلام).

5. من الذريّة.

6. من أولاد علي(عليه السّلام).

7. من أولاد فاطمة(عليها السّلام)

. والأخيرة في هذا السياق - تُقيّد ما قبلها فتحمل عليها.

وهي تنقسم إلي طائفتين هما:

أ- المهدي(عليه السّلام) من أولاد الإمام الحسن(عليه السّلام). ب - المهدي(عليه السّلام) من أولاد الإمام الحسين(عليه السّلام).

وهنا نعود فنقول: نظراً لتكافؤ الاحتمالين(2) (احتمال حمل المطلق علي القسم الأوّل، واحتمال حملة علي القسم الثاني)، لا يمكن حمل المطلق المتقدّم علي أحدهما من غير مرجّح.

ولمّا كانت الأحاديث المتضمنة أنّ المهديّ من أولاد الحسن موضوعة، لما يشابه

ص: 19

1- راجع عبدالهادي الفضلي: في انتظار الإمام، ص 36 - 38.

2- لو قلنا بأن أسنادها وتعدادها متكافئان طبعاً.

العوامل السياسية التي حملت بني العباس علي وضع أحاديث (المهديّ من أولاد العباس)، يحمل المطلق المتقدم علي القسم الثاني، فيقيّد بها ... فتكون النتيجة أنّ المهديّ (عليه السّلام) من أولاد الحسين (عليه السّلام).

ولا أقل من أنّ أحاديث القسم الأوّل لضعفها وقتّها، لا تقوي علي مناهضة أحاديث القسم الثاني لصحّتها وكثرتها.

وتنقسم الطائفة الأخيرة منهما إلي طوائف هي

1. المهديّ من أولاد الإمام الصادق (عليه السّلام).

2. المهديّ من أولاد الإمام الرضا (عليه السّلام).

3. المهديّ من أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام).

وشأن هذه الطوائف الثلاث الأخيرة، في حمل المطلق منها علي المقيّد، شأن ما تقدّمها من طوائف.

وفي النهاية تكون النتيجة الأخيرة هي:

أنّ المهديّ المنتظر (عليه السّلام)، هو: ابن الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام).

وهذا اللون من المحاولة في الدراسة والبحث لإرجاع المسألة إلي واقعها العام، والخروج بها عن الأطر المذهبية الضيقة، يتطلّب منّا الرجوع إلي أصول عامّة في بحث الحديث، تُوفّر العالم الأجواء الكافية للدراسة المقارنة والبحث الموضوعي.

تمذهب القضية المهدويّة

أن العوامل التي ساعدت علي تمذهب القضية المهدويّة علي نوعين:

1. العامل السياسي: ويتمثل في استغلال العباسيين القضية لصالح ملكهم الخاص (1)،

ص: 20

1- راجع: (في انتظار الإمام) لعبدالهادي الفضلي: عوامل الغيبة الصغري.

كما يتمثل في استغلال الحسنين القضية أيضاً، بغية التوصل إلي الحكم(1).

2. العامل الطائفي: ويتمثل في لون من الصراع المذهبي بين الشيعة والسنة، وهو الذي كان يقوم علي أساس غير موضوعي، لأنه يقوم علي الرواسب والنزعات الطائفية، وفي إطار الانفعالات العاطفية، التي وسعت فجوة الخلاف بين الطائفتين، فحوّلت كثيراً من المسائل العامة إلي قضايا خاصة.

الخلاصة

يتضمّن هذا المبحث قضية ذات أهميّة خاصة لكونها قضية عقائدية

إسلامية أولاً، ولأنّ بعض الباحثين والدارسين حاول أن يضيقها بطابع مذهبي لعوامل وأسباب متعددة في طبيعتها قلة الوعي الإسلامي، و عدم الموضوعية في تناولها، لأنّ السنة والشيعة يقولون بتواتر هذه القضية عن الرسول الله (صلّي الله عليه وآله وسلّم)، وإن اختلفوا في تفصيلاتها المتعلقة بالاعتقاد والإيمان بالإمام المهدي (عليه السلام)؟

ثمّ إنّ هذه الأحاديث منها ما يتّصف بالإطلاق والأخري تحمل اسمه من جهة وطائفة من الأحاديث تنسبه إلي العرب أو كنانة أو بني عبدالمطلب أو غير ذلك ثم طائفة أخري تنسبه إلي بني هاشم أو بني العباس أو إلي أولاد أبي طالب ثم طائفة أخري تقول بأنّه من ولد الحسن (عليه السلام) أو من ولد الحسين (عليه السلام) بعد أن جعله إمّا من أمير المؤمنين (عليه السلام) أو من ولد فاطمة (عليها السلام) فهي مع قلّتها موضوعية والأخري لها أرجحية علي سابقاتها لذا يؤخذ بها.

ص: 21

1- يقرأ: السيد اسماعيل الصدر، ص 133.

وإنّ للعوامل السياسية والمذهبية دوراً بارزاً في الوضع لتلك الأحاديث وارجاع نَسَب الإمام المهدي (عليه السّلام) إلي العباس و الحسن أو سواهما.

ص: 22

1. كيف صبغت مسألة الإمام المهدي (عليه السلام) بالصبغة المذهبية؟
2. ما هو مصدر القائلين بقضية الإمام المهدي (عليه السلام) من أصحاب المذاهب الإسلامية؟
3. هل الأحاديث الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأنه متواترة؟ وما هي الأقوال في ذلك؟
4. ما هو المقصود بالخليفة العادل وعلي من تحمل الأحاديث التي لم تصرح باسم الإمام المهدي (عليه السلام)؟ ..
5. ما هي العوامل التي ساهمت في جعل قضية الإمام المهدي (عليه السلام) قضية مذهبية؟

الدرس 2: الإمام المهدي (عليه السلام) في ظلّ أبيه (عليه السلام) (1)

الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) والظروف الحرجة

إن تتبّع الأحداث ووقائع عصر الإمامين علي بن محمّد الهادي والحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) يوضح موقف السلطة نحوهما ومدى ما كانا يعانيان من قهر واضطهاد وإبعاد عن القواعد الشعبية من أجل تطويقهما ووضع العراقيل أمام تأثيرهما في هذه القواعد وغيرها من أبناء الأمة الإسلامية، فإنّ المتوكل مع اشتهاار بغضه للإمام علي (عليه السلام) وأبنائه وشيعته كان قد أشخص الإمام الهادي (عليه السلام) من مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى سامراء وأرسل إليه رسالة يظهر فيها حبه وتقديره وتكريمه له (عليه السلام) وذلك عام (2364هـ) (1) حيث أرسل يحيى بن هرثمة لاشخاص الإمام (عليه السلام)

إليه، وكان بصحبته الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وهو لم يزل صغيراً وله من العمر عامان (2).

وهذه الخطوة من الخليفة العباسي تظهر مخاوف السلطة من دور الإمام (عليه السلام) وأن إشخاصه إلى البلاط وقربه من السلطة يجعله دوماً تحت مراقبة عيونها ويسهل عليها

ص: 24

1- المسعودي، مروج الذهب، ج 4، ص 84.

2- الطبرسي. الفضل بن الحسين، ج 2، ص 131.

التعرف علي تحركه و اتصالاته والداخلين عليه من مواليه و مؤيديه ممّا ييسّر للسلطة متابعة ذلك، واتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحدّ من تأثيره ثمّ متابعة شيعته ومطارتهم وإقائهم في السجون فضلاً عن وسائل السلطة الأخرى في قهرهم واضطهادهم.

وكانت سامراء عاصمة الدولة العباسية مسرحاً لتلك الأحداث والوقائع ولنشاط الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام)، وما يلاحظ علي نشاطهما (عليهما السلام) تجاه السلطة العباسية من قرب من الخليفة وحضور مجالسه لم يمنعهما ذلك من ممارسة دورهما في رعاية تلك القواعد المؤمنة بقيادتهما الروحية والفكرية وتربيتها، فكانا (عليهما السلام) يتكفلان الإصلاح والحفاظ علي الشريعة ما استطاعا إلي ذلك من سبيل، بيد أنّ ذلك النشاط في الغالب كان يتّصف بالحدز، كما كان محاطاً بالكتمان و الرمزية قولاً وعملاً إلاّ ما يطرحه الإمام (عليه السلام) أمام خلّص أصحابه ومواليه و من هو علي درجة عالية من الارتباط بالإمام (عليه السلام).

وكان للإمامين (عليهما السلام) جمع من الوكلاء المنتشرين في الأمصار الإسلاميّة، وكان للوكيل دور هام في إيصال ما يصدر عن الإمام (عليه السلام) إلي قواعده و ما تريده القواعد من الإمام (عليه السلام). وكان الوكلاء يجمعون الحقوق الشرعية من خمس و زكاة ترد إليهم من شيعة الإمام (عليه السلام) ومواليه المنتشرين في المناطق المختلفة من الوطن الإسلامي آنذاك فكانوا يوصلون هذه الأموال إلي الإمام (عليه السلام) ومعها الأسئلة والاستفتاءات حول المسائل الدينية والدنيوية، وكان

الإمام (عليه السلام) يقوم بدوره في تقسيمها وتوزيعها والإجابة علي ما يرد إليه من أسئلتهم واستفساراتهم عن طريق وكلائه وخواصّه لتصل إلي قواعده الشعبية للعمل وفقاً لها⁽¹⁾.

وأما موقف السلطة فكان يتمثّل في الخليفة نفسه وقوّاده ووزرائه وخاصّته وأهل بيته من العباسيين الذين كانوا يتوجّسون خيفةً باستمرار من وجود الإمام (عليه السلام)

ص: 25

1- يراجع ابن شهر آشوب، المناقب، ج 3، ص 505.

وما يصدر عنه من قول وفعل أو من أحد أصحابه، فمن يُعرف بولائه واتّصاله بالإمام (عليه السّلام) فالسجن والأغلال هما النهاية الطبيعية له، ولا يتوقّف الأمر عند هذا الحد بل كان يتعدّاه إلى إلقاء القبض على الإمام (عليه السّلام) وإيداعه السجن وفرض مراقبة مشدّدة عليه في سجنه فضلاً عن اختيار أسوأ السجّانين خُلُقاً وسلوكاً وممّن يعرف بعدائه ونصبه للإمام (عليه السّلام) لتبلغ السلطة بذلك غايتها في عزل الإمام (عليه السّلام) عن قواعده وإبعاده عنها فكانت السلطة تعمل جاهدة لعزل القواعد الشعبية للإمام (عليه السّلام) عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فكان الفرد منهم يعاني الخوف والفقر والمرض من دون أن يجد ناصرأ أو معيناً له⁽¹⁾.

ويّضح لنا من الظروف المحيطة بالإمامين (عليهما السّلام) الهادي والعسكري (عليهما السّلام) وموقفهما إزاءها ونشاطهما الخاص تجاه قواعدهما الشعبية أن كلاً منهما (عليهما السّلام) لم يكن مكرّساً مواقفه وتحركه ونشاطه للاستيلاء على السلطة وإنّما كان غاية ما يسعى له الإمام (عليه السّلام) هو رعاية مصالح أصحابه وإدارة شؤونهم. وبالرغم من وضوح عدم التصدّي لاستلام السلطة فإنّ السلطة - بمختلف مستوياتها - كانت تثار بذلك النشاط مع ما يضاف إليه من وهمها الخاطيء باحتمال مطالبة الإمام (عليه السّلام) بحقّه المشروع المستلب من قبل السلطة غير الشرعية.

من هنا كانت السلطة تبذل الجهود الجبارة ضدّ أي تحرّك من الإمام (عليه السّلام) وأيّ نشاط له⁽²⁾، وبالرغم من ذلك كلّ وبالرغم من سياسة المراقبة والتقريب إلى البلاط فقد استطاع الإمامان عليه أن يخفيا نشاطهما واتصالهما بقواعدهما الشعبية، وبذلك أمنا قسطاً كبيراً من الاضطهاد الذي كان يمكن أن يصيبهما وأصحابهما من السلطة، كما

ص: 26

1- محمّد الصدر، الغيبة الصغرى، ص 239.

2- يُراجع المناقب، ج 3 وإثبات الوصية للمسعودي حول مواقف السلطة وتحركها ضدّ الإمام (عليه السّلام) وقواعده الشعبية.

حقًا كثيراً من المصالح التي كان يستحيل تحقيقها لولا أسلوبهما (عليهما السلام) في تجاوز عيون السلطان وأساليبه في المواجهة للحد من نشاط و تحرك الإمام (عليه السلام) واتصاله بمواليه و شيعة.

ولا- تعني إجراءات السلطة وتعسفها تجاه الإمام (عليه السلام) أنها كانت تجهل أحقيته و منزلته العالية، فالسلطة بمختلف طبقاتها و موظفيها وأهل الأمر النافذ فيها، وعلي تفاوتهم في التعصب أو حسن التفكير، كانوا يعرفون في قرارة أنفسهم حق الإمام (عليه السلام) و علو منزلته و يعتبرونه خير خلق الله في عصره؛ وذلك لما عُرف به من العبادة والعلم والزهد في الدنيا والأخلاق الحميدة و النسب الشريف، فهو سليل الرسول الأ-عظم (صلي الله عليه وآله وسلم) ، ولا- يختلف في ذلك الموالمون عن غيرهم، ولا الخلفاء عمّن سواهم، فنري الخليفة المعتمد العباسي إبان إحساسه بالضعف يأتي إلي الإمام العسكري (عليه السلام) بنفسه، فيجيبه الإمام إلي طلبه و يدعو له، وكانت خلافته عشرين سنة بفضل دعاء الإمام (عليه السلام).

ونلاحظ أنّ المعتمد العباسي - الآذي عاصر بداية أيام الإمام المهدي (عليه السلام) هو الآذي تصدّي للفحص عن تركة الإمام وورثته و مراقبة الحوامل من نسائه، وإنّ ذلك لدليل علي معرفته للحق و خشيته علي عرشه و سلطته؛ لعلمه أنّ المهدي (عليه السلام) هو الإمام القائم بالحق المقيم للعدل، و المزيل لعروش الظالمين و الطغاة، وقد روي المسلمون بمختلف فرقهم و مذاهبهم ذلك عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) .

إنّ الاعتقاد بوجود المهدي (عليه السلام) و ظهوره من القضايا التي كانت قد انتشرت بين المسلمين؛ وذلك للتبليغ المستمر بها منذ زمان النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) إلي زمان الإمام العسكري (عليه السلام) ، ففي الوقت الآذي كان يبلغ فيه الإمامان الهادي والعسكري (عليهما السلام) عن غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ، كان يكتب البخاري و مسلم و أبوداود و ابن ماجه في صحاحهم أخباره التي كانوا يروونها عن الرسول

الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) جيلاً بعد جيل(1).

وقد مارس الإمامان العسكريان (عليهما السَّلام) التمهيد المباشر لغيبة الإمام المهدي (عليه السَّلام) وذلك لكي يعتاد أصحابه فكراً وسلوكاً عليها، وكان ذلك التمهيد باتخاذ نظام الوكلاء أولاً و تخطيطهم للاحتجاب عن الناس ثانياً.

وسوف يتحقَّق كلا الأمرين في الغيبة الصغرى للإمام المهديّ (عليه السَّلام) فالإمام الهادي (عليه السَّلام) لا يعلن بصراحة عن إمامة ولده الحسن العسكري (عليه السَّلام) إلا قبيل وفاته، وأن إجراءاته حول غيبة الإمام المهدي (عليه السَّلام) لم تكن أوسع ممَّا اتَّخذه الإمام العسكري (عليه السَّلام) الَّذي تكفَّل بالقسط الأكبر فيما يتعلَّق بالتمهيد للغيبة فهو والده مع قرب وقوع الغيبة. و نخلص إلي ما أوجزناه عن ظروف الإمامين (عليهما السَّلام) - العامة والخاصة - التي سبقت ولادة الإمام (عليه السَّلام) و تزامنت مع ولادته، وهي عموماً تفصح عن سبب إخفاء ولادته وشخصه عن عموم الناس من قبل الإمام العسكري (عليه السَّلام).

أمّ الإمام المهدي (عليه السَّلام)

لقد ذكرت الروايات المختلفة بأن أمّ الإمام المهدي (عليه السَّلام) روميّة الأصل وكانت من سبايا الروم و جُلبت عند الفتح الإسلامي حيث كانت مع جيش الروم الَّذي كان قد تحرك لغزو بلاد المسلمين آنذاك وبعد أن هُزم هذا الجيش وانتصر الجيش الإسلامي أخذت أمّ الإمام (عليه السَّلام) سبية مع سائر السبايا، ثم اشتراها الإمام الهادي (عليه السَّلام).

ويرجع نسبها من حيث الأب إلي ملك الروم قيصر ووالدها هو (يشوع) كما أن أمها تنتهي بنسبها إلي شمعون وصيّ السيد المسيح (عليه السَّلام).

وكانت سيّدة زكيّة من سيّدات نساء المسلمين في تقواها وورعها وإيمانها وطهارة نفسها، ويكفيها فخراً أنّها كانت وعاءاً للإمام الحجّة بن الحسن (عليه السَّلام) الَّذي سوف يصلح

ص: 28

الله به الدنيا ويملاها عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

وقد نقل الرواة أسماء كثيرة لهذه السيدة الزكية الكريمة، وان إشتهرت ب(نرجس)⁽¹⁾ وكانت تدعى ب (صيقل) و (سوسن) و(مليكة) و(ريحانة)... وغيرها⁽²⁾.

ميلاد الإمام المهدي (عليه السلام) والظروف المحيطة به

وُلد الإمام المهدي (عليه السلام) عند الفجر في النصف من شعبان.

أما سنة ولادته فالمشهور أنها سنة 255هـ⁽³⁾. والموافق (869م) ورد في بعض المصادر أنها كانت سنة 256⁽⁴⁾، وفي حالة و تفرع تنافي في الروايات ينبغي الأخذ بالمشهور⁽⁵⁾. أي أن ولادته (عليه السلام) هي سنة (255 هـ).

وبذا تكون ولادته (عليه السلام) بعد وفاة جدّه الإمام الهادي (عليه السلام) بحوالي عام واحد، وبعد تولّي المهدي العباسي سدّة الحكم بأقلّ من شهر حيث استخلف المهدي لليلة بقيت من رجب و ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) في النصف من شعبان، وبقي المهدي في الحكم سنة واحدة حتّى نحاء الأتراك وبايعوا المعتمد سنة 256هـ

وبقي المعتمدة⁽⁶⁾ في الحكم ثلاثاً وعشرين سنة حتّى عام 279هـ وقد عاصر الإمام المهدي (عليه السلام) خمس سنوات من حياة أبيه حيث كان استشهاد الإمام العسكري (عليه السلام) سنة 260هـ

ص: 29

1- الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين، ج 2، ص 424 وما بعدها.

2- الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، ص 124 - 128 و مناقب ابن شهر آشوب، ج 3، ص 534.

3- الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج 1، ص 514 وكمال الدين للشيخ الصدوق، ج 2، (ميلاد الإمام المهدي (عليه السلام))

4- الشيخ الصدوق، كمال الدين، ج 2، ص 430.

5- محمّد الصدر، الغيبة الصغرى، ص 261.

6- الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، أحداث (255 - 279) هـ.

أما بالنسبة لنشاط الإمام (عليه السلام) خلال هذه الفترة فقد انصبَّ في باتجاهين بارزين من خلال تتبع أحداث التاريخ لتلك الحقبة من حياته الشريفة:

الاتجاه الأول: الحذر التام تجاه تحركات السلطة العباسية.

الاتجاه الثاني: التعرف علي خواص أبيه (عليه السلام) مع التكتّم وإخفاء ولادته عن الجميع سوي خواص الإمام العسكري (عليه السلام).

ويتعرّز لدينا ذلك من خلال الروايات التي تحدّثت عن كيفية ولادته (عليه السلام):

ففي أحد الأيام زارت السيدة حكيمة عمّة الإمام العسكري (عليه السلام) بيت الإمام (عليه السلام) وصادفت زيارتها الليلة التي ولد فيها الإمام المهدي (عليه السلام) وطلب الإمام العسكري من عمّته أن تبقى بعد أن أخبرها بأنه سيولد في هذه الليلة المولود الكريم علي الله عزّ وجلّ وعليهم، وحجّته في أرضه، فتسألها العمّة و من أمّه؟ فيقول لها الإمام (عليه السلام): نرجس! فتنفي العمّة أن يكون بنرجس أثر للحمل، فيؤكّد لها الإمام ذلك قائلاً، هو ما أقول لك، فتفحصها العمّة جيداً فلا تجد أثر الحمل، فتعود فتخبره تارة أخرى.

فيتبسّم الإمام العسكري (عليه السلام) ويعطيها الحجّة الوافية والمبرّر الإلهي الصحيح في ذلك قائلاً:

إذا كان وقت الفجر يظهر لك الحبل... لأن مثلها كمثّل أمّ موسى (عليه السلام) حيث لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلي وقت الولادة؛ لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحوامل في طلب موسى (عليه السلام) وهذا نظير موسى (عليه السلام) (1).

كما أنّ المعتمد العباسي كان قد أرسل قوابل لفحص نساء الإمام (عليه السلام) ولم يتعرّفن عليها.

إنّ تحديد الإمام العسكري (عليه السلام) وقت ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) بالفجر، لعمّته ربّما يستشفّ منه زيادة الحذر والخفاء حيث أنّ مثل هذا الوقت تكون القوابل وعيون

ص: 30

1- الشيخ الطوسي، الغيبة، ص 120.

السلطان وجلالته غاطة فيه في نوم عميق، فضلاً عن قلة النشاط والحركة في مثل هذا الوقت، وبعد أن سمعت السيدة حكيمة تأكيد الإمام (عليه السلام) عادت إلي السيدة نرجس فأخبرتها بما قال أبو محمد (عليه السلام) وسألتها عن حالها، فأجابت نرجس: يمولاتي ما أري بي شيئاً من هذا، ثم إن نرجس نامت وقامت حكيمة بصلاة الليل وجلست للدعاء عقيها، وهي في كل ذلك ترقب حالة نرجس فلا تري عليها إلا النوم الهادئ، لا تقلب جنباً عن جنب حتى إذا كان الفجر، وثبت نرجس من نومها فزعة فضممتها حكيمة إلي صدرها، وقالت لها: هل تحسّين بشيء؟

قالت: نعم يا عمّة، وهنا يأمر الإمام العسكري (عليه السلام) عمته أن تقرأ سورة الدخان والتي تبدأ بقوله تعالى:

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: «حَم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ].

وفي قراءة هذه الآيات المباركات يتّضح لنا ما كان يهدف إليه الإمام العسكري (عليه السلام) من بيان المناسبة ومقتضي الحال وهي ولادة المصلح والمنقذ المنتظر (عليه السلام) الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً كما ورد في أحاديث كثيرة عن رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) نقلها أصحاب الصحاح والسنن فضلاً عما رواه محدثوا الإمامية. وحينما حان وقت الميلاد الميمون، حدث أمر بين السيدتين بحيث لم تطلغ عمّة الإمام (عليه السلام) علي نرجس رحالها.

وقد عبرت عن ذلك بعض الروايات بالفترة .. وهي نوع من الغفلة أو النعاس... أصابتهما معاً وصوّرت السيدة حكيمة هذه الحالة في رواية أُخري بقولها: حتى غيّبت عني نرجس فلم أرها كأنه ضرب بيني وبينها حجاب، و تنبه السيدة حكيمة فتجد الإمام المهدي (عليه السلام) ساجداً لله علي الأرض وهو يردد الآية المباركة: «وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ» (1).

ولابدّ من الإشارة إلي أن أكثر الروايات (2) تشير إلي أنّ ولادة الإمام (عليه السّلام) تتمّ ولم يكن في وقتها غير السيدة حكيمة قريبة من أمّ الإمام (عليه السّلام) وأنّ الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) كان منشغلاً بالصلاة والدعاء وهو ينتظر المولود الكريم، بيد أنّ هناك رواية تصرّح باستقدام قابلة - كانت تسكن بجوار منزل الإمام العسكري (عليه السّلام) - بشكل محاط بالكنمان للقيام بشأن أمّ الإمام (عليه السّلام) حال ولادتها. وليس في هذا ما ينافي الروايات القائلة بإخفاء ولادته (3).

الخلاصة

تمّ الحديث عن موقف السلطة من الامامين الهادي والعسكري (عليهما السّلام) وكذا الموقف من الجماعة الصالحة، والقواعد

الشعبية الموالية للإمام (عليه السّلام)، وكيف أنّ المتوكّل أشخص الإمام الهادي (عليه السّلام) إلي سامراء، وقد بلغت وسائل اضطهاد الدولة للإمام العسكري إلي درجة إلقاء القبض عليه وسجنه مع العلم أنّ الخليفة وسائر طبقات السلطة العباسيّة لم تكن تجهل منزلته العالية، وأنّ نشاط الإمامين كان متوجّهاً إلي رعاية مواليتهم ومن يؤمن بقيادتهم الروحية والفكرية و تربيته هؤلاء ما استطاعا إلي ذلك من سبيل.

و كان للإمامين (عليهما السّلام) وكلاء ورعين في شتّى المناطق لإيصال ما يرد إليهم من مواليتهم من حقوق شرعية ومسائل و استفتاءات فضلاً عن قضايا تتعلّق بشؤونهم الحياتية.

ص: 32

1- القصص /.. 5.

2- يراجع كمال الدين للشيخ الصدوق باب ميلاد الإمام المهدي و غيبة الطوسي، ص 121.

3- راجع محمد الصدر، الغيبة الصغرى، ص 268.

كانت ولادة الإمام (عليه السلام) في النصف من شعبان سنة 255هـ أي بعد استشهاد الإمام الهادي (عليه السلام) بسنة واحدة وكان ذلك بدرجة عالية في الكتمان وعدم وضوح علامات الحمل علي أم الإمام (عليه السلام) واستغراب السيدة حكيمة عمّة الإمام العسكري (عليه السلام) من حالتها وقد حضرت ولادتها وقدمت الوليد المبارك إلي أبيه (عليه السلام) وأجري له مراسيم الولادة.

الأسئلة

1. لماذا أشخص الإمام الهادي (عليه السلام) من المدينة إلي سامراء؟
2. ما كانت فائدة وجود الإمام (عليه السلام) قريباً من بلاط الخليفة للخليفة وأعوانه؟
3. ما كان موقف السلطة من القواعد الشعبية الموالية للإمام (عليه السلام)؟
4. ما هو النشاط الذي ركّز عليه الإمامان (عليهما السلام)؟
5. ما هو دور وكلاء الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام)؟
6. هل كان نشاط الإمامين (عليهما السلام) مكرّساً لاستلام السلطة؟ ولماذا؟
7. كان دور السيدة حكيمة عمّة الإمام العسكري (عليه السلام)؟
8. متي كانت ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)، ولماذا أُحيطت بالكتمان من قبل الإمام (عليه السلام)؟
9. هل ظهرت بوادر الحمل والولادة علي السيدة نرجس؟ ولماذا؟

الدرس 3: الإمام المهدي (عليه السلام) في ظلّ أبيه (عليه السلام) (2)

الأخبار الدالة على إخفاء ولادة الإمام (عليه السلام)

لقد وردت أخبار كثيرة تشير إلى غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)، وقد تناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل، وفيها الإشارة إلى ما يسود المجتمع البشري من الجور والظلم والاضطهاد. وهناك أحاديث أخرى تضمّنت الإخبار عن خفاء مولده (عليه السلام).

إنّ واقع الحال الذي سبقت الإشارة إليه - وهو ظروف ولادة الإمام (عليه السلام) تعزّز ذلك، مع إمكان الاستفادة من الروايات التي وردت عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتي تشير إلى غيبة الإمام (عليه السلام) وحيرة الأمة وما يجري علي أهل بيته (عليهم السلام) كمؤشّرات علي خفاء ولادته (عليه السلام)، ومن هذه الروايات والأخبار:

1. ما جاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: إنّ القائم ممّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفي ولادته ويغيب شخصه(1).

2. ما عن الإمام علي بن الحسين سيد العابدين (عليه السلام) أنّه قال: القائم ممّا تخفي ولادته علي الناس حتي يقولوا: لم يولد بعد(2).

ص: 34

1- الشيخ الصدوق، كمال الدين، ج 1، ص 303.

2- كمال الدين، ج 1، ص 323.

3. وما عبد الله بن عطاء حيث قال: قلت لأبي جعفر - أي محمد الباقر (عليه السلام) - إن شيعتك بالعراق كثيرون فوالله ما في أهل بيتك مثلك فكيف لاتخرج؟

فقال يا عبد الله بن عطاء قد أمكنت الحشو من أذنك والله ما أنا بصاحبكم، قلت: فمن صاحبنا؟ قال: انظروا من تخفي علي الناس ولادته فهو صاحبكم(1).

4. وعن أيوب بن نوح قال: قلت للرضا (عليه السلام): إنا لندرجو أن تكون صاحب هذا الأمر وأن يرده الله عز وجل إليك من غير سبق فقد بويع لك وضربت الدراهم باسمك فقال: ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب وسئل عن المسائل وأشارت إليه الأصابع وحملت إليه الأموال، إلا أغتيل أو مات علي فراشه حتي يبعث الله عز وجل لهذا الأمر رجلاً خفي المولد والمنشأ غير خفي في نسبه(2).

إلي غيرها من الأحاديث المروية عن بقية الأئمة (عليهم السلام)(3) والتي صرحت بأن للإمام المهدي (عليه السلام) سنة من موسي و يوسف و عيسي (عليهم السلام) - وهي الغيبة وخفاء الولادة، - وقد صرح القرآن حول عيسي: «إِ كَمَثَلِ آدَمَ، قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ». وتفيد الآية المباركة التي ذكرت المماثلة أنّ الحمل وما يرافقه من حالات لم تكن تعرض لأم المسيح (عليه السلام) فهي كذلك بالنسبة لأم الإمام المهدي (عليه السلام).

علة إخفاء ولادته (عليه السلام)

إن قضية الإمام المهدي (عليه السلام) بكل أبعادها ومظاهرها قضية تتعلق بإرادة الله سبحانه وحكمته فهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهي من القضايا العامة التي اهتمت الديانات بها، وبشّر الأنبياء بظهور المصلح المنتظر الذي يزيل الظلم و يقيم دولة الحق، فهي ليست قضية إسلامية خاصة ولا هي من معتقدات الشيعة الإمامية فحسب، فالتوراة تضمنت البشارة به وكذا الأناجيل الأربعة، بيد أنّ وضوح الرؤية حول هذه

ص: 35

1- كمال الدين، ج 1، ص 325.

2- كمال الدين: ج 2، ص 370.

3- يُراجع كمال الدين، ج 1، ج 2 حول أحاديث الأئمة (عليهم السلام) بهذا الخصوص.

العقيدة تجلّت بكلّ أبعادها - فيما عدا التوقيت بظهور الإمام (عليه السّلام) - بما تناقله المسلمون علي امتداد التاريخ الإسلامي منذ البعثة حتّى يومنا هذا.

أمّا بخصوص العلة في إخفاء ولادته فقد أثر عن النبي (صلّي الله عليه وآله وسلّم) والأئمة المعصومين (عليهم السّلام) ما يوضّح السبب والعلة في إخفاء ولادته (عليه السّلام):

1. عن أبي بصير، عن أبي عبدالله أي الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: «صاحب هذا الأمر تعمي ولادته علي هذا الخلق لنّلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج» (1).

2. وعن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السّلام) أنه قال: «كأنّي بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي - أي الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) - كالنعم يطلبون المرعي فلا يجدونه. قلت له: ولمّ ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأنّ إمامهم يُغيّب عنهم، فقلت: ولمّ؟ قال: لنّلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف» (2).

3. عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: «إنّ للقائم غيبة يطول أمدها، فقلت له: يابن رسول الله ولمّ ذلك؟ قال: لأنّ الله أبي إلا أن تجري فيه سنن الأنبياء علي في غيبتهم، وأنّه لا بدّ له ياسدير من استيفاء مدد غيبتهم، قال الله تعالي: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنُ طَبَقٍ» (3) أي سنن من كان قبلكم» (4).

4. وعن زرارة قال: سمعت أبا جعفر - أي الإمام الباقر (عليه السّلام) يقول إنّ للقائم غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت: ولمّ؟ قال: يخاف وأوماً بيده إلي بطنه - قال زرارة: يعني القتل (5).

5. عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) قال: إنّ القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفي ولادته ويغيب شخصه.

6. عن سدير بن حكيم، عن أبيه عن أبي سعيد عقيصا قال: لما صالح الحسن

ص: 36

1- كمال الدين، ج 1، ص 479، 480.

2- كمال الدين، ج 2، ص 480.

3- الانشقاق 19/.

4- كمال الدين، ج 2، ص 481.

5- كمال الدين ج 2، ص 481.

ابن علي (عليه السلام) معاوية ابن أبي سفيان دخل عليه الناس، فلامه بعضهم علي بيعته، فقال: ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الذي عملت خيرٌ لشيعتي ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت. ألا تعلمون أنّي إمامكم مفترض الطاعة عليكم، وأحد سيّدَي شباب أهل الجنة بنصّ من رسول الله (صليّ الله عليه وآله وسلّم) عليّ؟ قالوا: بلي، قال: أما علمتم أنّ الخضر (عليه السلام) لمّا خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسي بن عمران إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك؟ وكان ذلك عند الله تعالي ذكره حكماً وصواباً.

أما علمتم أنّه ما ممّا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصليّ روح الله عيسي بن مريم (عليه السلام) خلفه، فإنّ الله عزّ وجلّ يخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج. ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيّدة الإمام يطيل الله عمره في غيبته ثمّ يظهره بقدرته في صورة شابّ دون أربعين سنة ذلك ليعلم أنّ الله علي كلّ شيء قدير (1).

7. وعن أبي عبدالله - الصادق (عليه السلام) قال: للقائم غيبة قبل قيامه، قلت: ولمّ؟ قال: يخاف علي نفسه الذبح (2).

إنّ هذه الأحاديث الشريفة كلّها تفيد أنّ علّة إخفاء الولادة وأنّ سبب الغيبة ترجع إلي أمرين:

الأوّل: أن لا تكون في عنقه بيعة لطاغية زمانه.

الثاني: الخوف من القتل.

وإنّ الحديث السابق عن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) والذي ضرب فيه المثل لما قام به الخضر (عليه السلام) واستنكار نبي الله موسي (عليه السلام) لذلك نظراً لعدم وضوح حكمة الله له، يُستفاد منه أنّ للإخفاء علّة معلومة عند الله وإن كانت خافية علي الناس، وإن

ص: 37

1- كمال الدين، ج 1، ص 316.

2- كمال الدين، ج 2، ص 481.

-سألوا ولم يعرفوها فعليهم التسليم لحكم الله وحكمته.

الخلاصة

كما وردت الأخبار عن الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والأئمة (عليهم السَّلام) عن غيبة الإمام المهدي (عليه السَّلام) ، جاءت نصوص أخرى تخبر بخفاء ولادته عن الأُمَّة، لتوضح مسيرة حياة الإمام (عليه السَّلام) وموقف القواعد الشعبية الموالية والأُمَّة من حيث الإيمان به حتى إذا جاء وقت الولادة والغيبة لاتشك الأُمَّة ولا ترتاب في وجوده (عليه السَّلام) نظرة للإعداد اللازم لذلك.

وقد أوضحت أحاديث أخرى العلة والسبب في خفاء ولادته ويمكن

حصر ما ورد فيها في علتين:

الأولى: حتى لا تكون بيعة في عنق الإمام (عليه السَّلام) لطاغية زمانه.

الثانية: مخافة القتل علي نفسه فيما لو انكشف أمره للناس.

الأسئلة

1. هل يمكن الاستدلال علي تحقّق الإخبار بخفاء الولادة من روايات الأخبار عن الغيبة العامة؟
2. اذكر حديثاً عن خفاء ولادته (عليه السَّلام) ؟
3. لماذا لم ينهض الإمام الباقر (عليه السَّلام) بالسيف مع كثرة مواليه في عصره؟
4. اذكر علة خفاء ولادة الإمام المهدي (عليه السَّلام)؟

الدرس 4: الإمام المهدي (عليه السلام) في ظلّ أبيه (عليه السلام) (3)

دور الإمام العسكري (عليه السلام) في الإعلان عن الولادة

علي الرغم ممّا أحيط به الميلاد المبارك من كتمان وسريّة وخفاء نجد أنّ الإمام العسكري (عليه السلام) لا يكتفم ذلك عن خاصّته من ثقافته، فهو يأمر بأعمر عثمان بن سعيد، وهو من أخصّ أصحابه لديه بأن يعقّ عن المولود الجديد عدداً من الشياه وأن يشتري عشرة آلاف رطل من الخبز وعشرة آلاف رطلاً لحمًا ويوزّعه علي الفقراء . كما أرسل الإمام العسكري (عليه السلام) شاة مذبوحة إلي محمّد بن إبراهيم الكوفي، و هي عقيقة عن المولود الجديد(1).

ويتباشر أصحاب الإمام العسكري بميلاد الإمام المهدي (عليهما السّلام) ويأتون الإمام مهتئين بالمولود ويتواصون فيما بينهم بكتمان الأمر، ويسأل أحدهم عن اسمه (عليه السّلام)، فيقال له سَمِّي: ب «محمّد» وكُنِّي: «بأبي جعفر». و من خلال الظروف والملابسات التي كانت تحيط بالإمام العسكري (عليه السّلام) والجماعة الصالحة يتّضح عِظَم المهمة التي يقوم بها الإمام (عليه السّلام) تجاه ولده المبارك، وتتمثّل هذه المهمة في أمرين:

ص: 39

1- كمال الدين، ج 2، ص 432 وما بعدها.

1. التعريف بولادة الإمام (عليه السلام) ليثبت ذلك للتاريخ والأمة الإسلامية فضلاً عن الجماعة الصالحة التي تنتظر مولده (عليه السلام) وتأمل إقامة دولة الحقّ علي يديه لإيمانها بقيادته الروحية والفكرية وفقاً للنصوص الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة»

إذن فليس من الممكن أن يبلغ الحذر والتوني إلي حدّ إخفائه الكامل بحيث يؤدي إلي ضياع اسمه وإنكار وجوده، مع كونه الإمام (عليه السلام) الثاني عشر لمواليه والمسلمين والقائد المؤمل والمذخور لإقامة دولة الحقّ.

فلا بدّ إذن من إقامة الحجّة والدليل علي وجوده علي المستوي الخاص بمواليه وعلي مستوي المسلمين عامّة بحيث يصبح هناك تواتر في الأخبار علي ولادته ورؤيته، ليدحض مزاعم من يقول بعدم ولادته وعدم وجوده.

2. حماية الإمام المهدي (عليه السلام) من السلطة وطغاة العباسيين ومطاردتهم له، كما اتّضح ذلك من الظروف الخاصة والعامة التي أحاطت بالإمامين (عليهما السلام)، مع ما كانت تعرفه السلطة ويعرفه الخليفة من أحقية الإمام (عليه السلام) وأتّه من أهل البيت وأتّه مزيل عروش الظالمين، غير أنّ حبّ السلطة والجاه والمصالح والمنافع التي تحرّك الخليفة وأعوانه والأسرة الحاكمة، كانت تمنع من إرجاع الحقّ إلي أهله. ومن هنا كانت السلطة تشعر بهاجس الخوف من ولادة المهدي (عليه السلام)، ووجود الشخص الذي وردت الأخبار حوله عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وشاعت بين المسلمين كافة بأنه (عليه السلام) هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فظهره (عليه السلام) يعني الحكم علي نظامهم بالانقراض المحتمّ، ونضح انحرافاتهم وبُعدهم عن الرسالة الإسلامية.

والخليفة والسلطة بطبقاتها، وان لم يتمكّنوا من تحديد تاريخ ميلاد الإمام المهدي (عليه السلام) لِمَا أحيط به من سرّيّة من قبل الإمام العسكري (عليه السلام) إلا أنّهم كانوا يعلمون إجمالاً أن زمانه (عليه السلام) قد أطلّ عليهم وأتّه علي وشكّ الولادة لما عرفوا من أنّ الإمام

العسكري (عليه السلام) يكون الإمام الحادي عشر في سلسلة خلفاء الأمة الإسلامية التي وعد الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم) بأنهم عدد نساء بني إسرائيل.. فيكون ولده الإمام المهدي (عليه السلام) هو خاتم هذه السلسلة المباركة من الأئمة (عليهم السلام).

ومما يرشدنا إلى جهل السلطة بوجوده و ميلاده (عليه السلام) وترقيتها لميلاده، هو ما قامت به السلطة من مراقبتها لنساء الإمام العسكري (عليه السلام) والبحث من تظهر عليها علامات الحمل، مع أنّ الإمام (عليه السلام) كان مولوداً قبل خمس سنوات، وقد عرضه الإمام العسكري علي خواصّه ومواليه.

وإذا كان نشاط الإمامين العسكريين (عليهما السلام) مقتصرًا علي حفظ مصالح قواعدهم الشعبية والسياسية من الجهاز الحاكم، فقد كان ذلك مثيراً للسلطة إذ كان لها مواقف مختلفة ضدّ الإمامين (عليهما السلام)، فكيف بنشاط إمام المنتظر (عليه السلام) لإقامة الحقّ والعدل، ومحو الجور والظلم لتتعم الإنسانية في ظلاله الوارفة بكرامة الإسلام وعدله، ولهذا كانت السلطة تترقب وتبحث من أجل التعرف علي أخبار المولود الموعود. ومن هنا يتّضح مبلغ حراسة موقف الإمام العسكري (عليه السلام) ودقته في مثل تلك الظروف والتي هي في غاية التعقيد خصوصاً إذا عرفنا أنّ الإمام العسكري كان يعيش في مجتمع، قد سلّطت عليه الأضواء فيه وأنّه تحت إقامة جبريّة و مراقبة دائمة فهو المثال الذي يقتدي به لتقواه وورعه وعلمه، فضلاً عن القاعدة الواسعة من الأمة الإسلامية آنذاك والتي كانت تقول بإمامته و ترجع إليه في حلّ مشاكلها، فضلاً عن أنّ السلطة كانت تلجأ إليه بين الحين والآخر عندما تقع في مأزق أو واقعة يعي فيها السلطان و تؤزّقه المشكلة ويُسَلّ فيها تفكير فقهاء السلطة ووعاظها فلا تجد السلطة من بدّ في الالتجاء إلي الإمام العسكري للتخلّص من المأزق الذي وقعت فيه، كما في قصّة الراهب الذي استسقى للمسلمين ومعه الخليفة وكاد أن يرتدّ أكثر الناس، وكان الإمام في السجن، فأخرجه المعتمد وقال له، أدرك دين جدّك،

فخرج الإمام (عليه السلام) وكشف حيلة الراهب (1).

كما أنّ الإمام (عليه السلام) في نظر السلطة كان يمثّل القطب الأهمّ في الجبهة المعارضة وهو امتداد لخطّ آبائه (عليه السلام)، والسلطة علي معرفة تامّة بهم وبمواقفهم تجاهها، ولهذا كان تقربها للإمام (عليه السلام) في البلاط ودمجه في دائرتها لتحديد أثره ونشاطه.

ولمّا كانت الأئمة علي علم واطّلاع بالمهمّة والدور الذي يقوم به الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) فمن الطبيعي أن تتوجّه الأنظار صوب ميلاده ووجوده (عليه السلام).

وبغضّ النظر عن كون المنتظرين يؤمنون أو لا- يؤمنون بقيادة أهل البيت (عليهم السلام) فقد كان من تخطيط الإمام العسكري (عليه السلام) عدم الإعلان عن ولادة ولده، وإن كان معتاداً أن يعلن عن الولادة وتقام الولائم شكراً لله سبحانه علي نعمه، إذ كانت الأمور تجري في بيت الإمام (عليه السلام) بصورة طبيعية، ولم يكن هناك أيّ نشاط يثير الانتباه حتّى أنّ خادم الإمام (عليه السلام) لم ينتبه إلي شيء (2)، ولم يعرف شيئاً، ولمّا لم يكن انتباهه وشكّ في ولادته (عليه السلام) فمن الطبيعي أن لا يحصل بحث وسؤال و تتبّع لوجود الإمام (عليه السلام) أو ولادته.

وكان يساعد الإمام العسكري (عليه السلام) علي إخفاء ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) - ومساعدة كبري - تطبيقه لسياسة الاحتجاب علي نفسه، وانقطاعه عن أصحابه ومواليه إلا بواسطة المراسلات، حيث استطاع (عليه السلام) بذلك تحقيق نتيجتين أساسيتين:

1. تعويد قواعده الشعبية علي فكرة الاحتجاب والقيادة غير المباشرة.

2. إحاطة تحرّكه بالكتمان والسريّة التامة، واستقطاب المهام التي كانت تحتاج تدخّله ورأيه (عليه السلام) بشكل منفرد و بعيد عن الانتباه، وتسليط الأضواء بعيدة عن رقابة الدولة و عيونها لأنّه سوف لا يطّلع علي تحرّكه بهذا الخصوص إلا من له صلة بهذا التحرّك.

ص: 42

1- ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص 313. 314.

2- كمال الدين، ج 2، ص 434.

كما كان للظروف غير الطبيعية التي تمرّ بها الدولة آنذاك دور مساعد في عملية إخفاء الولادة حيث كانت الدولة توجه أنظارها إلي صاحب الزنج الذي انتفض في جنوب العراق والأهواز في نفس عام ميلاد الإمام الحجّة (عليه السّلام) - 255 هـ. - والمتتبع للتاريخ العام يعرف ما أوجده صاحب الزنج من فزع وقلق في أذهان الناس عامّة والجهاز الحاكم خاصّة(1).

وحثّي عام 258هـ الذي أوكل فيه المعتمد قتال صاحب الزنج وسواه إلي أخيه أبي أحمد الموفق لم يكن قد ثار حول ولادة الإمام المهدي(عليه السّلام) أيّ إحساس والتفات أو شكّ من قبل المجتمع والدولة نتيجة لتلك الظروف، وقد استطاع الإمام العسكري(عليه السّلام) أن يضمن حماية ولده المهدي (عليه السّلام) من الجهاز الحاكم ومن عيونهم، وبذلك قام بالوظيفة الثانية خير قيام.

أما بالنسبة للوظيفة الأولى للإمام العسكري (عليه السّلام)، وهي إثبات وجود المهديّ (عليه السّلام) للتاريخ والأمة الإسلاميّة عامّة والمواليه خاصّة. وفي مثل تلك الظروف التي عاشها الإمام العسكري (عليه السّلام) كان لا بدّ أن يختصّ التبليغ بوجوده ورؤيته بالأشخاص الذين يعلم بصلاية إرادتهم وقوّة إيمانهم بقيادة الأئمة(عليه السّلام) - فضلاً عن إطمئنان الإمام (عليه السّلام) إلي صلابتهم وقوّة إرادتهم في الصمود تجاه إغراء واضطهاد السلطة الحاكمة، وكان بهذه الطريقة قد تمكّن من كتمان ولادته (عليه السّلام) وحجبها عن غير مواليه بل حتي عن جمهور المواليين ممّن لا يحرز فيه الحفاظ علي سرّيّة الولادة وكتمانها، عندما يتعرّض إلي الاضطهاد والمطاردة من قبل السلطة.

وكان الإمام العسكري (عليه السّلام) عندما يخبر أو يطّلع أحداً علي المولود المبارك يُلزمه بأن يكتّم خبره ولا يذكر اسمه(2).

ص: 43

1- يُراجع تاريخ الطبري، ج 7، أحداث عام 255 هـ. وما بعدها.

2- الغيبة للشيخ الطوسي، ص 215 وما بعدها.

اتّضح من خلال الإجراءات التي اتخذها الإمام العسكري (عليه السلام)، أنّ السلطة لم تكن قد التفتت إلي ولادة المهدي (عليه السلام) أو أحسّت بشيء يدلّ علي ذلك، وكانت السلطة تترقّب ولادته و تبحث عنه غير أنّ محاولاتها باءت بالفشل.

وكان الإمام العسكري (عليه السلام) يكتفي عند عرض ولده علي خاصّة به بقوله لهم: «هذا إمامكم» يعني أنّه الإمام بعده، ويقتصر في التصريح باسمه علي الأقل، كما أنّه (عليه السلام) لم ينة عن تسميته (1).

فالإمام (عليه السلام) حيث كان يُريد أن يثبت وجود ولده المهدي (عليه السلام)، كان يختار من يطمئنّ إليه وخاصّة أولئك الذين يربطون بينه وبين قواعده الشعبية وينقلون المراسلات و التوقيعات منه وإليه، فإنّهم خير من يستطيع أن يبلغ خبر الولادة إلي القواعد الشعبية، فإنّ هذه القواعد تعرف سلفاً وثيقة هؤلاء الأشخاص وإيمانهم وإخلاصهم واعتماد الإمام (عليه السلام) عليهم. حيث لا يتيسّر للقواعد الشعبية أن تري الإمام (عليه السلام) في الحالات الطبيعية، فكيف في تلك الظروف المعقّدة وهي كانت تحصل علي ما تحتاجه عن طريق أولئك الذين هم حلقة الوصل بين الإمام (عليه السلام) وقواعده، فمثلما كان يحصل لهم اليقين بما ينقلونه لهم عن الإمام (عليه السلام) فكذلك سوف يحصل لهم اليقين والإطمئنان بخبر الولادة ووجود الإمام المهدي (عليه السلام) من نفس الطريق. كما أنّ ذلك هو طريق كافة الناس في حصول اليقين والاطمئنان في مثل تلك الأحوال في مجال نقل الحوادث والأخبار.

ونحن الذين نعيش عصر الغيبة الكبرى قد وصلنا من طرق الخاصّة والعامة تواتر خبر ولادته ووجوده، فكيف من عاش في ذلك الزمن الذي كانت كلّ القرائن تدلّ عليه، وكلّ الأيدي تشير إليه؟! وكان همّ أبيه و وكالاته وأصحابه، هو التأكيد علي

وجوده و التبليغ عنه إلي كل من يصلح أن يتحمل مسؤولية ذلك.

وكان أوسع إعلان قام به الإمام العسكري (عليه السلام) بين أصحابه عن ولادة ابنه وإمامته من بعده و وجوب طاعته عليهم، قبل وفاة الإمام (عليه السلام) بأيام، وقد كان مجلسه غاصباً بأربعين من أصحابه وخاصته، منهم: محمد بن عثمان العمري، ومعاوية بن حكيم، و محمد بن أيوب بن نوح وسواهم فعرض عليهم ولده (عليه السلام) وقال: هذا إمامكم من بعدي و خليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في دياركم، ثم أضاف . مشيراً إلي غيبته (عليه السلام) قائلاً: أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا(1).

كما أن الإمام (عليه السلام) قد عرض ولده في اليوم الثالث من ولادته وأشار أيضاً إلي غيبته و ظهوره (عليه السلام) ... فهو القائم الذي تمد إليه الأعناق بالانتظار. فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً، خرج فمها قسطاً وعدلاً.

فهكذا كان الإعلان الرسمي الكبير حول مولده (عليه السلام) بعد الميلاد وقبل وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) لكي يكون هو الأساس لإقامة الحجة تجاه القواعد الشعبية الموالية، كما أن الإمام (عليه السلام) كان يعرضه خلال هذه المدة علي أشخاص يزورونه بمفردهم، منهم: عمرو الأهوازي حيث أراه الإمام ولده المهدي (عليه السلام) وقال له: هذا صاحبكم(2).

ومن رأي الإمام المهدي (عليه السلام) رجل من فارس كان قد قصد الإمام العسكري (عليه السلام) ليتشرف بخدمته، فأذن له الإمام بذلك فكان مع الخدم يشتري لهم الحوائج من السوق، و بقي علي هذه الحال حتي أصبح خاصاً وارتفعت الكلفة بينه وبين الإمام (عليه السلام) .. فكان يدخل الدار دون استئذان إذا لم يكن فيها إلا الرجال، وبينما هو داخل عليه في يوم من الأيام إذ سمع حركة في البيت فناده الإمام (عليه السلام) : مكانك لا تبرح. قال: فلم أجسر أن أخرج ولا أدخل. فخرجت عليّ جارية معها شيء مغطي ثم أمره

ص: 45

1- كمال الدين، ج 2، ص 435.

2- الشيخ المفيد، الارشاد، ص 330.

الإمام (عليه السلام) - العسكري - بالدخول فدخل الغرفة، وأمر الجارية أن ترفع الغطاء فكشفت عن غلام أبيض حسن الوجه، قدّره الراوي بسنتين، وقال الإمام (عليه السلام): هذا صاحبكم، ثم أمر الجارية به فحملته، فلم يره بعد ذلك حتي توفي الإمام العسكري (عليه السلام).

فمع كون هذا الرجل ملازماً لدار الإمام (عليه السلام) وقربه منه، نجد أنه لم يعلم بولادة الإمام (عليه السلام) ولم يشعر بأي أمر غير طبيعي في الدار، واكتفي الإمام بعرضه عليه مرّة واحدة كما هو الشأن مع جملة أصحابه وخاصّة ته. وبالتأمل في الرواية نجد أنّ المولود المبارك قد عرض علي رجال آخرين كانوا في الدار وليس علي هذا الرجل فحسب(1).

وممن عرض عليه الإمام المهدي (عليه السلام) ونظر إليه: هو أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري، وهو من خاصّة الإمام (عليه السلام)، وكان أحمد هذا قد قصد زيارة الإمام العسكري (عليه السلام)، يريد أن يسأله عن الخلف من بعده، ومن يتولّى الإمامة بعد وفاته ويضطلع بشؤون الأمة، فيدخل عليه فيقول له الإمام (عليه السلام) مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق إنّ الله تبارك وتعالى لم يُخل الأرض منذ خلق آدم (عليه السلام) ولا يخليها إلي أن تقوم الساعة من حجّة الله علي خلقه به يدفع البلاء عن أهل الأرض وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الأرض. ثمّ يسأل الإمام العسكري (عليه السلام) عن الإمام بعده فينهض الإمام (عليه السلام) مسرعاً ويدخل إحدي الغرف، ثمّ يخرج وعلي عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين ثمّ يقول: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك علي الله عزّ وجلّ وعلي حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّ سميّ رسول الله (صليّ الله عليه وآله وسلّم)، وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يا أحمد بن إسحاق، مثله في هذه الأمة مثل الخضر (عليه السلام) ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبنّ غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلاّ من تبتّه الله عزّ وجلّ علي القول بإمامته ووقّقه الله للدعاء بتعجيل فرجه.

ص: 46

قال أحمد بن إسحاق: فقلت: يا مولاي فهل من علامة يطمئن بها قلبي؛ فنطق الغلام (عليه السلام) بلسان عربي فصيح: أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه، ولا تطلب أثرا بعد عين يا أحمد بن إسحاق.

قال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً. وعُدت إليه في الغد، فقلت له: يا ابن رسول الله، لقد عظم سروري بما مننت عليّ فما السنّة الجارية عن الخضر وذي القرنين؟ قال: طول الغيبة يا أحمد. قلت: يا ابن رسول الله وإنّ غيبته لتطول؟ قال: إي وربي، حتّي يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به إلا من أخذ الله عزّ وجلّ عهده بولايتنا وكتب في قلبه الإيمان و ابرّه بروح منه، يا أحمد بن إسحاق هذا أمر من أمر الله و سرّ من سرّ الله، و غيب عن غيب الله فخذ ما آتيتك و اكتمه وكن من الشاكرين معنا، في عليّين. (1).

ص: 47

1- كمال الدين، الباب 38، الحديث 1.

لا إن الإمام العسكري (عليه السلام) مع حرصه علي السرية والتكتم حول ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ووجوده، نراه يُطلع جماعة من شيعته و مواليه علي ولادته ثم أنه يأمر البعض بشراء بعض المواد لتوزيعها بمناسبة الميلاد المبارك ويرسل إلي آخر ذبيحة وهي عقيقة عقها عن ولده (عليه السلام) .

إن مهمة الإمام (عليه السلام) و دوره تتضمن تعريف القواعد الشعبية وإقامة الدليل والحجة علي ولادته، و حمايته من الطغاة الذين يتربصون بالإمام (عليه السلام) الدوائر لأنهم يعلمون أنه ابن الإمام العسكري (عليه السلام) وأنه الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً وهو المؤتمل لإقامة حكم الله في الأرض وإشاعة العدل والأمن فيها.

كما أن الإمام العسكري (عليه السلام) كان يربي قواعده و مواليه علي تقبل الاحتجاب، وقد سلك هذا الطريق بنفسه (عليه السلام) ، وكانت صلته بقواعده عن طريق وكالاته و الرسائل المتبادلة بينه وبين تلك القواعد عن طريق وكالاته (رض) وبهذا كان قد مهّد لاحتجاب الإمام المهدي (عليه السلام) وغيبته عن مواليه، وبتخطيطه هذا قد أقام الدليل والحجة علي القواعد الشعبية الشيعية بشكل خاص والأمة بشكل عام، وبفضله وصلت إلينا وتواترت أخبار ولادة الإمام وغيبته (عليه السلام) .

وقد أوضح الإمام العسكري (عليه السلام) اسمه وكنيته وبعض علامات ظهوره بعد الإشارة إلي غيبته.

1. لماذا كان يفصح الإمام العسكري (عليه السلام) عن ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ووجوده لبعض شيعته و مواليه؟
2. ما هو دور الإمام العسكري (عليه السلام) تجاه ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ووجوده؟
3. ما هي طريقة الإمام العسكري (عليه السلام) في بيان ولادة الإمام (عليه السلام) لأصحابه؟
4. ما هو تخطيط الإمام العسكري (عليه السلام) لأطروحة الغيبة؟ 5. ماذا كانت تعني الهدايا والذبائح التي ورّعها الإمام (عليه السلام) بمناسبة الولادة؟ .
6. ما هي الإجراءات التي قام بها الإمام العسكري (عليه السلام) للتمويه علي السلطة؟
7. ماذا يُستفاد من حوار الإمام المهدي (عليه السلام) مع أحمد بن إسحاق؟
8. هل ساهم انشغال الدولة في الحروب الداخلية في إنجاح تخطيط الإمام العسكري (عليه السلام)؟ وضح ذلك؟

اغتيال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) واضطراب السلطة

لقد استشهد الإمام العسكري سنة 260 هـ بعد أن سقى السم من قبل المعتمد العباسي في أول ربيع الأول من تلك السنة حيث بدأت العلة وثقل المرض عليه التحق (عليه السلام) بالرفيق الأعلى في الثامن من الشهر (1).

واضطربت السلطة حينما اعتل الإمام (عليه السلام) وأوعز المعتمد إلي خمسة من ثقاته ورجال دولته منهم (تحرير) بملازمة دار الإمام (عليه السلام) والتعرف علي خبره وأحواله، وإخباره بكل بادرة تحدث، كما أرسل مجموعة من الأطباء لتجري الفحوص و تُشرف عليه صباحاً ومساءً، وعهد إليهم أن لا يفارقوه، كما أرسل قاضي القضاة وعشرة أشخاص ممن يثق بهم وأمرهم بملازمة دار الإمام (عليه السلام) (2).

ومما تجدر الإشارة إليه أنه بمجرد اعتقال الإمام وصل الخبر إلي وزير المعتمد، عبيدالله بن يحيى بن خاقان، فركب مباشرة إلي البلاط لكي يخبر الخليفة بمرض

ص: 50

1- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 7، ص 126.

2- الإرشاد، ص 383.

الإمام (عليه السلام) وبعد إخباره أصدر أمره بإرسال الأطباء وغيرهم(1). إن إرسال هذا العدد مضافاً إلى خادم بعثه الوزير يشير إلى أنّ السلطة كانت تسعى لمعرفة أمر غير مسألة وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) ، وهو الوقوف علي ولده لأنها كانت تجهل ولادته و تعرف بأن حالة الإمام (عليه السلام) ستؤدي به إلي الموت حتماً.

وبالرغم من بقاء هؤلاء في دار الإمام(عليه السلام) فإن وجودهم لم يمنع الإمام (عليه السلام) من أداء دوره، حيث كتب مجموعة من الكتب وأرسل بعضها إلي المدينة وأخري إلي المدائن وهي تحمل ما يخططه إلي مرحلة حرجة بعد وفاته تتعلق بدور ولده وموقف القواعد الشعبية منه. وقد تمكن الإمام العسكري(عليه السلام) من إخفاء ما يتعلق بولده(عليه السلام) عن أعين السلطة ولم يحسوا بشيء، فلم يكن مع الإمام(عليه السلام) في مرضه سوي زوجته وعقيد الخادم، وقد أدّى صلاة الفجر والتحق بالرفيق الأعلى مودعاً ولده وموكلاً أمره للرعاية الإلهية(2).

تجهيز الإمام العسكري(عليه السلام) وتشيعه

لمّا بلغ أهل سامراء نبأ استشهاد الإمام (عليه السلام) ضجّت البلدة بأهلها فإنّ الجميع كانوا يقرّون بزهده وورعه وعبادته وبشرف نسبه، ولا يختلفون في ذلك علي مختلف مستوياتهم الخاصّة والعامة - فتعطلت الأسواق واجتمع الناس لتشيع جثمان الإمام (عليه السلام)، كما بعث الخليفة أخاه أباعيسي بن المتوكّل لأداء الصلاة، ولمّا دنا لأداء الصلاة كشف عن وجه الإمام و عرضه علي الحاضرين وقال: هذا الحسن بن علي بن محمّد بن الرضا(عليهم السلام) ، مات حتف أنفه علي فراشه. وهذا القول ممّا يثير الاستغراب والتساؤل، فليس معهوداً ذلك عند الصلاة علي ميّت قبله، غير أنّه يكشف عن الرعب

ص: 51

1- الطبرسي، أعلام الوري، ص 360.

2- كمال الدين، ج 2، ص 437.

الذي كانت تعيشه السلطة وخشيتها من أن يثار سؤال حول سبب موته، وهو لم يتجاوز الثلاثين عاماً وكان بكامل صحته، ولم يشترك مرضاً، ثم غطي وجهه الكريم وصلي عليه وأمر بحمله(1). وهكذا كان ذهن السلطة مشحوناً بالتوجس والحذر مما يروونه مرتسماً في أذهان الناس بوضوح - وإن لم تصرح به الأفواه، وهو التهمة التي تشير إلي ضلوع الجهاز الحاكم بعملية اغتيال الإمام(عليه السلام)(2) بدس السم إليه.

ونري أن كثرة ما أرسله الخليفة من أطباء وخدم وغيرهم إنما كان من أجل أن يتعرف علي الداخلين إلي بيت الإمام(عليه السلام) والخارجين منه ومدى تعرفهم علي حالة الإمام(عليه السلام).

ومع أن أباعيسي بن المتوكل قام بالصلاة علي الإمام(عليه السلام) في خارج بيته فقد صلي عليه ولده المهدي(عليه السلام) مع جمع من أصحابه و مواليه بعيداً عن المستوي الرسمي الذي أعدته السلطة.

وقبل صلاة الإمام المهدي(عليه السلام) علي أبيه خرج عقيد الخادم ودعا (جعفر بن علي)أخا الإمام العسكري وعمّ الإمام المهدي(عليه السلام).

وكان جعفر يري أن الإمام العسكري ليس له خلف ظاهر و وريث واضح، ممّا دفعه ذلك للصلاة و الوقوف أمام الناس بقبول التعزية بأخيه والتهنئة بالإمامة، غير أن تخطيطه لم يفلح حيث تصدّي الإمام المهدي(عليه السلام) له عند دخوله للصلاة علي أبيه الإمام العسكري ونحاه عن جنازة أبيه، وشاهد المجتمعون داخل البيت صبيّاً يخرج وبوجهه سمرة و بشعره ققط وبأسنانه تفلج، يجذب رداء عمّه جعفر ويتقدّم للصلاة علي أبيه(عليهما السلام).

وبعد أن أدّي الإمام(عليه السلام) الصلاة أخرج جثمان الإمام العسكري(عليه السلام) للجُمهور،

ص: 52

1- الإرشاد، ص 320.

2- كمال الدين، ج 2، ص 435 وما بعدها.

و من ثم تمّ تشييعه وحمله إلى مثنوا الأخير، وقد دفن إلى جنب أبيه الهادي (عليهما السلام).

كسب دار الإمام العسكري (عليه السلام)

لم يتيسر للسلطة العباسية بعد البحث والتفضي، أيّ خبر عن وجود الإمام المهدي (عليه السلام) أو ولادته. وكان أول خبر وصلها عن وجوده المبارك هو الذي وصلها عن طريق جعفر بن علي حين أبلغ المعتمد عن وفد من القميين كانوا قد جاءوا إلى سامراء وأوصلوا أموالهم إلى الإمام (عليه السلام) وكان جعفر هذا قد رأى الإمام (عليه السلام) لأول مرة حين دفعه عن الصلاة علي جنازة أبيه العسكري (عليه السلام)، فلما بلغ المعتمد ذلك أرسل جماعة من قواده وجنده للبحث في دار الإمام العسكري عن ولده، فالسلطة لم تتحمل قضية المصلح المنتظر فهي قد بثت عيونها بحثاً عنه وسبق أن أرسلت نساءً للتعرف علي نساء الإمام وأنّ أيتها تبتدو عليها علامات الحمل، ولكن لم تفلح في شيء، والآن أصبح من تبحث عنه السلطة حقيقة ماثلة أمام عينيها وهذا عمه أقرب الناس إليه به، فأصبحت السلطة علي يقين بوجوده (عليه السلام)، لذا بادرت بإرسال تلك الجماعة للبحث عنه، غير أنّ هذه الجماعة لم يسبق لها التعرف علي شخصيته المباركة، وربما كانت تراه ولا تستطيع التعرف عليه، وفعلاً تمكّن الإمام (عليه السلام) أن يخرج من البيت والجند مشغولون بالبحث عنه دون أن يلاحظوه، وهو يومئذ ابن ست سنوات فلم يره أحد منهم حتّي غاب (1).

ولم يجد هؤلاء في دار الإمام (عليه السلام) إلا أمّ المهدي (عليه السلام) فقبضوا عليها وأرسلوها إلى السلطان العباسي وبدأت محنة هذه المرأة الصالحة وهي تواجهها بكل صبر وصمود وإخلاص وإيمان، وخرجت من محنتها منتصرة قد حفظت سرّ ولدها ولم تُبح به للسلطة، وأبقتة محجوباً مصنوعاً من الأعداء، وموهت السيّدة الصالحة علي السلطة

ص: 53

بادعائها أنّها حامل، و وقع كلامها في ذهن الحكّام موقعاً محتملاً.

إنّ السلطة كانت تترقّب ولادة المهدي (عليه السّلام) من الإمام العسكري (عليه السّلام) وهاهو قد انتهت حياته، ولم تر له ولداً ولم تسمع بولادته، ولما لم تعثر له علي أثر بعد التفتيش قرب في ذهنها أنّ حديث ولادته صحيح، وأنه لا بدّ من مراقبة والدته حتّى تلد حملها فهو الإمام الموعود الذي سيزيل عروش الظالمين، ويملاً الأرض عدلاً.

ومن هنا جعلوا السيدة أم الإمام المهدي (عليه السّلام) تحت مراقبة نساء الأعلّي رجال الدولة - نساء المعتمد والموفق والقاضي ابن أبي الشوارب - وكانوا يتعاهدون أمرها في كلّ وقت وطالت المدّة ولم يحصلوا علي شيء. و بقيت تحت المراقبة والإقامة الجبرية حتي واجهت الدولة مشاكل كبري وخاضت حروباً ضد معارضيها الذين أخذوا يهدّدون كيان الدولة فكانت ثورة صاحب الزنج، واقترب يعقوب بن الليث الصّفّار من العاصمة، وغيرها من الاضطرابات التي أحاطت بالدولة وقتئذ(1) ومات وزير المعتمد عبيد الله بن يحيي بن خاقان وهو ذو شخصية مرموقة ومؤثّرة في مجريات الأحداث(2).

ونخلص إلي أنّ أم الإمام المهدي عاشت في حجز المعتمد مدّة بلغت عامين تقريباً حيث أطلقوا سراحها سنة (262 هـ).

ويّضح أنّ هدف السلطة من حجزها كان التعرّف علي وجود الإمام (عليه السّلام) لأنّها كانت تتوقّع أن يتّصل بوالدته - إن كان مولوداً و موجوداً - خلال هذه المدّة التي تعرّضت فيها إلي الاضطهاد وإلا فإنّ المدّة التي أحتجزت فيها كانت أكثر من فترة الحمل، ومع هذا فقد باءت جهود السلطة بالفشل الذريع ولم تنل ما كانت تتوقّعه من العثور علي الإمام المهدي (عليه السّلام) أو أيّ أثر يدلّ عليه. 1

ص: 54

1- أنظر الكامل، ج 6، ص 7 وما بعدها.

2- الكامل، ج 6، ص 15.

و كانت السلطة تخشي وجود الإمام العسكري (عليه السلام) و تحركه ونشاطه، ولما كان تحركه (عليه السلام) ببالح الكتمان والسرية، لم تتمكن السلطة من الوقوف علي نوع تحركه مع تنامي الوعي والنشاط في القواعد الشعبية الموالية له فإنها التجأت إلي دس السم إلي الإمام (عليه السلام) واستشهد سنة 260هـ، فضلاً عن أن السلطة ربما كان يدور في مخيلتها أن الإمام المهدي (عليه السلام) لم يولد بعد، فهي بعملها هذا تكون قد حققت غايتها في التخلص من الإمام العسكري (عليه السلام) وولده المنتظر لإزالة ملك الطواغيت.

وإن حرص الخليفة وحاشيته بتواجدهم في دار الإمام (عليه السلام) والتعرف علي ما يحدث وسرعة وصول خبر اعتقال الإمام العسكري (عليه السلام) وإر الأطباء والوجهاء والخدم إلي داره (عليه السلام) من قبل الخليفة وأن الموفق حينما يكشف عن وجه الإمام العسكري ويقول عنه إنه مات حتف أنفه يوفّر قرينة أخرى تؤكد اتهام السلطة بالقيام بذلك العمل لأجل التخلص منه.

ثم إن السلطة بعد وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) ووشاية جعفر بالوفد القمي وبأنه سلم الأموال إلي الإمام المهدي، قامت بإرسال جلاوزتها لكبس دار الإمام (عليه السلام)، للبحث عن وجود المهدي ممّا أذي إلي اعتقال أم الإمام المهدي (عليه السلام) ولم يُفرج عنها إلا بعد عامين من حجزها بين نساء أعلي رجال الدولة.

1. متي استشهد الإمام العسكري (عليه السلام) وكيف تم ذلك؟ 2. ماذا يعني سرعة وصول خبر اعتلال ومرض الإمام العسكري

(عليه السلام) لوزير المعتمد؟

3. لماذا أرسله السلطة الأطباء والوجهاء إلي بيت الإمام العسكري (عليه السلام)؟

4. هل أن وجود عيون السلطة في دار الإمام (عليه السلام)

أثناء مرضه منعه من أداء دوره؟ ولماذا؟

5. من الذي صلي علي الإمام العسكري (عليه السلام) بعد وفاته؟ .

6. ماذا يُستفاد من كثرة الناس في تشييع الإمام العسكري (عليه السلام) واضطراب سامراء في ذلك اليوم؟

7. كم مدة حجزت أم الإمام المهدي (عليه السلام) وهل استفادت السلطة منها حول ولدها؟

8. أين دفن الإمام العسكري (عليه السلام)؟

الدرس 6: إمام المهدي (عليه السلام) يتسلم زمام الأمر

عمر الإمام المهدي (عليه السلام) حين تسلمه مهام الإمامة

كانت ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) سنة 255 هـ. أو 256هـ(1)، وعاش في ظلّ أبيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) خمس سنوات، حيث استشهد أبوه عام 260 هـ. (2) فيكون عمره الشريف حين تسلمه مهام الإمامة خمس سنوات.

بدء الغيبة الصغرى

يؤرّخ لبدء الغيبة الصغرى بوفاة الإمام العسكري (عليه السلام) فهي مقترنة بتولّي الإمام المهدي (عليه السلام) مهام الإمامة، وقد بدأها الإمام (عليه السلام) بتنصيب وكيله الأول عثمان بن سعيد العمري عندما قابله وفد القميين، وسمّيت هذه الفترة بالغيبة الصغرى لعدم احتجاب الإمام كليّاً، حيث كان يتّصل بقواعده عن طريق وكلائه ونوّابه.

ويمكن أن نُجمل عن مميّزات هذه الفترة - الغيبة الصغرى - بالنقاط التالية:

ص: 57

1- إعلام الوري، ج 2، ص 214

2- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 7، ص 126.

1. بدأت بتولي الإمام المهدي (عليه السّلام) ، للمنصب الإلهي الكبير في إمامة المسلمين بعد ارتحال أبيه (عليه السّلام) ، و مسؤوليته الكبرى في قيادة قواعده الشعبية خاصّة والبشرية كلها عامّة إلي شاطئ الأمن والعدل.

2. كان الإمام (عليه السّلام) يتصل في هذه الفترة بعدد من ثقاته وخاصته ولم يكن احتجابه مطلقاً، بل يبدأ استتاره بعد نهاية هذه الفترة في سنة 329. بعد وفاة النائب الرابع علي بن محمّد السّمري.

3. وجود السفراء الأربعة الموكّلين بتبليغ تعاليم الإمام المهدي (عليه السّلام) إلي الناس من قواعده الشعبية، بحسب الوكالة الخاصّة المنصوص عليها من قبل المهدي (عليه السّلام) نفسه أو من قبل آبائه (عليهم السّلام) .

فكان كلّ ما يصدر عن الإمام (عليه السّلام) ويرد عليه من قواعده يتمّ بواسطة هؤلاء السفراء.

ولابدّ من الإشارة إلي أنّ هذه الفترة قد اشتملت علي مصاعب جمّة و مشاكل كبرى قد واجهها الكيان الشيعي وذلك بادّعاء من قبل الوكالة الخاصّة زوراً وبهتاناً أفراد متعددين، ومعارضتهم

للسفراء الحقيقيين، وإغرائهم للناس بالجهل والغواية، غير أنه لم يكتب لتلك المزاعم إلا الفشل والخيبة، نتيجة لجهود واسعة بذلها السفراء في تكذيبهم وعزل الناس عنهم بإيصال ما كان يرد عن الإمام (عليه السّلام) من توقيعات وبيانات بصدد هؤلاء المنتحلين للوكالة.

كما أضيفت إلي مسألة ادّعاء الوكالة صعوبات أخرى كان يواجهها الإمام المهدي (عليه السّلام) وقواعده الشعبية و مواليه، حيث كانت المطاردة و البحث من قبل السلطة عن الإمام (عليه السّلام) بالخصوص و تجاه قواعده الشعبية علي وجه العموم.

كما أنّ الدولة كانت توجّه فقهاءها للتصدّي إلي مسألة الإمامة محاولة منها في تشويه هذا المبدأ بنفي حقيقة وجود الإمام المهدي (عليه السّلام) علماً بأنّ القواعد الشعبية الموالية كانت في هذه الفترة فاقدة للاتّصال المباشر بشخصيّة الإمام (عليه السّلام) والتعرّف

عليها تلك الشخصية الفذة النيرة التي تعطي من توجيهها وتبويرها في نقض الشبهات وحلّ المشكلات الشيء الكثير، ممّا يصعب علي الوكلاء والسفراء القيام به إلا بشكل يكون أضيق دائرة وأقل درجة. علي أنّ الإمام المهدي (عليه السّلام) في بياناته ومقابلاته للآخرين لم يكن يأل جهداً في التوجيه والتبوير و حل تلك الإشكالات و ما يثار من المسائل الكلامية وسواها، مضافاً إلي أن فكرة الإمام غيبة المهدي (عليه السّلام) و طول عمره وما يترتب علي ذلك من فائدة ونحوها من الأسئلة التي أصبحت تثار من قبل فقهاء السلطة لم يكن لها أي موضوع أو مجال في زمان وجود الأئمة (عليهم السّلام)، وهذا الظرف كان يكلف السفراء، و من ثمّ الإمام المهدي (عليه السّلام) نفسه مناقشة مثل هذه الشبهات وتذليلها بنحو منطقي مقنع من أجل إفهام المؤمنين ورفع مستوي وعي القواعد الشعبية الموالية.

الملاح العامة لعصر الغيبة الصغري

ويُقصد بالملاح العامة أبرز الحوادث والظواهر التي تميّز بها هذا العصر علي المستوي الخاص (أي الكيان الشيعي) بقيادة الإمام المهدي (عليه السّلام) وسفرائه وعلي المستوي العام الذي يشمل حالة الدولة بطبقاتها المختلفة وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية، واستتباب الأمن أو الاضطرابات والانتفاضات، ويشمل الأُمَّة أيضاً ووضعها و موقفها من الدولة والأحداث التي مرّت بها خلال هذه الفترة التي امتدّت سبعين عاماً تقريباً أي من وفاة الإمام العسكري (عليه السّلام) سنة 260هـ وحتى وفاة السفير

الرابع علي بن محمّد السمري عام 329 هـ. (1).

و أهم هذه الملاح هي:

1. انتقال الوكالة الخاصّة أي السفارة عن الإمام المهدي (عليه السّلام) بين أربعة من خيار

ص: 59

1- تاريخ الطبري، احداث السنوات (260 هـ. 329 هـ).

خلق الله وخاصته وهم:

أ. عثمان بن سعيد العمري (الم تعرف سنة وفاته(رضي الله عنه) ببغداد.

ب - محمّد بن عثمان العمري، المتوفي سنة (304 هـ أو 305) ببغداد.

ج - الحسين بن روح النوبختي، المتوفي سنة (320هـ) ببغداد.

د. علي بن محمّد السمري، المتوفي سنة (328هـ أو 329هـ) ببغداد.

2. تولّى الخلافة ستّة من بني العباس للخلافة في هذه الفترة أولهم المعتمد الذي عاصر وفاة الإمام العسكري (عليه السّلام) في بداية الغيبة الصغري حتّى عام 279 هـ حيث آلت الخلافة إلي المعتضد حتّى سنة 289هـ واستخلف المكتفي إلي سنة 295 هـ ، وبعده المقتدر إلي سنة 320هـ ثمّ القاهر بالله حتّى سنة 322هـ.(1).

ثم الراضي حتّى عام 329هـ وهو عام وفاة النائب الرابع علي بن محمّد السمري(رضي الله عنه) ونهاية العهد الذي نُورّخ له.

3. ضعف الخلافة العباسية، وسيطر الموالي والأتراك علي دفة الحكم ومقاليد الأمور، و تأثيرهم في نصب الخليفة وعزله، فكما كانوا الساعد الأيمن للدولة كانوا عاملاً مهمّاً في ضعفها وانحلالها.

4. قتل الخلفاء، إذ قلّمَا كان يموت خليفة حتف أنفه، فالمعتمد كان يكثر من الأكل فمات مبطوناً(2) . والمعتضد مات مسموماً من قِبَل إحدى جواريه(3) والمقتدر قتل شرّاً قتلة من قِبَل المغاربة والبربر، وقال لهم: ويحكم أنا الخليفة فقالوا: قد عرفناك يا سفلة. أنت خليفة إبليس، وقتلوه وأخذوا جميع ما عليه حتّى سراويله، وتركوه مكشوف العورة إلي أن مرّ به رجل فستره بحشيش ثمّ حفر له موضعاً ودفن وعفي

ص: 60

1- تاريخ الطبري، احداث السنوات (260هـ - 329هـ).

2- الكامل في التاريخ، ج 6، ص 73.

3- المسعودي، مروج الذهب، ج 4، ص 184.

قبره(1). والقاهر العباسي تولّى الحكم يومين وعاد أخوه المقتدر للحكم وقال له: لو لَقَبوك بالمقهور لكان أولي من القاهر، وبكي القاهر، وقال: يا أمير المؤمنين نفسي نفسي اذكر الرحم الذي بيني وبينك(2).

5. كثرة الحروب والاضطرابات الداخلية التي كان يقوم بها المعارضون للدولة من الأكراد، والخوارج والأعراب وغيرهم، وكذا من الخارجين عليها الطامعين في الملك والسيطرة، حتّى أنّ بعض الأقاليم استقلّت عن السلطة المركزية للدولة، فهذا مرداويج يخرج في فارس ويملك طول البلاد وعرضها.

6. انتقال الخلافة من سامراء إلي بغداد حيث بويع المعتضد أبي العباس بن الموفق في بغداد سنة 279 هـ، وفقدت سامراء مركزها التاريخي الذي بدأ في خلافة المعتصم.

7. نهاية ثورة الزنج وقتل صاحبها علي بن محمّد بعد أن عاث في البلاد فساداً وقتلاً واستعبد الناس حيث كان بدء خروجه سنة 255 هـ و قتل سنة 270 هـ(3).

8. شهد هذا العصر أيضاً نهاية الدولة الطولونية في مصر، والتي بدأت سنة 254 هـ في عهد المعتزّ وكان مؤسسها أحمد بن طولون التركي حيث كان والياً عليها، مستقلاً عن عاصمة الخلافة بغداد واستمر في الحكم حتّى مات مبطوناً سنة 270 هـ(4).

و بقيت الدولة الطولونية حتّى سنة 292 هـ حيث استولي الخليفة المكتفي علي دولتهم وأموالهم وولّى مصر يحيى النوشري وبذلك انقرضت هذه الدولة.

9. ظهور شخص في شمال إفريقيا يدّعي أنّه هو المهدي وأنّه من ذرية إسماعيل بن جعفر بن محمّد الصادق (عليه السّلام) وهو جدّ الفاطميين في مصر وقد استولي علي أراضٍ واسعة الأرجاء سنة 296 هـ بعد أن مهّد له أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمّد بن

ص: 61

1- الكامل في التاريخ، ج 6، ص 221.

2- الكامل في التاريخ، ج 6، ص 202.

3- الكامل في التاريخ، ج 6، ص 51 - 53.

4- الكامل في التاريخ، ج 6، ص 55.

زكريا الشيعي من أهل صنعاء وقضي علي دولة آل الأغلب في تلك المنطقة و طرد آخر أمرائها زيادة الله بن محمد (1). وملك قسماً كبيراً من الشمال الإفريقي بما يقابل ليبيا وتونس والجزائر من الدول المعاصرة وبعد أن استتبت له الأمور رفع يد أبي عبدالله الشيعي ويد أخيه أبي العباس، فسعي الأخير إلي التشكيك في مهدويته قائلاً: إن هذا ليس الذي كنا نعتقد طاعته و ندعو إليه، لأن المهديّ يختم بالحجّة ويأتي بالآيات الباهرات، فوقع قوله هذا في قلوب الناس و تأثروا به حتّي أنّ شيخ المشايخ من كتامة قال لمدعي المهديّة، إن كنت المهدي فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك فلم يمكن منه إلا أن قتل شيخ المشايخ هذا (2).

وكان للمهدي هذا جولات مع الدولة لاحتلال مصر في سنة 301 - 307هـ واحتلّ قسماً من المغرب سنة 315، وتوفي سنة 333هـ بعد أن قاتل أبانيزيد الخارجي (3).

ومن الطريف أن تقع دولة هذا المهديّ وادّعاءه للمهدويّة في خلال عصر الغيبة الصغرى للإمام المهدي (عليه السلام).

10. ظهور القرامطة، وهم فرقة من الإسماعيلية تزعم أنّ محمّد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، وهم من الباطنية، استحلّوا أعراض الناس بالسيف والقتل وسلب أموالهم، خلال هجومهم علي قوافل الحجّاج وقلعوا الحجر الأسود، ويذكر ابن الأثير أنّ صلاتهم كانت تختلف عن صلاة المسلمين وأنّ قبلتهم كانت بيت المقدس و عطلتهم كانت يوم الاثنين (4).

وربّما يستفاد من رسالة المهدي محمد بن عبدالله العلوي إليهم وجود صلة وعلاقة

ص: 62

1- الكامل في التاريخ، ج 6، ص 111.

2- الكامل في التاريخ، ج 6، ص 134، 333 و 338.

3- المصدر السابق.

4- الكامل في التاريخ، ج 6، ص 70.

بينه وبينهم، حيث أعادوا الحجر الأسود إلي مكانه بعد ورود رسالته إليهم.

11. قيام الدولة البويهية سنة 321هـ وقد اتسعت قيادة عمادالدولة علي بن بويه وسيطرته في فارس و توسع ملك الدولة البويهية نتيجة لذلك(1).

الثورات العلوية

كان لوجود الأئمة (عليهم السلام) وحضورهم وتوجيههم المباشر وغير المباشر أثراً واضحاً لانفجار الثورات الداعية إلي الرضا من آل محمد(صلي الله عليه وآله وسلم) بنحو استطاع الأئمة (عليهم السلام) أن يخفوه عن السلطات الجائرة في الفترة السابقة لعصر الغيبة، ففي خلال أقل من نصف قرن قد ثار عشرون شخصاً، بينما نرى أن السبعين سنة التالية لحضورهم تكاد تكون خالية من هذه الثورات.

وإن ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني عن قتلي الطالبيين في هذه الفترة لا يعني كثرة الخارجين علي الدولة، بل إن من باشر الحرب منهم لا يزيد عن اثنين أو ثلاثة(2). ويعود السبب في ذلك إلي أمرين:

الأول: كثرة الحركات المضادة للدولة والتي كانت تختلف في عقيدتها وأهدافها مع ثورات الرضا من آل محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) ومع اعتزال العلويين الخروج ضد الدولة، كانت الدولة ترمي من تجد في وجوده خطراً عليها بأنه من القرامطة، وهو عنهم بعيد.

والأمر الثاني: وهو أهم من الأول، والذي يرجع إلي انتهاء زمن حضور الأئمة (عليه السلام) وانقطاع اتصالهم بالأئمة بعد وفاة الإمام العسكري(عليه السلام) وابتداء الغيبة الصغرى. ففي هذه الفترة يلحظ تضائل الدافع الثوري والتوجيه القوي إلي التمرد والقيام بالسيف.

ص: 63

1- الكامل في التاريخ، ج 6، ص 230.

2- الغيبة الصغرى، ص 362.

وقد يوجّه ذلك بأن هدف الثورات العلوية غالباً لم يكن إسقاط النظام القائم بل كانت تلك الثورات لإشغال السلطة وإبعادها عن الضغط علي إمام العصر، ليتمكّن من أداء رسالته بإعداد قواعده والحفاظ علي الشريعة. أمّا الوكلاء الأربعة فكانوا حلقة الوصل بين الإمام المهدي(عليه السّلام) وقواعده وكانوا يهيّتون الأمة إلي مرحلة تطول ولا يعلم نهايتها إلا الله سبحانه، فلا بدّ من إعدادهم وتمييزهم الفكرية والروحية والبلوغ بهم مرحلة الاستقلال الفكري في مرحلة الوكالة العامة وهي مرحلة الغيبة الكبرى، حيث لا اتصال للأمة بالإمام(عليه السّلام).

تسلّم الإمام المهدي (عليه السّلام) مهامّ الإمامة بعد استشهاد أبيه الإمام العسكري (عليه السّلام) سنة 260هـ وكان عمره الشريف خمس سنوات. وفي هذا العام ابتدأت الغيبة الصغرى وكان نائب الإمام (عليه السّلام) الأوّل ووكيله عثمان بن سعيد العمري هو الواسطة فيما بينه وبين قواعده، وسمّيت الفترة الممتدة بين 260هـ و329هـ حيث وفاة آخر وكلائه بالغيبة الصغرى لعدم احتجاب الإمام (عليه السّلام) كلياً عن قواعده حيث كان الاتّصال يتمّ عن طريق الوكلاء، وقد ادعي بعض الأشخاص الوكالة الخاصة والنيابة عن الإمام المنتظر (عليه السّلام) ولكن تصدّي السفراء إلي محاولات هؤلاء أدّى إلي إحباط محاولاتهم وإفشالها، فلم يفلحوا بانتحالهم النيابة وقد قاطعتهم القواعد الشعبية الموالية للإمام.

وقد كان لتوجيهات الإمام وبياناته الدور الأكبر في إفشال مخططات الدولة التي وجهت فقهاؤها في محاولة يائسة لتشويه حقيقة إمامة المهدي (عليه السّلام) ووجوده وما يتعلّق بذلك من طول عمره وصغر سنّه عند تولّيه منصب الإمامة.

ولهذه المرحلة - فترة الغيبة الصغرى - ملامح امتازت بها منها: وجود الوكلاء أولاً ومن ثمّ ملامح تخص العصر ومايتعلّق بضعف الخلافة والصراع علي السلطة والخروج عليها من قبل المعارضين، كحركة صاحب الزنج والقرامطة وغيرها من الحركات، بيد أنّ الحركات الداعية إلي الرضا من آل محمّد تكاد تنعدم في هذه الفترة، وإن لم تخلُ من تعقّب السلطة للعلويين والشيعة والقتل والتشريد فيهم.

1. متى تسلّم الإمام المهدي (عليه السلام) مهام الإمامة؟

2. كيف كان يتصل الإمام (عليه السلام) بقواعده الشعبية؟

3. لماذا لم تنجح الدولة في توظيف نقائها لأجل تشويه حقيقة وجود الإمام (عليه السلام)؟

4. عدّد ملامح عصر الغيبة الصغرى؟

5. من هم وكلاء الإمام المهدي (عليه السلام) في فترة الغيبة الصغرى؟

6. ماذا استفاد من تولّي ستّة خلفاء للدولة العباسية خلال هذه الفترة 260-279هـ؟

7. ماذا يعني إدعاء البعض المهدوية وقيام دولة تحت هذا الاسم؟ 8. بماذا تُعلّل قلّة الثورات العلوية الداعية للرضا من آل محمّد (صلّي الله عليه وآله وسلّم) في هذه الفترة؟

9. إلي أي شيء كانت تهدف الثورات العلوية؟

الدرس 7: الإمام المهدي (عليه السلام) و التصدي لمهام الإمامة

وفد القميين

وفدت جمهرة من القميين والإيرانيين، و معهم الأموال من الشيعة إلي الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، فلما انتهوا إلي (سامراء) أخبروا بوفاته، فسألوا عن القائم مقامه فأخبرهم بعض عملاء جعفر أنه هو الإمام، وأنه قد خرج متنزهاً في دجلة، ومعه فريق من المغنيين فهالهم ذلك، لأن الإمام لا يقترب أي ذنب أو معصية وصم الوفد القمي علي الالتقاء به، والتعرف علي خبره، فلما قفل جعفر راجعاً إلي منزله خفوا إليه، فسلموا عليه، وقالوا له:

«نحن من (قم) و معنا جماعة من الشيعة، وكنّا نحمل إلي سيدنا أبي محمد الحسن ابن علي الأموال...».

وسارع جعفر قائلاً: «أين هي؟».

فقالوا: «معنا».

وبادر جعفر قائلاً: «احملوها إلي»

فطلبوا منه أن يخبرهم عن كمية الأموال، و من الذي أرسلها إلي الإمام كما كان يخبرهم بذلك الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) فزجرهم جعفر وصاح بهم: «كذبتم تقولون

ص: 67

علي أخي ما لا يفعله، هذا علم الغيب، ولا يعلمه إلا الله...».

وعجب القوم، وراح بعضهم ينظر إلي بعض، وتميّز جعفر غيظاً وغضباً وقال لهم: «احملوا إلي هذا المال...».

فردّوا عليه: «إنا قوم مستأجرون، ووكلاء، وإنا لا نسلّم المال إلا بالعلامة التي كتّنا نعرفها من سيّدنا الحسن بن علي العسكري (عليه السّلام)، فإن كنت الإمام قبرهن لنا، وإلا رددنا الأموال إلي أصحابها يرون فيها رأيهم...».

ونفض جعفر إلي الخليفة فأخبره بالأمر مستعيناً به علي أخذ الأموال منهم، فبعث إليهم، فلمّا مثلوا أمامه قال لهم:

«احملوا هذا المال إلي جعفر...».

فقالوا له برجاء:

«أصلح الله أمير المؤمنين نحن قوم مستأجرون، ووكلاء لأرباب هذه الأموال، وأمرونا أن لا نسلّمها إلا بعلامة ودلالة، وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمّد الحسن بن علي...».

وسارع الخليفة قائلاً: «فما كانت العلامة مع أبي محمّد؟».

وراحوا يخبرونه عنها قائلين:

«إنّه كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي؟ فإذا فعل ذلك سلّمناها إليه، وقد وفدنا إليه مراراً فكانت هذه علامتنا معه، وقد مات، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر فليقم لنا بما كان يقيمه لنا أخوه، وإلا رددناها علي أصحابها...».

وتميّز جعفر غضباً فقال للخليفة:

«يا أمير المؤمنين إنّ هؤلاء قوم كذّابون علي أخي، وهذا علم الغيب...». فلم يعتن الخليفة به، واستجاب للوفد وقال لجعفر: «القوم رسل وما علي الرسول إلا البلاغ المبين».

وأسقط ما في يد جعفر، والتفت الوفد إلي الخليفة طالبين منه الحماية حتّي

يخرجوا من سامراء فبعث معهم نقيباً من الشرطة لحراستهم، فلما خرجوا من المدينة، طلع عليهم شاب، حسن الوجه، فصاح

بأسمائهم واحداً بعد واحد وقال لهم:

«أجيبوا مولاكم».

فقالوا: «أنت مولانا؟».

فقال: «معاذ الله أنا عبد مولاكم، فسيروا إليه».

وساروا معه، وقد ملئت نفوسهم سرورة، فأتوا إلي دار الإمام (عليه السلام) وكان جالساً علي سرير، كأن وجهه الشريف فلقة قمر وعليه ثياب خضر فسلموا عليه، ولما استقر بهم المجلس بادر الإمام فأخبرهم بكمية المال وبأسماء المرسلين له، وعرفهم برجالهم، وما كان معهم من الدواب، ولم تبقى بادرة إلا أخبرهم بها، فخرّوا لله ساجدين، لما هداهم إلي معرفة الإمام (عليه السلام)، ثم سألوه عن بعض الأحكام الشرعية فأجابهم عنها، فسلموه الأموال، وأمرهم أن لا يحملوا شيئاً من الأموال إلي سامراء وأنه ينصب لهم وكيلاً ببغداد يحملون الأموال إليه، وتخرج بواسطته التوقيعات، كما دفع الإمام (عليه السلام) إلي أبي العباس محمد بن جعفر القمي الحميري شيئاً من الحنوط والكفن و قال له: عظم الله أجرك في نفسك ولما بلغوا عقبة همدان توفي أبو العباس (1).

جعفر بن الإمام علي الهادي (عليه السلام)

برزت شخصية جعفر بن علي الهادي (عليه السلام) عقيب وفاة أخيه الإمام العسكري (عليه السلام) إذ كان يري نفسه الوريث الشرعي لأخيه، كما كان يري أن أخاه لم يكن له خلف يرثه، ويتولّى شؤون الإمامة من بعده، لذا نجده تارة يسعى إلي السلطة لتجعله إماماً في محل أخيه العسكري، وأخري يطلب من الوفد القمي أن يسلمه الأموال وغيرها لأنه أخو الإمام العسكري (عليه السلام) وهكذا فقد كان لجعفر دورٌ في جملة من الأمور والقضايا بعد

ص: 69

وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) وبدء الغيبة الصغرى ستّضح لنا من تضاعيف البحث. أمّا بالنسبة لموقف الإمام الهادي (عليه السلام) من ولده جعفر فنجدّه (عليه السلام) يأمر أصحابه بالابتعاد عنه وعدم مخالطته موصّحاً لهم أنّه خارج عن تعاليمه عاصٍ لأمره ونهيه، وكان يقول لهم تجنّبوا ابني جعفراً(1).

ويروي عن أحمد بن عبيدالله بن خاقان أنّه كان إذا سُئل عن جعفر قال: ومن جعفر حتي يُسأل عنه أو يقرن بالحسن (عليه السلام)؟(2)

وذات مرّة دخل الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) علي أصحابه في السجن لأجل أن يبشّروهم بخروجهم من السجن، ويعرّفهم علي رجل كان عيناً للسلطان يعمل ضدّهم، وكان معه أخوه جعفر(3).

وقد كانا معاً مسجونين في عهد المعتمد، فأرسل المعتمد رسولاً إلي السجن لإبلاغ الإمام العسكري (عليه السلام) سلامه وإطلاق سراحه.. وحين وصل الرسول وجد علي الباب حماراً ملجماً والإمام قد لبس خفّه وطيلسانه فأدي له الرسالة، وهنا أرجع الإمام (عليه السلام) رسول المعتمد إليه من أجل أن يخبره بأن الإمام (عليه السلام) يقول إنه و جعفر، قد خرجا من الدار جميعاً، فإذا رجع وحده وليس معه جعفر كان في ذلك ما لا خفاء به علي الخليفة فمضى الرسول وعاد بأمر اطلاق سراح جعفر مع الإمام (عليه السلام) فصار معه إلي داره(4).

ولم يؤثر ذلك السلوك من قبل الإمام (عليه السلام) في جعفر فنجدّه عندما التحق الإمام العسكري (عليه السلام) بالرفيق الأعلي يستغل الموقف بالشكل الذي يتمكّن به من الادعاء بأنّه وريث الإمامة ليحرز منصب الإمام (عليه السلام) وجباية الأموال ولم ينجح في ذلك.

موقف جعفر من الإمام المهدي (عليه السلام) وإمامته

ويتلّخص موقف جعفر في جملة من الأمور هي:

ص: 70

1- ذبيح الله محلاتي، تاريخ سامراء، طبع النجف، ج 2، ص 251.

2- الشيخ المفيد، الارشاد، ص 319.

3- أعلام الوري، ص 354.

4- تاريخ سامراء، ج 2، ص 256.

1. ادعاؤه الإمامة بعد أخيه الحسن العسكري (عليه السلام) فقد استخدم عدّة وسائل في سبيل ذلك منها محاولته الصلاة علي أخيه و توسّطه عند الخليفة ليجعله في مرتبة أخيه في الزعامة غير أنّ المعتمد نهره وقال له: تلك منزلة خاصّة ليس لي فيها يد.

وقال له المعتمد: «اعلم أنّ منزلة أخيك لم تكن ممّا وإنّما كانت من الله عزّوجلّ، ونحن قد جهدنا في حطّ منزلته و الوضع منها، ولكنّ الله عزّوجلّ يأبى إلّا أن يزيد يوم رفعة. فإن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة لك إلينا، وإن لم تكن بمنزلته، ولم يكن فيك ما كان في أخيك لم نغن عنك شيئاً»(1).

2. ادّعاؤه عدم وجود وريث شرعي للإمام العسكري (عليه السلام) وأنّه يستحقّ التركة، و من ثمّ استيلاؤه عليها بإذن من السلطات الحاكمة.

3. و شايته بالإمام المهدي (عليه السلام) لدي السلطات، وتبدأ السلطة سلسلة من المطاردات والاعتقالات ولم تعثر إلا علي أمّ الإمام المهدي (عليه السلام) وتحتجزها عامين.

لماذا ادّعي جعفر الإمامة؟

و من خلال تتبّع الأحداث بعد استشهاد الإمام العسكري (عليه السلام) نجد أن جملة من العوامل دفعت جعفره لادعاء الإمامة:

1. عدم وجود وريث ظاهر يطالب بحقه بين الناس.

2. ما أحيط به ميلاد الإمام المهدي (عليه السلام) من كتمان وسريّة وعدم الإعلان عنه سوي في نطاق ضيق وبين بعض خواصّ الإمام (عليه السلام) وثقاته.

3. استقبال جعفر للمعزّين بوفاة الإمام العسكري (عليه السلام)

وتصوّر المعزّين بأنّه وريث الإمام العسكري (عليه السلام) .

ص: 71

لماذا فشل جعفر؟

إنّ العوامل السابقة التي دفعت للتصدّي للإمامة لم تساهم في نجاحه لأسباب هي:

1. ما اشتهر به من سلوك غير مرضي و تحذير الإمام الهادي (عليه السلام) شيعته منه و عدم مخالطته، لذا لم تجد دعواه صدي لدي شيعة الإمام (عليه السلام) وقواعده الشعبية الموالية.

2. وإن كانت فكرة الإمام المهدي (عليه السلام) مجملة في الأذهان، نجد أنّ ما قام به الإمام العسكري - من تخطيط تجاه إمامة المهدي (عليه السلام) وولادته ووجوده و من الإعلان الخاص عن ولادته و عرضه علي جماعته وخواصه، فضلاً عن تواتر الروايات عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) والأئمة في صفاته ونسبه . كانت نتائج إبعاد شبهة الإمامة عن جعفر.

موقف الإمام المهدي (عليه السلام) من جعفر

من خلال تتبع الأحداث بعد استشهاد الإمام العسكري ((عليه السلام)) نجد أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) قد تصدى لفضح مخطط جعفر وادعائه الإمامة، ويتلخص موقف الإمام المهدي (عليه السلام) في عدّة نقاط أهمّها:-

1. مبادرة الإمام (عليه السلام) لمنعه من الصلاة وإبعاده عن جثمان أبيه أمام جماعة كثيرة منهم السفير الأول له والخادم عقيد، و من ثمّ صلي الإمام المهدي (عليه السلام) داخل البيت علي جثمان والده (عليه السلام) ، مع ملاحظة أنّ جعفر تأخّر عن الصلاة ولم يظهر أيّ ممانعة في ترك الصلاة علي جثمان أخيه.

2. البيان الذي أصدره الإمام المهدي (عليه السلام) حول نفي إمامة عمّه، وتأكيد علي بطلانها، حيث إنّ جعفر قد كتب إلي بعض موالي الإمام (عليه السلام) يدعوهم إلي نفسه، وأنّه

ص: 72

يقوم مقام أخيه، وحين وصل الكتاب حصل استبعاد حيث دعاه إلي أن يسأل أحمد بن إسحاق الأشعري عن حقيقة هذه الرسالة، الذي هو من أخص أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام)، وهو معروف لدي مواليه فبادر أحمد بن إسحاق بالكتابة إلي الإمام الحجّة (عليه السلام) عن طريق النائب الخاص عثمان بن سعيد، إذ جعل كتاب جعفر في ضمن كتابه ليطلع عليه الإمام المهدي (عليه السلام)، ف جاء جواب الإمام (عليه السلام) إلي أحمد بن إسحاق ذا لهجة شديدة، مستنكراً أشد الاستنكار، ومتحدّياً لجعفر في إثبات الإمامة أقوي التحدي. تضمن كتاب الإمام المهدي (عليه السلام) النقاط التالية(1):

1. أشار إلي وجود أخطاء إملائية في كتاب جعفر.
2. أكّد الإمام (عليه السلام) علي اصطفاء الله سبحانه للأئمّة من آل البيت دون سواهم من إخوتهم أو بني عمومتهم وميّزهم بالعصمة والصفات التي لا تتوفر في غيرهم.
3. نفى الإمام (عليه السلام) أن يكون جعفر هذا عالماً بالحلال والحرام وإثماً يزعم ذلك طلباً لمصلحته و منفعته.
4. ذكّر الإمام المهدي (عليه السلام) بحالة جعفر و سوابقه و آثار عصيانه مشهورة معلومة لدي الخاصّة والعامة.
5. طلب الإمام المهدي (عليه السلام) من أحمد بن إسحاق أن يمتحنه ويسأله عن آية من كتاب الله يفسّرها أو صلاة يبيّن حدودها وما يجب فيها، ليتّضح بطلان ادّعائه و عدم أعلميته.
6. أكّد علي عدم اجتماع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين (عليهما السلام) وختم الإمام (عليه السلام) كتابه بالدعاء لله سبحانه بحفظ الحقّ علي أهله: ويقول إذا أذن الله لنا في القول ظهر الحقّ واضمحلّ الباطل وانحسر عنكم. ومما زاد في خيبة جعفر في دعواه، أنّ السلطة بما تملك من سلطان وقوة عجزت

ص: 73

عن دعمه في ادعائه للإمامة بل أقر الخليفة أن هذه المنزلة - الإمامة - من الله وليس للخليفة يد فيها كما مرّ سابقاً.

ولذا نرى أن الوزير يستهين بجعفر ويزجره ويسمعه ما يكره، فيقول له: يا أحمق، السلطان أطال الله بقاءه جرّد سيفه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردّهم عن ذلك فلم يتهياً له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً، فلا حاجة لك إلي سلطان يرتّبك مراتبهم ولا غير سلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنصب بنا، ثم إن الوزير استقلّه واستضعفه وأمر أن يُجَبَّ عنه، فلم يأذن له في الدخول عليه مات(1).

ولمّا ذهب إلي المعتمد من أجل طلب مساعدته في ذلك كان ردّه مثلما أجابه الوزير وقال له: ما لم يكن فيك ما كان في أخيك لم نغن عنك في ذلك شيئاً(2).

ثم إن جعفر بعد ذلك النشاط المعادي للإمام (عليه السلام) وفشله وإخفاقه في كلّ إدعاءاته تاب وأتاب وأدركته الهداية الإلهية، فتاب ممّا كان منه، وتجاوز عنه الإمام المهدي (عليه السلام)، فصدر التوقيع الشريف في العفو عنه والتجاوز عن تقصيره، تطبيقاً لقوله تعالى: «فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ لَاحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (3) وقوله تعالى: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» (4). وقد خرج التوقيع عن الإمام المهدي (عليه السلام) بواسطة محمّد بن عثمان بن سعيد العمري ضمن عدّة استفتاءات تقدّم بها أحمد بن يعقوب إلي الإمام (عليه السلام) عن طريق هذا السفير وكتب الإمام (عليه السلام) فيما يخصّ جعفر قائلاً: وأمّا سبيل عمّي جعفر وولده، فسبيل إخوة

ص: 74

1- الإرشاد، ص 320 .

2- الخرائج والجرائح، ص 186.

3- المائدة/39.

4- طه /82 .

يوسف (عليه السلام) (1). ، يشير بذلك إلى عفو الله تعالى عن أخوة يوسف بعدما ناصبوه العداة و غررواً به كما حدث بذلك القرآن الكريم ثم عفا عنهم حين تابوا «قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرْنَا اللّٰهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (2).

وهذا البيان من الإمام المهدي (عليه السلام) يدلّ علي العفو و توبة جعفر وصلاحه بقرينة ذكره (عليه السلام) إخوة يوسف وما حدث القرآن عنهم من استغفارهم.

ص: 75

1- الاحتجاج، ج 2، ح 283.

2- يوسف / 91 - 92.

لقد كان جعفر بن الإمام الهادي (عليه السلام) يخطط لنيل الإمامة ووراثة الإمام العسكري (عليه السلام) بادعائه أنّ الإمام العسكري (عليه السلام) لم يخلف وليس له وريث غيره، لذا فإنّه سعي بكلّ وسيلة لنيل ذلك، حتّى أنّه توّسل إلي الخليفة ليحمله بمكان و منزلة أخيه الإمام العسكري (عليه السلام) غير أنّ السلطة بكلّ ما تملك من وسائل وجدت نفسها عاجزة عن ذلك فقال له الخليفة إنّ منزلة أخيك من الله عزّ وجلّ وليس لي فيها يد.

و أول ظهور جعفر كان عُقب وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) حيث كان يستقبل المعزّين بوفاته والمهتّين له بالإمامة، وحاول أن يؤدّي الصلاة علي الإمام العسكري ومنعه الإمام المهدي (عليه السلام) وصلّي الإمام علي أبيه بمشهد من خواصّه و وكيله الأوّل عثمان بن سعيد و خادم الإمام العسكري (عليه السلام).

وحاول جعفر أن يغرّر بوفد القميين ويأخذ أموالهم واستعان بالسلطة وفشل في ذلك أيضاً حتّي قال له الخليفة إنّ هؤلاء رسل، «وما علي الرسول إلّا البلاغ المبين» فكانت محاولاته المتعدّدة قد باءت بالفشل غير أنّه ادّعي وراثة أخيه واستولي علي كافّة أمواله وما يعود له، لاحتجاج الإمام المهدي (عليه السلام).

ولذا فإنّ جعفرأ استغلّ مناسبة مجيء الوفد القميّ وشي بوجود الإمام المهدي (عليه السلام) وإنّه يستلم أموال هؤلاء وما أرسلوا به من قم، وتشدّد السلطة في البحث والمطاردة ولم تفلح في التعرف علي خبر الإمام المهدي (عليه السلام).

1. لماذا لم يسلم الوفد القمّي الأموال إلي جعفر؟
2. ما هو موقف جعفر من الإمام المهدي (عليه السلام)؟
3. ما هو موقف الإمام المهدي (عليه السلام) من مخططات جعفر لإفشالها؟
4. لماذا امتنع الخليفة من مساعدة جعفر لتولي منصب الإمامة؟ 5. ما هي العوامل التي دفعت جعفرًا لادّعاء الإمامة؟
6. لماذا كتب أحمد بن إسحاق إلي الإمام المهدي ليلا عن جعفر؟ 7. ما هي النقاط التي أكّد عليها كتاب الإمام المهدي (عليه السلام) حول ادّعاءات جعفر؟
8. ما هي علّة اعتراف السلطة بفشل وسائلها في إبعاد الشيعة عن الأئمة (عليهم السلام)؟

الدرس 8 : تمهيدات الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَ الْأُئِمَّة (عَلَيْهِمُ السَّلَام) لِلْغَيْبَةِ الصَّغْرِي

إشارة

لقد تواترت الأخبار عن النبي الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والأئمة المعصومين (عليهم السَّلَام) حول غيبة الإمام المهدي (عليه السَّلَام) وهي عدّة أقسام: -

1. الأحاديث التي ذكرت أنّ للإمام المهدي سنن بعض الأنبياء كنوح، وإبراهيم ويوسف و موسى و عيسى (عليهم السَّلَام)، فمنهم من خفي مولده و منهم من احتجب عن قومه وأهله ثم شاء الله أن يعود بعد غيبة قصيرة، ومنهم من امتدّ احتجابه بحكمة الله في ذلك كما هو حال العبد الصالح الخضر (عليه السَّلَام) وروح الله عيسى بن مريم (عليها السَّلَام) (1).

2. صرحت أحاديث أخرى بغيبته الكبرى التي تمتدّ حتّى تتحقّق مجموعة من العلامات و بعد ذلك ستملأ الأرض عدلاً وقسطاً و تقام دولة الحقّ التي وعد الله عباده بقيامها في آخر الزمان .

3. وصرّحت أحاديث أخرى بأنّ للإمام المهدي (عليه السَّلَام) غيبتين إحداهما أطول من الأخرى فالصغرى هي الفترة الممتدّة من ولادته (عليه السَّلَام) وحتي احتجابه الكامل عن مواليه وشيعته بعد وفاة نائبه الرابع، ويمكن الاستفادة من أحاديث النقطة الأولى للاستدلال

ص: 78

1- راجع كمال الدين، الأبواب 2-9 و الباب 32.

علي الغيبة الصغري بالأحاديث التي شبهت الإمام (عليه السلام) ببعض الأنبياء، فمنهم من خفي مولده و منهم من انقطع عن قومه، ثم عاد كما هو حال نبي الله يوسف حين كان من إخوته ما كان، وكذلك موسى (عليه السلام) حين خاف قومه فذهب تلقاء مدين ثم عاد إليهم، كما أن هناك أحاديث وردت عن الأئمة (عليهم السلام) وصرحت بأن للإمام غيبتين صغري وكبرى. مثل ما ورد.

1. عن سعيد بن جبیر قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) يقول «في القائم مئاسنن من الأنبياء سنة من أبينا آدم و سنة من نوح و سنة من إبراهيم و سنة من موسى، و سنة من عيسى، و سنة من أيوب و سنة من محمد صلوات الله عليهم، و أما موسى، فالخوف والغيبة، و أما عيسى فاختلف الناس فيه، و أما أيوب فالفرج بعد البلوي، و أما محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) فالخروج بالسيف» (1).

2. عن ثابت الشمالي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) أنه قال: فينا نزلت هذه الآية « وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » (2)، و فينا نزلت هذه الآية « وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ » (3).

والإمامة في عقب الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) إلي يوم القيامة و أن للقائم مئاسنن إحداهما أطول من الأخرى» (4).

3. عن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): كان أبو جعفر لا يقول: لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الأخرى؟ فقال: نعم ولا يكون ذلك حتي يختلف سيف بني فلان و تضيق الحلقة، و يظهر السفيناني و يشتد البلاء و يشمل الناس موت

ص: 79

1- كمال الدين، ج 1، ص 221 - 322.

2- الأحزاب/6.

3- الزخرف/47.

4- كمال الدين، ج 1، ص 323.

وقتل يلجأون فيه إلي حرم الله و حرم رسوله (صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم) (1).

4. عن محمّد بن مسلم الثقفي، عن الباقر أبي جعفر (عليه السّلام) أنه سمعه يقول: «إنّ للقائم غيبتين يقال له في إحداهما: هلك ولا يدري في أي وادٍ سلك»

5. عن المفضل بن عمر قال: «سمعت أبا عبد الله (عليه السّلام) يقول: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين، يرجع في إحداهما إلي أهله، والأخري يقال: هلك وفي أي وادٍ سلك؛ قلت: كيف نصنع إذا كان ذلك؟ قال: إن ادعي مدعٍ فاسأله عن تلك العظائم التي يُجيب فيها مثله» (2).

فهذه الأحاديث تذكر أنّ للإمام (عليه السّلام) غيبتين إحداهما الصغرى التي كان السفراء فيها واسطة بين الإمام والشيعة وكانت تخرج علي أيديهم الأجوبة عن كلّ ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشاكل التي تواجههم في تعاملهم اليومي، وقد ذكرنا أحاديث عن الرسول (صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم) والأئمة (عليهم السّلام) عن الغيبة الكبرى وهي متواترة لدي المسلمين عامّة.

علل الغيبة الصغرى

من خلال تتبع الروايات الواردة عن النبي (صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم) والأئمة (عليهم السّلام) نجد أنها تعلّل الغيبة بعليّتين أساسيتين هما:

1. أن لا يكون في عنق الإمام (عليه السّلام) بيعة لطاغية زمانه عند خروجه بالسيف. فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السّلام) قال: «يبعث القائم وليس في عنقه بيعة لأحد» (3).

2. مخافة القتل من قبل الظالمين الذين يخشون علي سلطانهم لإمام (عليه السّلام) هو المؤمّل للقضاء علي الظلم والظالمين وإقامة العدل في دولة الحقّ.

عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر الباقر يقول: «إنّ للقائم غيبة قبل أن يقوم، قال:

ص: 80

1- محمّد بن إبراهيم النعماني، الغيبة، ص 172 - 173.

2- راجع الغيبة للنعماني، ص 90.

3- كمال الدين، ج 2، ص 480.

قلت: ولم؟ قال: يخاف - وأوماً بيده إلى بطنه«(1) أي يخاف القتل.

وفي حديث للإمام الصادق (عليه السلام) بعد استعراضه لمحاولة فرعون قتل موسى (عليه السلام) و حفظ الله تبارك و تعالي لموسي (عليه السلام): «كذلك بنو أمية و بنو العباس لما وقفوا علي أن زوال ملك الأمراء و الجبارة منهم علي يد القائم منّا، ناصبونا العداوة و وضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول لله (صلي الله عليه وآله وسلم) و إيادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلي القائم و يأي الله عزوجل أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون(2).

وفي حديث آخر للإمام الرضا (عليه السلام) يشير الإمام (عليه السلام) إلي علتين قد دعتا الظالمين لسب السيوف علي آل الرسول، الأولي علمهم بأنهم ليس لهم حق في الخلافة فيخافون

من ادعاء أهل البيت (عليهم السلام) إياها واستقرارها في مركزها الذي جعله الله و عيّن.

والثانية: هي أنهم قد وقفوا علي أن زوال ملكهم علي يد القائم (عليه السلام) من أهل البيت (عليهم السلام) من خلال الأخبار المتواترة فسعوا في إبادة نسل الرسول (صلي الله عليه وآله وسلم) سعياً لمنع تولد القائم من أهل البيت (عليهم السلام) و يأي الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون(3).

ونري أن الغيبة الصغري و الكبرى تشتركان في هاتين النقطتين و يضاف إلي الغيبة الصغري بعلل و أسباب أخري، هي:

1. أنها تمهيد للغيبة الكبرى.

لقد سبق بيان خفاء و لادة الإمام المهدي (عليه السلام) اعتماداً علي الروايات الواردة بهذا الشأن مضافاً إليها سلوك الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بهذا الشأن حول إخفائها و تكتمه عليه، و رأينا أن عمّ الإمام المهدي (عليه السلام) جعفر لم يعلم بولادته ولا بوجوده و عليه فلا بدّ من هذه الفترة - الغيبة الصغري - كي يُعرف ميلاده (عليه السلام) و يعرض علي خواصّ الإمام العسكري (عليه السلام) كما فعل هو حيث عرضه علي خواصّ أصحابه و أعلن

ص: 81

1- كمال الدين، ج 2، ص 481 .

2- راجع منتخب الأثر، ص 358 - 360، للطف الله الصافي.

3- المصدر السابق : 291.

ولادته عليهم، ثم عَقَّ عنه و تباشر الشيعة بذلك وكتموه عن مَنْ سواهم، وكما سبق تفصيل ذلك .

2. تكامل استقلال الكيان الشيعي فكرياً استعدادهم لإدارة شؤونهم في حالة الغيبة الكبرى والاحتجاب الكامل للإمام (عليه السلام) عن شيعته ومواليه، ولورجعنا إلي حياة الأئمة (عليهم السلام) وتابعنا سلوكهم في التربية والتنمية لقواعدهم فقهياً وفكرياً نجد أنّ للأئمة منهجاً خاصاً أتبعوه في هذا الاتجاه لتنمية المواهب العلمية لدي قواعدهم، وخصوصاً البارزين منهم وثقاتهم، ففي عصر الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) كانا يرجعان أصحابهما إلي كتاب الله للوقوف علي أجوبة المسائل التي تواجههم كما نلاحظ ذلك في إجابة الإمام (عليه السلام) علي سؤال (الجبيرة) عندما قطع ظفره، فقال له الإمام (عليه السلام): هذا وأشباهه يعرف من كتاب الله، وقرأ عليه قوله تعالى: « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » وبدل علي نهجهم التربوي ما صدر عنهم (عليهم السلام) إلي خواصهم: «أحب أن أري مثلك يُفتي» أو يتحدث عن أمرنا، فهذه النصوص توضح لنا أنّ الأئمة كانوا يسعون لرفع المستوي العلمي لشيعتهم؛ تمهيداً لمرحلة الغيبة الكبرى حيث يكون اعتمادهم علي رواة أحاديث الأئمة (عليهم السلام) العارفين بالحلال والحرام، كما في التوقيع الشريف الصادر عن الإمام المهدي (عليه السلام) إلي أحمد بن إسحاق عندما سأله عن مسائل إذ قال له:

«وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَيَّ رِوَاةَ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حَجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ» . .

وبهذا نلمس بوضوح الدليل علي فتح باب الاجتهاد في مذهب أهل البيت (عليه السلام)، وبعد أن نَمِيَ الأئمة (عليهم السلام) الذهنية الشيعية وارتفعوا بها متجاوزين أوليات كثيرة كانت تتطلبها عملية الاجتهاد هذه، و يقتضيها التعامل الصحيح مع النصوص امتد علي طول فترة الوجود المبارك للأئمة الأطهار (عليهم السلام) وحتى نهاية عصر الغيبة الصغرى.

يمكن تصنيف الأحاديث التي تواترت حول غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والأئمة: من بعده إلى طوائف ثلاث:

الطائفة التي تضمّنت أنّ للإمام سنن بعض الأنبياء: وأخري صرّحت بأن له غيبة وحيرة كما تحدّثت عن رجوع كثير ممّن يقول بالإمامة عن قوله...

ثم نجد الطائفة الثالثة تتحدّث عن غيبتي الإمام الصغري والكبرى. وأنّ الغيبتين تشتركان في بعض العلل. مثل أن لا تكون بيعة في عنق الإمام (عليه السلام) لطاغية زمانه و أنّه يخشي علي نفسه القتل، وتختصّ الغيبة الصغري بأنها تمهيد للغيبة الكبرى وإثبات لمولد الإمام و وجوده و تعريف مواليه به مع عرضه عليهم.

الأسئلة

1. ما هي العلل المشتركة للغيبتين : الصغري والكبرى؟
2. ما هي علّة الغيبة الصغري بشكل خاص؟
3. اذكر الأحاديث التي تتحدّث عن الغيبة؟
4. ماذا يُستفاد من الأحاديث التي تشبّه سنن الإمام (عليه السلام) بسنن الأنبياء (عليهم السلام)؟
5. هل تحفظ حديثاً يشير إلى الغيبة الكبرى والصغري معاً؟

إشارة

لقد اتضح أنّ السفراء الأربعة، الذين تولوا الوكالة الخاصة عن الإمام المهدي (عليه السلام) خلال غيبته الصغرى هم: عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد، والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السمري، والذي بوفاته ينتهي عصر الغيبة الصغرى. إن وجود السفراء الأربعة بشكّل مميّزة رئيسيّة لهذه الفترة وعليه لا بدّ من البحث عن تراجمهم وحياتهم (رضوان الله تعالى عليهم).

السفير الأوّل

هو الشيخ الموثوق أبو محمد عثمان بن سعيد العمري، أبو عمرو الأسدي وإنّما سمّي العمري نسبة إلي جدّه، ويقال له العسكري أيضاً لأنّه كان يسكن العسكر وهي سامراء ويقال له السّمّان لأنّه كان يتّجر بالسمن تغطية علي الأمر. وكان الشيعة إذا حملوا إلي أبي محمد العسكري (عليه السلام) ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلي أبي عمرو، فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلي أبي محمد

أولاده: محمّد و هو السفير الثاني بعد أبيه، وأحمد.

وكان محمّد بن عثمان من أصحاب الإمام الهادي(عليه السّلام) وثقائه، وكان وكيلاً خاصّاً للإمام وقد قال عنه الإمام الهادي(عليه السّلام): هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني قوله، وما أداه إليكم فعني يؤدّيه(2).

وإنّ هذا النص يظهر لنا بوضوح مستوي الثقة العالية التي كان يتمتّع بها عثمان ابن سعيد و منزلته الفريدة، وعليه إذ كان يمثل مع جماعة آخرين دور الوساطة بين الإمام (عليه السّلام) وقواعده الشعبية، في الفترة التي بدأ الإمام فيها تطبيق مسلك الاحتجاب عن مواليه تعويداً لهم علي الغيبة التي سوف يواجهونها في حفيده المهدي(عليه السّلام)، و بعد استشهاد الإمام الهادي (عليه السّلام) سنة (254هـ) أصبح عثمان بن سعيد وكيلاً خاصّاً و موثقاً لدى الإمام العسكري(عليه السّلام)، فكان له نشاط و براعة في العمل، وكان يتّصف عمله بالسريّة والكتمان التام، فكان يظهر كتاجر للسمن أمام الناس، تغطية علي تحرّكه و مسلكه لتضليل السلطة و عيونها، من أجل أداء دوره المناط به من قبل الإمام(عليه السّلام).

ومن هنا كان الإمام العسكري يكثر مدحه و الثناء عليه في مناسبات مختلفة أمام مواليه و شيعته، فمن ذلك أنّه(عليه السّلام) قال: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي و ثقتي في المحيا و الممات، فما قاله فعني قوله، و ما أدّي فعني يؤدّي». وقال (عليه السّلام) أمام وفد من اليمن: امض يا عثمان، فإنّك الوكيل و الثقة، المأمون علي مال الله»(3)، واشتهر حاله و جلاله شأنه بين القواعد الشعبية الموالية للإمام(عليه السّلام)، فوفد اليمن حين سمع قول الإمام (عليه السّلام) فيه قالوا: يا سيّدنا إنّ عثمان لمن خيار شيعتك، و لقد زدتنا علماً بموضعه

ص: 85

1- الغيبة للشيخ الطوسي، ص 214.

2- الغيبة للشيخ الطوسي، ص 215.

3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 215.216.

من خدمتك وإنه وكيلك و ثقتك علي مال الله تعالي(1). فلم تزل الشيعة مقيمة علي عدالته، و تتسالم علي وثاقته و جلاله قدره.

لقد أمر الإمام العسكري (عليه السلام) عثمان بن سعيد بأن يشتري عشرة آلاف رطل خبزاً و عشرة آلاف رطل لحماً يفرقه بين بني هاشم وأن يعق عن الإمام المهدي بمناسبة ولادة الإمام المهدي المباركة وهذا دليل علي تلك المكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها عثمان بن سعيد لدي الإمام (عليه السلام) كما نلاحظ الإمام (عليه السلام) في مجلس لخواصه، الذين كانوا يعدون بأربعين رجلاً، بعدما عرض الإمام المهدي (عليه السلام) عليهم ونص علي إمامته، ينص علي وكالة عثمان بن سعيد عن المهدي (عليه السلام) و سفارته له قائلاً: فاقبلوا من عثمان ما يقوله، و انتهوا إلي أمره فهو خليفة إمامكم و الأمر إليه(2).

ويعزز هذه المنزلة و المقام لدي الإمام (عليه السلام) وجوده أثناء تغسيل و تكفين الإمام العسكري (عليه السلام) و صلاة الإمام المهدي (عليه السلام) عليه، و بقي أبو عمر و مضطرباً بمهام السفارة و قائماً بها خير قيام، إلي أن وافاه الأجل، فقام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان بتغسيله و تجهيزه(3)، و دفن في الجانب الغربي من بغداد في شارع الميدان و أقام الرئيس أبو منصور محمد بن الفرّج علي القبر صندوقاً، و قال الشيخ الطوسي: يتبرك جيران المحلة بزيارته و يقولون هو رجل صالح و لا يعرفون حقيقة الحال فيه، و كان ذلك سنة سبع و أربع مائة(4).

و كتب الإمام المهدي (عليه السلام) إلي ولده محمد موعظاً بوفاة والده عثمان قائلاً: إنّا لله و إنّا إليه راجعون تسليماً لأمره و رضاءً بقضائه، عاش أبوك سعيد و مات حميداً فرحمه الله و ألحقه بأوليائه و مواليد (عليهم السلام) فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلي الله

ص: 86

1- الغيبة، (م.س)، ص 216.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 217.

3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 221.

4- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 218.

عزّوجلّ وإيهم، نصّدّر الله وجهه وأقال عثرته.. كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره و يترحم عليه، وأقول الحمد لله، فإنّ الأنفس طيبة بمكانك، و ما جعله الله تعالى فيك وعندك أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفّقك، وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً(1).

السفير الثاني

هو الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمري، تولّى السفارة بعد أبيه، بنصّ من الإمام العسكري (عليه السّلام) حيث قال لوفد اليمن الذي أشرنا إليه: واشهدوا عليّ أنّ عثمان بن سعيد وكيلي وأنّ ابنه محمّد وكيل ابني مهديكم، وبنصّ أبيه علي سفارته بأمر من المهدي (2). وكانت قواعده الشعبية مجتمعة علي عدالته و ثقته و أمانته لا يختلف في ذلك اثنان من الإمامية، وكيف لا وفيه وفي أبيه قال الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) لبعض أصحابه:

العمري و ابنه ثقتان فما أديا فعنّي يؤدّيان و ما قالاك لك فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنّهما الثقتان المأمونان(3).

وكلمات الإمام المهدي (عليه السّلام) فيه متظافرة و متواترة، فقد سمعناه يعزّيه بوفاة أبيه ويشجّعه و هو في أوّل أيام اضطلاعه بمهمّته الكبرى. وقال فيه: لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه و أنظر وجهه، يجري عندنا مجراه و يسدّ مسدّه، من أمرنا يأمر و به يعمل، وغير ذلك من عظيم الإجلال والإكبار... (4).

و بقي محمّد بن عثمان مضطلعاً بمسؤولية السفارة نحواً من خمسين سنة حتّى لقي

ص: 87

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 220 وما بعدها.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 220 و 216.

3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 219.

4- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 220.

ربه - في جمادى الأولى سنة 350هـ وكانت تخرج التوقيعات علي يده من الإمام المهدي (عليه السلام) في المهمّات أول حياته، بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره ولا يرجع إلي أحدٍ سواه.

وقد نقلت عنه دلائل كثيرة وظهرت علي يده معجزات الإمام، وأخبرهم عن أمور زادتهم في هذا الأمر بصيرةً⁽¹⁾.

ومدّة سفارته كانت أطول ممن سواه من السفراء (رض)، وكانت له كتب مصنّفة في الفقه، ممّا سمعه من أبي محمّد الحسن العسكري (عليه السلام)، و من الإمام المهدي (عليه السلام) « و من أبيه عثمان بن سعيد عن الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام)، و من كتبه: كتاب الأشربة والذي وصل إلي الحسين بن روح و علي بن محمّد السمرى فيما بعد.

وقد أخبره الإمام المهدي بوفاته، وأمره بجمع أمره. وقد حفّر قبره وسوّاه بالساج، ولما سئل عن ذلك قال: للناس أسباب، قد أمرت أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين.

قال الراوي: فلمّا خرجت من عنده أثبت ما ذكره، ولم أزل مترقباً به ذلك، فما تأخّر الأمر حتّى اعتلّ أبو جعفر، فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر الذي قاله من السنة التي ذكرها⁽²⁾.

وقد أوصي إلي خلفه - السفير الثالث - الحسين بن روح بأمر من الحجّة المهدي (عليه السلام).

ودفن أبو جعفر العمري عند والده في شارع باب الكوفة في الموضع الذي كانت دوره و منازل فيه، وقبره الآن مشيّد معروف وسمّيت منطقة قبره في بغداد بمحلّة الخلّاني والشارع الذي يقع فيه مرقده بشارع الخلّاني وهو في جانب الرصافة ويزوره الناس و يتبرّكون به.

ص: 88

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 221.

2- يراجع الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 222.

هو الشيخ الجليل أبو القاسم الحسين بن روح ابن أبي بحر النوبختي، لم يُذكر تاريخ مولده كسابقه، ولمع نجمه كوكيل مفضل لأبي جعفر محمد بن عثمان العمري، ينظر في أملاكه، ويلقي بأسراره لرؤساء الشيعة، وكان مختصاً به، فكان له عند الشيعة وموالي آل البيت (عليه السلام) منزلة رفيعة وعلي درجة من الإكبار والإجلال، بما كان يحتمله من هذا الأمر، وما كان يختص بالمحافظة علي سرّية وجود الإمام وكونه حلقة الوصل بينه وبين قواعده الشعبية - إلي أن انتهت الوصية إليه بالنص عليه، فلم يختلف في أمره ولم يشك فيه أحد⁽¹⁾.

وقد قدم بعض الموالين بمال علي أبي جعفر العمري مقداره أربعمئة دينار للإمام (عليه السلام) فأمره بإعطائها إلي الحسين بن روح، وحين تردّد هذا الشخص في ذلك، باعتبار وصول السفارة إليه يومئذ، فأكد أبو جعفر (عليه السلام) ذلك وأمره مكرراً بإعطاء المال لابن روح وذكر له أن ذلك بأمر الإمام المهدي (عليه السلام).

وكان تحويله إلي أبي القاسم الحسين بن روح قبل موته بسنتين أو ثلاث حتّي إذا اشتدّت بأبي جعفر علته اجتمع لديه جماعة من وجوه الشيعة، منهم أبو علي بن همام وأبو عبد الله بن محمد النوبختي وأبو عبد الله بن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر، فقالوا له:

إن حدث أمرٌ، فمن يكون مكانك؟

فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي، القائم مقامي، و السفير بينكم وبين صاحب الأمر (عليه السلام)، و الوكيل والثقة والأمين، فارجعوا إلي في أموركم وعولوا عليه في مهمّاتكم فبذلك أمرت وقد بلّغت⁽²⁾.

ص: 89

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 227.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 227.

ويروي عن أبي جعفر بن أحمد بن متيل، وهو من متقدمي أصحابه وأجلاتهم أنه قال: لما حضرت الوفاة أبا جعفر محمد بن عثمان العمري كنت جالساً عند رأسه أسأله وأحدثه، وأبو القاسم ابن روح عند رجله، فالتفت إليّ ثم قال: أمرت أن أوصي إليّ أبي القاسم الحسين بن روح، قال ابن متيل: وتحوّلت إليّ عند رجله. إليّ غير ذلك من تأكيدات أبي جعفر عليه وإعلان وكالته.

والسبب المهم في هذا التأكيد هو كون الحسين بن روح لم تصدر فيه توقيعات سابقة عن الأئمة (عليهم السّلام) كما هو حال السفيرين الأوّل والثاني، لذا فإنّ أبا جعفر احتاج إليّ توقيع وتأكيد من الإمام المهدي (عليه السّلام) يخرج بخطه توثيقاً للحسين بن روح عند قواعد الإمام (عليه السّلام) ومواليه، فلما مضى أبو جعفر وقع الاختيار عليه. وكانت الوصية إليه (1).

في حين أنّ الأذهان كانت بعيدة عنه، وكان احتمال الإيكال إليه ضعيفاً عند الواعين المستبصرين بشؤون المجتمع من أصحابه، حتّى احتاج أبو جعفر لأجل ترسيخ فكرة الإيكال إليه وإيضاحها، إليّ تكرار الإعلان عن ذلك، وتقديمه عليّ ساعة موته بسنوات، وإنّما كانت الظنون تحوم حول أشخاص آخرين أرسخ من أبي القاسم ثقافة وتاريخاً كجعفر بن أحمد بن متيل وأبيه، باعتبار خصوصيته وكثرة حضوره في منزله، حتّى بلغ أنّه كان في آخر عمره لا يأكل طعاماً إلّا ما طبخ في منزل جعفر بن أحمد بن متيل وأبيه، وبالرغم من ذلك فقد أوكلت السفارة إليّ الحسين بن روح، فسلم له

الأصحاب، وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر (رضي الله عنه). (2)

وعليّ أي حال، فقد تولّى الحسين بن روح السفارة فعلاً، عن الإمام المهدي (عليه السّلام) ...

بموت أبي جعفر العمري سنة 305هـ إليّ أنّ لحق بالرفيق الأعلى في شعبان عام ست

ص: 90

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 225.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 225.

وعشرين وثلاثمائة، فتكون مدّة سفارته حوالي الواحدة والعشرين سنة، فإن استطعنا أن نضيف العامين أو الثلاث التي أمر فيها أبو جعفر العمري قبل موته بتسليم الأموال إليه، ونصّ عليه بالوكالة، و تصوّرنا أنّ السفارة حينئذٍ كانت مسندة إلي شخصين دفعة واحدة.. فتكون مدّة سفارته ثلاثاً وعشرين سنة أو أكثر.

وكان أول كتاب تلقاه من الإمام المهدي (عليه السّلام) ، هو كتاب يشتمل علي الثناء عليه، و مشاركة الحملة التي بدأها أبو جعفر العمري في تعريف الحسين بن روح للرأي العام والأصحاب، ممّن مشي علي خط الأئمة (عليهم السّلام).

وقد وردت هذه الرقعة يوم الأحد لست خلون من شوال سنة 305هـ بعد حوالي الخمسة أشهر من وفاة أبي جعفر العمري، الذي توفي في جمادي الأولي من نفس العام.

واضطلع أبو القاسم منذ ذلك الحين بمهام السفارة، وقام بها خير قيام، وكان مسلكه الالتزام بالتقيّة المضاعفة، بنحو ملفت للنظر، بإظهار الاعتقاد بمذهب أهل السنّة من المسلمين، يحفظ بذلك مصالح كبيرة، و يجلب بها قلوب الكثيرين، علي ما يأتي التعرّض له فيما يلي من البحث، حتّي إننا نسمع أنه يدخل عليه عشرة أشخاص تسعة يلعنونه وواحد شكّك، فيخرجون منه تسعة منهم يتقرّبون إلي الله بمحبته وواحد واقف. يقول الراوي: لأنه كان يجارينا من فضل الصحابة وما رويناه وما لم نروه، فنكتبه نحن عنه (رضي الله عنه) (1).

وهذا إن دل علي شيء فإنّما يدلّ علي لباقتة وسعة اطلاعه و توجيهه علي هذا المسلك من قبل الإمام المهدي (عليه السّلام) ، وقد تولّي (رضي الله عنه) أيام سفارته الحملة الرئيسية ضدّ

ظاهرة الانحراف عن الخط، وادعاء السفارة زوراً من قبل المنحرفين وقام بتبليغ القواعد الشعبية توجيهات الإمام المهدي (عليه السّلام) في ذلك، و شجبه ظاهرة الانحراف عن

ص: 91

الخط وادعاء السفارة زوراً كما سيأتي التعرّض له.

وَبَقِيَ مَضْطَلَعاً بِمَهَامَّةِ الْعَظْمِيِّ حَتَّى لِحَقَّ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلِيِّ سَنَةَ 326هـ، وَدُفِنَ فِي النُّوبَخْتِيَّةِ(1) وَقَبْرَهُ الْيَوْمَ فِي بَغْدَادِ.

السفير الرابع

هو الشيخ الجليل أبو الحسن علي بن محمد السمري أو السيمري أو الصيمري، والمشهور هو الأوّل مضبوطاً بفتح السين والميم معاً.

لم يذكر عام ميلاده ولا تاريخ فجر حياته، وإنما ذكر أولاً كواحد من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام). ثم ذكر قائماً بمهام السفارة المهديّة ببغداد، بعد الشيخ ابن روح، بإيعاز منه عن الإمام المهدي (عليه السلام)(2).

تولّى السفارة من حين وفاة أبي القاسم بن روح سنة 326هـ، إلي أن لحق بالرفيق الأعلي سنة 329هـ في النصف من شعبان، فتكون مدّة سفارته عن الإمام المهدي (عليه السلام) ثلاثة أعوام كاملة، غير أيام.

ولم يفتح السمري، خلال هذا الزمان القصير بالنسبة إلي أسلافه من السفراء علي القيام بنشاطات موسعة، كالتّي قاموا بها، ولم يستطع أن يكتسب ذلك العمق والرسوخ في القواعد الشعبيّة الذي اكتسبه، وإن كان الاعتقاد بجلالته ووثاقته بالاعتقاد بهم، وربّما يعود ذلك من كون تلك السنوات مليئة بالظلم والجور وسفك الدماء، ممّا أدي إلي تحجيم نشاط هذا السفير وقلة فعاليته، وهذا السبب نفسه من الأسباب الرئيسيّة لانقطاع الوكالة بوفاة السمري، وعزم الإمام المهدي (عليه السلام) علي الانقطاع عن الناس، كما انقطع الناس عنه، وفرقتهم الحوادث عن متابعة وكلائه، إلي أسباب أخري نشير إليها

ص: 92

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 238.

2- اعلام الوري، ص 417.

في فصل آتٍ، لذا نجد السمرى (رضى الله عنه)، يخرج إلي الناس قبل وفاته بأيام، توتيعاً من الإمام المهدي (عليه السلام) يعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى، وانتهاء عهد السفارة بموت السمرى، ويمنعه عن أن يوصى بعد موته إلي أحد ليكون سفيراً بعده.

يقول (عليه السلام) في هذا التوتيع:

«بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمرى! أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلي أحد، فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا باذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً.

وسياتي لشيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة، فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

فكان هذا آخر خطاب خرج من الإمام المهدي (عليه السلام)، عن طريق السفارة الخاصة وآخر ارتباط مباشر بينه وبين الناس في الغيبة الصغرى.

قال الراوي: فنسخنا هذا التوتيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو وجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال الله أمر هو بالغه» وقضى، فهذا آخر كلام سمع منه، رضى الله عنه وأرضاه (1).

وأودع الأرض في قبره الذي هو في الشارع المعروف بشارع الخلنجي من ربيع المحول، قريب من شاطيء نهر أبي عقاب، وله الآن في بغداد مزار معروف.

ص: 93

وإنَّ الغيبة الصغري يقصد بها الفترة التي بدأت باستشهاد الإمام العسكري (عليه السّلام) ، وتسلمَّ الإمام المهدي (عليه السّلام) مهامَّ الإمامة بعده، وكان اتّصاله بقواعده الشعبية يتم عن طريق السفراء الأربعة، والذين كان يتمتّع بعضهم بمنزلة عالية عند الإمامين وكلهم عند الإمام المهدي (عليه السّلام) حيث صدرت عنه توقعات توضّح وجوب رجوع قواعده الشعبية التي آمنت بقيادته الفكرية والسياسية والروحية، فكانوا رضوان الله عليهم علي درجة عالية من الورع والتقوي، لذا كانوا أهلاً لمقام السفارة عنه (عليه السّلام)، ويجب أن يلاحظ أن فترة وجود الإمام المهدي مع والده (عليه السّلام) لا تُعد ضمن مرحلة الغيبة الصغري لرجوع القواعد الشعبية إلي الإمام العسكري فيما يحتاجونه من أمورهم، فهو المتولّي والشاغل لمنصب الإمامة وكانت فترة الغيبة الصغري حوالي سبعين عاماً.

شغل منها السفير الأوّل: عثمان بن سعيد، حوالي خمس سنوات، أي أنه لم يتعد فترة خلافة المعتمد، فكما عاصر هذا الخليفة وفاة الإمام العسكري (عليه السّلام) عاصر أيضاً وفاة السفير الأوّل.

وشغل السفير الثاني: محمّد بن عثمان حوالي أربعين عاماً منها، عاصر فيها بقية خلافة المعتمد، ثمّ خلافة المعتضد، ثمّ خلافة المكتفي ثمّ عشر سنوات من خلافة المقتدر، حين توفي سنة 305 من الهجرة.

وشغل السفير الثالث: الحسين بن روح بعد وفاة سلفه، واحداً وعشرين سنةً، عاصر فيها بقية خلافة المقتدر، وقسماً من خلافة الراضي.

وخلفه السفير الرابع: علي بن محمّد السمرى، وبقي في السفارة ثلاث سنين وتوفّي عام وفاة الراضي ، وعاصر خلفه المتقي مدّة خمسة أشهر وخمسة أيام.

1. ماذا تقصد بالغيبة الصغرى؟ ومتى بدأت؟
2. ما هو الدليل في استلام حسين بن روح السفارة مع وجود من اشتهر وعرف وكان قريباً من السفير الثاني كجعفر بن أحمد بن متيل وأبيه؟
3. ما هي أهمية دور السفراء الأربعة؟
4. لماذا لم يتخ للسفير الرابع القيام بنفس النشاطات للسفراء الذين سبقوه مع جلالته وعظم منزلته؟
5. هل صدرت توقيعات عن الإمام المهدي (عليه السلام) إلي قواعد في توثيق سفرائه؟
6. متى وقعت الغيبة الكبرى، وإلي من صدر التوقيع الشريف حول ذلك؟

إشارة

من خلال التتبع التاريخي لهذه الفترة تتضح لنا عدة نقاط :

1. تشابه نشاط و تحرك السفراء في الأسلوب والهدف الذي كان يسعى كل واحد منهم إليه عن طريق توجيهات الإمام (عليه السلام) لتحقيقه.

2. إن السفارة صُرفت عن العلويين صرفاً تاماً و أُنيطت بغيرهم، مع أنّ في العلويين يومئذ من كان عالياً شأنه في العلم والفقهِ والعبادة

والسرّ في ذلك واضح جداً، يبرزه التاريخ الذي عاشه العلويون من حين ثورة الحسين (عليه السلام) إلى العصر الذي نُورخ له: و هو تاريخ الثورات والتمرد علي الواقع الفاسد، والاحتجاج علي الظلم والطغيان، فكانت الصورة الأولى التي تحملها الدولة عن علوي، هو كونه موالياً للأئمة (عليهم السلام)، من ناحية، و ثائراً علي الظلم والفساد من ناحية أُخرى، أو بتعبير آخر، إنه ثائر علي كيانها القائم بشكل لا تسترهُ تقية ولا يجدي في تغييره حذر.

3. كانت بغداد مسرحاً لتحرك ونشاط السفراء الأربعة (رضوان الله عليهم)، ولم يُطلب قيامهم بمهامهم خارجها، ويعزي ذلك إلى توجيهات الإمام (عليه السلام).

كما أنّ انحصار وجود هؤلاء السفراء في بغداد لا يعني انحصار توجيهات و توقيعات الإمام المهدي (عليه السلام) بهذا البلد، لما سنعرف من اتصال السفراء بالوافدين إلى بغداد من الأطراف، وما سنراه من وجود وكلاء عديدين لهؤلاء السفراء في مختلف البلاد الإسلامية، وكانت تنتشر تعاليم الإمام المهدي (عليه السلام) عن طريقهم، وكان الاتصال بينهم وبين السفراء قائماً على قدم وساق.

4. لم يرد إلينا في النقل التاريخي الخاص، قيام السفراء بأعمال اجتماعية واسعة و مؤسسات مهمة، حتى علي النطاق الخاص، إلا أقل القليل.

5. كان الخط الذي يستعمله الإمام المهدي (عليه السلام) في توقيعاته وبياناته خطأً موحداً يعرفه الناس المتتبعون لذلك، فهو لا يختلف باختلاف أشخاص السفراء واختلاف خطوطهم، ممّا يحصل القطع بصدوره عنه (عليه السلام).

وقد توخّى الإمام المهدي (عليه السلام)، أن تصدر بياناته، بنفس الخط الذي كانت تصدر بيانات أبيه، فإننا عرفنا أنّ الإمام العسكري (عليه السلام)، استعمل أسلوب الاحتجاج تعويداً للناس على فكرة الغيبة، وكان يتّصل بقواعده الشعبية عن طريق التوقيعات والبيانات المكتوبة، فقد كان خط الإمام العسكري (عليه السلام) معروفاً لدي جملة قواعده الشعبية، وخاصة من كان من خاصّتهم و مبرّزيهم، وقد سمعنا كيف طلب أحدهم من الإمام العسكري (عليه السلام) عند مقابلته أن يكتب شيئاً في ورقة، حتّى يطابقه مع التوقيعات الصادرة منه لأجل أن يأمن من التزوير، فقد استعمل الإمام المهدي (عليه السلام) نفس الخط طيلة مدّة غيبته الصغرى فقد كانت الأجوبة تخرج من ناحيته المقدّسة بالخط الذي يخرج في حياة أبيه الحسن العسكري (عليهما السلام) (1).

و لسبق معرفة هذا الخط عند الأصحاب، تكون شهادة الخط أوسع وأعلى من شهادة السفير، بكون هذا البيان صادر عن الإمام المهدي (عليه السلام)، فإذا انضمت الشهاداتتان

ص: 97

وتصادقنا علي ذلك، كان في ذلك الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

6. بقيت في التوقيعات التي كان يصدرها الإمام المهدي (عليه السلام) جهات هامة لا بدّ من بحثها في هذا الصدد وهي:

أ- في معني التوقيع

يطلق التوقيع في لسان رواياتنا - مطابقاً للعرف السائد آنذ - علي الكلمات القصار التي تملئها أقلام الكبراء في ذيل الرسائل والعرائض ونحوها، لأجل جواب السؤال الذي تتضمّنه أو حلّ المشكلة التي تحتويها أو التعبير عن وجهة نظر معينة فيها.

اذن فتوقيعات الإمام المهدي (عليه السلام) هي ما كان يذكره (عليه السلام) بخطه في جواب الأسئلة والعرائض بواسطة سفرائه من الكلمات القصار في مختلف ميادين المعرفة من الناحية العقائدية أو الفقهية أو الاجتماعية أو غيرها.

ب . في احتياج التوقيع إلي سؤال

لم تكن التوقيعات الصادرة عنه (عليه السلام) ، مقتصرة علي الإجابة علي الأسئلة فقط. وإن كان الأغلب هو ذلك، بل كانت التوقيعات والبيانات الواصلة من الإمام المهدي (عليه السلام) تتخذ أحياناً شكل بيان ابتدائي يطول ويقصر حين تقتضي المصلحة ذلك، بدون سؤال يقتضيه ويتطلبه، ومن أمثلة ذلك، التوقيع الذي أصدره (عليه السلام) مترحماً علي سفيره الأول، والبيان الذي أعلن فيه انتهاء السفارة بموت السفير الرابع، والرسالة التي رويت عنه (عليه السلام) للشيخ المفيد .

ج - إنَّ التوقيع كما يعتبر عملاً للإمام (عليه السلام)

ج - إنَّ التوقيع كما يعتبر عملاً للإمام (عليه السلام) باعتبار معناه وخطه، فانه هو الذي كتبه حلاً لمشكلة أو جواباً علي سؤال أو بيان لمصلحة، كذلك يعتبر عملاً من أعمال السفير، باعتبار أنّ للسفير يدأ في إظهاره إلي النور واطلاع أصحابه وقواعده الشعبية عليه.

د. في مدة خروج التوقيع

كان يحتاج خروج التوقيع: جواباً علي سؤال معيّن إلي حوالي اليومين أو الثلاثة...

كما هو ظاهر عدد من الروايات، كقول الراوي في إحداها: فلمّا كان بعد أيام قال لي

صاحبي ألا نعود إلي أبي جعفر فنسأله عن حوائجنا التي كنا سألناه عنها(1).

وعلي أي حال، فمدّة الثلاثة أيام أو نحوها، مدّة معقولة في ردّ الجواب، وعليه تحمل سائر الروايات التي تعرّضت إلي خروج الردّ من دون ذكر المدّة. باعتبار وضوح ذلك في الأذهان و تکرّره إلي حدّ أصبح متسالماً عليه، لا يحتاج إلي تکرار و تأكيد.

7. خفاء السفراء علي السلطات

إنّ مسلك التسترّ أو الحذر الذي سلّكه السفراء، انتج ما هو المقصود تماماً، وهو الخفاء علي القواعد الشعبية السائرة في رحاب السلطات و عيون الدولة، وعلي المنتفعين منها والضالعين في ركبها.

وليس أدلّ علي ذلك ممّا سمعناه عن موقف السفير الثالث في تفضيل الخلفاء الثلاثة جميعاً علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، في مجلس للعامة.. فرفعه العامة علي رؤوسهم وكثر الدعاء له والظعن علي من يرميه بالرفض(2).

وإنّ وهذا يدلّ علي شيء، فأنّما يدلّ علي جهلهم التام بسفارتهم، وأنّهم غاية ما يحملون عنه من فكرة.. أنّه متهم بالرفض، وهذا القول منهم ماحٍ لهذه التهمة و دليل علي كذبها في نظرهم، وإذا لم يكن رافضياً فكيف يكون سفيراً الإمام الرافضة!؟

والآذي كان يتوخّاه اين روح من كلامه ذلك، إبعاد احتمال السفارة عن أذهانهم إبعاداً تاماً، وجعلها بشكل لا يمكن أن تخطر في ذهنهم فضلاً عن أن يصدّقوا بها.

وإذا كانوا لا يعلمون به، فهم لا يعلمون بأسلافه أيضاً، ولا بخلفه بطريق أولي.

يندرج في هذه القائمة سائر السائرين علي هذا الخط من حكام و محكومين، غير شخص الخليفة.

فإنّ حول بعض الخلفاء توجد قرائن تاريخية تدلّنا علي أنّه كان عارفاً بالحق

ص: 99

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 184.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 237.

وبموضعه، كما صرّح به الشيخ الصدوق في إكمال الدين فكما أن سمعنا موقف المعتمد من الإمام العسكري (عليه السلام) في حين طلب منه الدعاء له بالبقاء في الحكم، ورأينا موقفه من جعفر بن علي الهادي حين ادّعى الإمامة بعد أخيه، حول التوسط الي الدولة لنيل مأربه.

وبالنسبة للمقتدر فقد كان للشيخ الحسين بن روح محل عظيم عنده، و هذا يمكن تفسيره باعتبار جهل المقتدر بتشيعه فضلاً عن سفارته، لما سمعناه من التزامه بالثقيّة والحذر، فكان المقتدر يقرّيه لأجل علمه وسعة اطلاعه و حضور خاطره جاهلاً بواقعه و حقيقته.

وهذا الاحتمال وإن كان لا يخلو من قوّة في الذهن إلا أنّ له مضعّفات تاريخيّة وقرائن موهنة له. منها: أنّ المقتدر نفسه حبسه مدّة يسيرة، و منها أنّ الشيخ ابن روح استر مدّة من الزمن(1). ولو كان بالمنزلة التي سمعناها مع غصّ النظر عن سفارته لما كان هناك موجب لذلك كما هو واضح. وإّما يحدث ذلك لما قد يبلغ السلطات بشكل غامض و غير مباشر، ما قد يقوم به ابن روح من أعمال بصفته سفيراً عن الإمام المهدي (عليه السلام)، و إذ لا يكون للسلطات أي مستمسك ضدّه فانها تغصّ النظر عنه و تطلق سراحه. و علي أي حال، يكون مسبوقاً في الجملة بذلك.

ومنها: ما إذا ضمّمنا هذا الموقف من المقتدر إلي موقف المعتمد قبله و موقف الراضي بعده، فانا نحصل علي سلسلة من الخلفاء العارفين بالأمر، إلي بعض الحدود، وإن لم يجدوا أي اسلوب معين للوقوف ضدّه أو الحيلولة دونه، ثمّ نسمع بالنسبة إلي الراضي في حادثة أُخري أنّه ذُكر ابن روح في مجلسه، من قبل أحد مؤيّدَي الشلمغاني المدّعي للسفارة زوراً.. حين قال عن صاحبه الشلمغاني: إنّّه لم يدعِ الإلهية، وإّما

ص: 100

1- الغية، للشيخ الطوسي، ص 183.

ادّعي أنّه الباب إلي الإمام المنتظر مكان ابن روح(1).

فلم يسأله الراضي عن ابن روح هذا، ولم يستفسر منه عن خبره، ومن أين يعرف أنّه كان سفيراً؛ ولو كان الراضي جاهلاً بذلك و محاولاً التنكيل بالسفير لكان يتوجّه بالسؤال إليه، ولكان بيده أول مستمسك يدلّه علي الإمام المهدي(عليه السّلام)، فيدلّ ذلك علي أنّه كان عالماً به إلي حدّ ما، بل وعالماً بسفارته عن الإمام المنتظر(عليه السّلام) الذي أشار الرجل في كلامه.

إذن فالمعتمد و الراضي بل والمقتدر أيضاً علي احتمال كبير، كانوا يعلمون بالاتّجاه الذي يسير فيه خطّ الأئمة(عليهم السّلام) وبممثليه إلي حدّ كبير.

8. مقدار ارتباط السفراء بقواعدهم الشعبية:

ذكرنا فيما سبق أنّه لم يكن يعرف باسم السفير إلا من عُرف فيه الإخلاص العظيم والاستعداد للتضحية والفداء وهم الخاصّة الأقلون بطبيعة الحال.

إلا أنّ المفهوم من مجموع النقل التاريخي في رواياتنا، أنّ القواعد الشعبية الموالية في بغداد خاصّة، وفي العراق عامّة، كانت تعرف - علي العموم - فكرة السفارة وكيفية الاتّصال بالسفير ولو بوسائط، وأنّ عدداً مهماً من خاصّتهم وعلمائهم، كانوا علي اتصال مباشر بهم، وعلي علم بمسؤولياتهم.

وقد يقوم جملة منهم بالوساطة بين السفير والمجتمع لإبلاغ توقيعات الإمام المهدي(عليه السّلام) وتوجيهاته إلي الناس.

قال الشيخ الطوسي: وقد كان في زمان السفراء الممدوحين أقوام ثقة ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل(2).

وقد يرتبط الفرد العادي من القواعد الشعبية الموالية بواحد من هؤلاء الخاصّة،

ص: 101

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 257.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 257.

لقضاء مقصوده عن طريق السفير، من دون معرفته بشخص السفير ولا مكانه ولا عمله الاجتماعي الظاهر، ولا يكون هذا الواسطة علي استعداد للتصريح بذلك باعتبار كون الفرد العادي غير قادر علي الكتمان ولا علي مستوي المسؤولية والإخلاص، وأنه كان لأبي جعفر العمري في بغداد نحواً من عشرة أشخاص، منهم أبو القاسم ابن روح (رضي الله عنه) كانوا وكلاء علي الأموال والتجارات، إلا أن استعمالهم علي ذلك إنما كان للتغطية علي الأمر وزيادة الحذر والكتمان، كما هو الحال في السفير نفسه، وفي الواقع كانوا وكلاء في المال وفي قيادة قواعدهم الشعبية وأنّ الحسين بن روح كان يلقي بأسراره إلي الرؤساء من الشيعة (1). وكان له وكلاء منهم الشلمغاني قبل انحرافه (2) و آخرين.

يقول الراوي: «كتبت إلي الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح». و من هذا التعبير يظهر وجود واسطة بينه وبين الراوي وذلك لعدم وجود البريد المعروف يومئذ.

فكان الأمر في بغداد والأطراف يجري علي هذا النسق، وكانت توزّع تعاليم الإمام المهدي (عليه السلام) وتجيبي الضرائب والحقوق الشرعية بشكل هرمي، يكون السفير قمته، والوكلاء الخاصون وسطه والقواعد الشعبية الموالية قاعدته، وذلك مبالغة في الخفاء والحذر والتستر.

وأما الأطراف البعيدة، فالأمر في مبدأ الغيبة الصغري، و تحقّق فكرة السفراء، كان مختلفاً عن ذلك إلي حدّ كبير، فقد كان الأمر عند الكثيرين غامضاً مجملاً.

إنّ الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه أسّس الأساس الرئيسي لإزالة هذا الغموض منذ اليوم الأوّل للغيبة الصغري، حين ذكر لوفد القميين أنّه سيعين لهم رجلاً في بغداد تدفع إليه الأموال، وتخرج عنه التوقعات، فكان لهذا الوفد أثره الكبير في إيضاح الفكرة في

ص: 102

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 227.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 183.

العراق وفي قم وأطرافها إلى حد كبير.

إلا أن الانتشار المطلوب لهذه الفكرة، كان يحتاج إلى عدّة سنوات لا سيّما وهو يعيش جوّ التكتّم والحذر، في كلّ أصقاع البلاد الإسلاميّة، ومن هنا كان الأمر في مبدأ الغيبة الصغرى غامضاً لدى الكثيرين و مبهماً مجملاً عندهم.

فهذا محمّد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي، يرد العراق شاكاً بعد وفاة الإمام العسكري (عليه السّلام)، باحثاً عن خلفه (1)، وفي الدينور حين أراد أهلها بعد وفاة الإمام بسنة أو سنتين، أن يسلموا أموالهم إلى أحمد بن محمّد الدينوري ليحملها إلي حيث يجب تسليمها.. فأجابهم يا قوم هذه حيرة ولا نعرف الباب في هذا الوقت.

أنظر كيف أنّه يعرف السفارة وكونها مطبقة في ذلك الحين، و يعرف كونها في بغداد لكونه قصد بغداد بعد ذلك باحثاً عن السفير كما جاء به النقل (2). ولكنّه يعترف بجهله باسم و شخص السفير (الباب) في ذلك الوقت.

وفي مصر، خرج أبو الرجاء المصري، وكان من الصالحين، بعد مضي الإمام العسكري (عليه السّلام) بثلاث سنين، خرج في طلب خَلْفِهِ (3)، و التعرّف علي وظيفته و تكليفه في تلك الفترة.

ومن الطبيعي أن يثور مثل هذا الغبار في أوّل فترة الغيبة الصغرى في المناطق النائية عن المركز، ولكنّه كان ينجلي بالتدريج بعد أن استطاع هؤلاء الباحثون عن الأمر أن يحصلوا علي المراد فيعرفوا شخص السفير أو يقابلوا الإمام (عليه السّلام) نفسه أحياناً، فيرتفع شكّهم و يرجعون إلي بلدانهم لكي يبلغوا ما رأوا من الحقّ، مضافاً إلي تبليغ وفد القميين و ما قام به من جهود، حصل بها اليقين و هدأت لأجلها النفوس.

ص: 103

1- الغيبة، ص 159، والمنتخب، ص 283.

2- بحار الأنوار، ج 13، ص 79.

3- محمّد الصدر، تاريخ الغيبة الصغرى، ص 459.

وحيث اتّضح الأمر أصبح النظام الهرمي مطبقاً في الأطراف أيضاً حيث رجع الناس هناك إلى الوكلاء المبعوثين في البلدان ورجع هؤلاء بالمراسلة إلى السفير في بغداد.

المهام الأساسية للسفارة

ويمكن أن تُحصر هذه المهام والوظائف في أمرين:

الأول: تهيئة الأذهان للغيبة الكبرى، و تعويد الناس تدريجاً علي الاحتجاب، وعدم مفاجأتهم بذلك، حيث تنتج المفاجأة نتيجة سيئة لا محالة، إذ قد يؤدي ذلك إلي الإنكار المطلق لوجود الإمام المهدي(عليه السلام) .

و من ثمّ رأينا كيف أنّ الإمامين العسكريين (عليهما السلام) بدءاً الاحتجاب عن الناس تدريجاً، وضاعفه الإمام العسكري (عليه السلام) علي نفسه، كما أنّ الإمام نفسه تدرّج في عمق الاحتجاب.. فكانت فترة السفارة أيضاً إحدى الفترات المرحلية لتهيئة الأذهان لهذا التدرّج.

ومن المعلوم أن هذا الغرض من السفارة يتحقّق بنفس تحقّق فكرة السفارة ووجود السفير في المجتمع ولو بأقل ما يقوم به من عمل فضلاً عن اضطلاعاه بالمسؤولية بالنحو المطلوب.

الثاني: القيام بمصالح المجتمع بشكل عام، و مصالح القواعد الشعبية الموالية للأئمة(عليهم السلام) بشكل خاص، تلك المصالح التي تفوت بطبيعة الحال بسبب انعزال الإمام واختفائه عن مسرح الحياة وحضوره بشكل علني فيها، شأن أي مصلحة للمجموع تفوت بغياب القائد والموجه.

ومن ثمّ جعلت السفارة، لكي يقود الإمام المهدي(عليه السلام) برأيه وإن فأت قيادته بشخصه، ويكون التطبيق بين السفراء في حدود الإمكان وبحسب المصالح والتصرفات التي يراها ويخطّطها الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه وهذا الغرض قد قام به كلّ واحد من السفراء الأربعة خير قيام، حيث اضطلع بحفظ مصالح المجتمع، في حدود الجوّ الخائق، والمراقبة الشديدة والتحفظ.

إنّ نشاط وعمل السفراء الأربعة يتّصفان بالوحدة والتشابه حيث إنّ المهمة المناطة بهم كانت واحدة.

فالتمهيد للغيبة الكبرى يُعتبر الهدف الرئيسي من نشاطهم وعملهم وقد كان مركز عملهم ونشاطهم بغداد، وقد اختاروها بناءً على أمر الإمام المهدي (عليه السّلام)، وربما وقع الاختيار عليها، لكونها تتوسّط أمصار الدولة الإسلاميّة آنذاك، ولكبّر مساحتها، وكثرة سكانها، وعليه فيمكن للسفراء إخفاء عملهم والتكتم عليه فضلاً عن كون بغداد عاصمة الدولة ونقطة التقاء أبناء الدولة فيها، ففي زحمة هذا اللقاء يكون من السهل العثور على السفراء أو التعرف على نشاطهم مع ملاحظة حذرهم وتنبهات الإمام (عليه السّلام) لهم.

وقد سبق توضيح خصائص هذه الفترة التي اشتملت على نقاط تخصّ الوضع العام للدولة والأمة - وأخري، خصائص تتعلّق بالإمام (عليه السّلام) وقواعده الموالية له، وصلتهم بسفرائه الأربعة، وبيان أنّ الغالبية من القواعد لم تكن تعرف تفاصيل وضعية السفراء، من حيث طريقة اتّصالهم بالإمام (عليه السّلام) ومكان تواجدهم، ... وربما مع امتداد فترة الغيبة تعرّف الكثير علي وجودهم من قواعدهم، مع أنّ هناك من له علاقة وطيدة بهم من ثقة الشيعة.

1. وضح كيف يتشابه نشاط وعمل السفراء الأربعة بالرغم من اختلاف ظروفهم؟
2. ماهي المهمة الأساسية للسفارة؟
3. عدد أربعاً من خصائص فترة الغيبة الصغرى؟
4. ما المقصود بتوقيع الإمام (عليه السلام) وضح ذلك؟
5. بين كيفية ارتباط السفراء بقواعدهم الموالية؟
6. هل اتخذ بعض السفراء وسائل معينة في التخفي للتمويه علي السلطة؟ وضح ذلك.
7. لماذا وقع الاختيار علي بغداد لتكون مسرحاً لنشاط السفراء الأربعة؟
8. ما هو دور وفد القميين في إيضاح فكرة الغيبة لدي القواعد الشعبية الموالية؟

إدعاء السفارة عن الإمام (عليه السلام)

ابتليت السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام) وابتلي السفراء أيضاً، بعد أعوام قلائل من أول عهدهم، بدعاوي السفارة كذباً وزوراً، طمعاً في ابتزاز الأموال و تزعم قيادة الناس.

مناشئ التزوير

إنّ السفارة الكاذبة في واقعها تشويه للسفارة الصادقة العادلة، ومن هنا جاءت متأخرة عنها بسنوات؛ وذلك لأنّ القواعد الشعبية الموالية في زمان الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام)، وإن كانت قد اعتادت علي وجود السفراء عن الإمام عند احتجابه عن الناس تمهيداً للغيبة الصغرى، إلا أنه من المحتمل أن يحتجب الإمام المهدي (عليه السلام) عن قواعد الشعبية، ولا يوكل عنه شخصاً علي الإطلاق.

وإنما ثبت عزمه (عليه السلام) علي التوكيل خلال هذه الفترة، عن طريق تصريحه هو (عليه السلام) و تصريح أبيه الإمام العسكري (عليه السلام) وأعمال السفراء في إثبات وكالتهم.

فإذا ثبت عزمه (عليه السلام) علي إيجاد الوكالة أو السفارة عنه انفتح باب إمكان دعوي السفارة الكاذبة و تزوير الدعوي بالاتصال بالمهدي (عليه السلام)، خاصة بعد العلم بالاتصال به

سراً فلا يمكن لأحد الأطلاع عليه أو السؤال عن مكانه وزمانه، فتكون دعوي الاتصال به سراً بمكان من الإمكان ولن يمني المزور بصعوبة وإحراج من هذه الجهة.

حيث يعضده في ذلك عدة أمور:

إحداها: ضعف الإيمان لديه و عدم الإخلاص وقابليته للانحراف.

ثانيهما: الطمع بالأموال التي يحصل عليها عن هذا الطريق، إذ يتخيّل المزور أنّ الحقوق الشرعية التي تدفع إلي السفير الصادق ستدفع إليه.

ثالثهما: السفارة مصدر للشهرة الاجتماعية، والتحكّم في القواعد الشعبية الموالية للإمام (عليه السلام) ، وإصدار الأوامر والنواهي فيها بزعم أنّها صادرة عنه (عليه السلام).

التسلسل التاريخي للتزوير

بدأ التزوير - علي ما يدل عليه تاريخنا الخاص - في عهد السفير الثاني الشيخ محمّد بن عثمان العمري (رضي الله عنه) ، وأمّا أبوه السفير الأول، فقد كان أقوى وأسمى من أن يعارضه معارض، بعد تأريخه المجيد مع الإمامين العسكريين الماضيين (عليهما السلام) و ثناؤهما العاطر عليه، وأداؤه لمختلف أنواع الجهاد في عهدهما، وبموجب توجهاتهما، فلن يكون للظنون أن تحوم وللمطامع أن تظهر أو تشار لمعارضته أو مضايقته، فإنّها ستواجه بالنقد والإنكار من كلّ جانب.

كما أنّ الظروف لم تكن لتساعد علي دعوي السفارة، فإنّ الغيبة الصغرى كانت في بدايتها، و تتبّع السلطات ومطارتهم للمهدي (عليه السلام) وعائلته ولكلّ من يمتّ إليه بصلة كانت قويّة جداً.

وكانت سفارة عثمان بن سعيد جهاداً كبيراً و تضحية عظيمة فكيف يعرّض الشخص نفسه للمطاردة والخطر تلقائياً بانتحال السفارة، علي أن التزوير لا يكاد يحتمل وجوده قبل أن يعتاد الناس علي هذا النحو من السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام) ، و هذا الاعتياد كان يحتاج في تحقّقه إلي زمن تعيشه القواعد الشعبية تجاه السفارة الصادقة، وهو ما

لم يتحقّق في أوّل الغيبة الصغرى، وخلال الأعوام القليلة التي قضاها عثمان بن سعيد في السفارة.

وقد ظهَرَ المزوَّرون خلال الفترة الطويلة التي قضاها السفير الثاني في سفارته، و تأريخنا الخاص، وإن لم يضع الحروف علي النقاط من حيث تأريخ التزوير وعدد جهاته إلا أنّه يدلّ علي بدء السفارة الكاذبة في زمان هذا السفير.

لقد ادّعي السفارة زوراً عن الإمام المهدي (عليه السّلام) في زمان أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري (رضي الله عنه)، عدّة أشخاص، أوّلهم: أبو محمّد الشريعي، قال الراوي: وأظن اسمه كان الحسن و هو أوّل من ادّعي مقاماً لم يجعله الله فيه (1).

ثمّ محمّد بن نصير النميري، ادّعي ذلك الأمر بعد الشريف (2) وأحمد بن هلال الكرخي (3)، وأبوطاهر محمّد بن علي بن بلال البلالي (4)، وأبو بكر محمّد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي ابن أخ أبي جعفر العمري (رضي الله عنه)، وإسحاق الأحمر (5)، و رجل يعرف بالباقطني (6).

وقد كان بعض هؤلاء صالحين في مبدأ أمرهم و من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السّلام)، ولكن انحرفوا وسلوكوا مسلك التزوير فجابهم العمري (رحمه الله) بكلّ قوّة وانتصر عليهم، وخرجت من المهدي (عليه السّلام) التوقيعات والبيانات بلعنهم والبراءة منهم، والتأكيد علي كذب سفارتهم وسوء سريرتهم.

وأما الشيخ الحسين بن روح السفير الثالث، فقد ابتلي بأشدّهم تأثيراً وأوسعهم

ص: 109

- 1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 241.
- 2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 244.
- 3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 245.
- 4- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 245.
- 5- بحار الأنوار، ج ، ص 79.
- 6- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 245.

أصحاباً محمّداً بن علي الشلمغاني العزاقري(1). وكان في مبدأ أمره مؤمناً مستقيماً، بل وكيلاً لابن روح، ثم ظهر انحرافه وسقم عقيدته.

وأخراً في دعوي السفارة الكاذبة - علي ما يظهر من عبارة الشيخ الطوسي هو:

أبودلف الكاتب، حيث كان علي ذلك إلي ما بعد وفاة السمري السفير الرابع.

قال الراوي: فلعتاه وبرئنا منه لأنّ عندنا أنّ كلّ من ادّعي الأمر بعد السمري فهو كافر ضالّ مُضِلّ.

بقي شخص مّمن نسبت إليه دعوي السفارة، هو الحسين بن منصور الحلاج، المعروف بمذهبه الصوفي، وله في هذه الدعوي مكاتبة مع أبي سهل بن اسماعيل بن علي النوبختي إلا أنّها كانت علي المظنون في زمن الحسين بن روح. فهؤلاء هم الذين قامت حركة التزوير علي أيديهم.

الإمام المهدي(عليه السلام) وموقفه من مدّعي السفارة

إشارة

كان الاهتمام الكبير للإمام المهدي(عليه السلام) وسفرائه في الوقوف ضدّ هذا التيار، أكبر من الوقوف ضدّ أي تيار آخر، وذلك لسببين أساسيين:

أحدهما

أنّ هذا العمل ممّا ينسجم مع سياسة السلطات، فلا يكون منافياً لمسلك الحذر والتكتم، وحيث كان في ردع القواعد الشعبية الموالية عن هؤلاء المزورين مصلحة كبرى، ولا مانع منه من قبل السلطات، إذن فمن المنطق أن ننتظر ازدياد نشاط السفراء والوكلاء في ذلك، وتعدد التوقيعات بخصوصه.

ثانيها

وهو الأهمّ والمبتني علي قاعدة عامة في منطق الجماعات البشريّة، هي: أنّ الهدم

ص: 110

الناشئ في داخل الجماعة يكون أضربَّ بها و أشدَّ عليها من الهدم الوارد من الخارج، في الأعم الأغلب. بل إنَّ المنحرفين في كلِّ جماعة يمثّلون الخطَّ المناوئ جنباً إلى جنب مع الجماعات المعادية الأخرى.

ومن ثمَّ كان المنحرفون عن الإسلام، والمتاجرون باسمه، أشدَّ علي الإسلام خطراً من الكفّار والمشركين، وأكثر تأثيراً في الابتعاد عنه. و هم - في واقعهم - يد عاملة في مصلحة القوي العالمية المناوئة للإسلام في كلِّ زمان.

ولذلك، كان هؤلاء المنحرفون، المدعون للسفارة زوراً، أشدَّ علي القواعد الشعبية وأضربَّها - لو استفحل أمرهم - من السلطات المنحرفة لأنَّهم يتاجرون باسم الإمام المهدي (عليه السّلام)، ويدخلون إلي عقول السذج عن طريق مهم معتاد بالنسبة إليهم وهو السفارة عنه وقبض الأموال بالوكالة عنه. ثمَّ إنَّهم يشيعون من عقائدهم المنحرفة وسلوكهم الباطل ويحاولون التأثير في نفوس الآخرين، تحت هذا الشعار ما يحلو لهم وما يشاءون.

علي حين أنّ السلطات لا تملك إلا الحديد والنار والسجون، ولم تكن هذه الأمور يوماً بصالحها في القيام ضدَّ العقيدة أو التأثير عليها. إذ لا تستطيع أن تدخل إلي أذهان الموالين للأئمة (عليهم السّلام)، عن طريق ديني بأي حال من الأحوال. وليس أدلّ علي ذلك، من رفض المعتمد لعمالة جعفر بن علي، حين كان يائساً من تأثيره في فرض عمالته علي موالى أخيه (عليه السّلام).

فكان من الواجب الوقوف ضدَّ هذا التيار الداخلي المنحرف، الذي كاد أن يبلغ مبلغاً عظيماً، لولا ما بيّنه الإمام المهدي (عليه السّلام) من بيّنات وما قام به السفراء من نشاط مضاعف كبير. إلي جانب شعور الدولة بالمعاداة مع هؤلاء المنحرفين ومطاردتها لهم. ولم يخطر لها أن تستفيد منهم في سبيل هدم الجماعة الموالية و تفريق شملها و تشتيت كلمتها ممّا أوجب تظافر نشاط السفراء والدولة علي حربهم ومطاردتهم.

ولم تكن الدولة بقيادة علي جرّهم إلي جانبها و الاستفادّة منهم في مصلحتها لعدّة عوامل:

الأول: إنّ دعوتهم - علي الأغلب . كانت خارجة عن أصل الإسلام بشكل مكشوف وواضح لدي عموم الناس، بحيث لا يمكنهم التأثير الكبير. ولا ينفعون السلطات حتّي لو أرادوا ذلك.

الثاني: إنّ توقيعات الإمام (عليه السّلام) وموقف سفرائه، كان قوياً فعّالاً في التأثير عليالجماعة الموالية. بحيث لم يبقَ لهؤلاء المزوّرين باقية يمكن أن تصلح سنداً للدولة، حتّي لو أرادت استخدامها.

الثالث: كانت الدولة تخاف علي قواعدها الشعبية من التشتّت والانهيار. فإنّها كانت قائمة علي أساس الالتزام بالإسلام، ومنفعة في أصل وجودها من شعاراته. فإذا دخلتها الدعوات المنحرفة عنه بشكل علني صريح، كان ذلك مضراً بها لا محالة.

الرابع: إنّ الدولة كانت تخاف . في حدود ما تفهم - بأن يؤثّر هؤلاء المنحرفون، بشكل أو بآخر، في بعض قواعدها الشعبية عن مذهبهم وتقريبهم إلي خطّ الأئمة (عليهم السّلام) ولو باعتبار أنّ هؤلاء المنحرفين يدّعون السفارة عن الإمام المهدي(عليه السّلام) ، وهو القائد الفعلي لذلك الخط. وهو الخطّ الذي تخشاه السلطات وقد سبقت بعض الشواهد علي ذلك(1).

الخامس: كان هؤلاء المنحرفون مشتركين مع خطّ الأئمة السفراء، في الشعور بظلم السلطات وعدم الاعتراف بشرعيتها. وهذا الشعور بنفسه يجعلهم يرهبون أن يبيعوا ضميرهم للسلطات ويكرّسوا نشاطهم من أجلها. وهم يشعرون أنّهم سوف لن يحصلوا من القواعد الشعبية أحداً، لو شعر الناس منهم مثل هذا الاتّجاه.

وهذا هو الذي جعلهم طرفاً للعداء مع السلطات و مع السفراء علي حدّ سواء. ولم

ص: 112

1- أنظر الكامل، ج 6، ص 87 .

يكن في مستطاعهم، وهم يمثّلون أضييق الاتّجاهات وأضعفها، أن يحاربوا في جبهتين، ويبدّلوا نشاطهم في أكثر من ميدان واحد. ممّا عبّجّل في خاتمة أمرهم وإنهاء حسابهم، و توفيق الله للأمة الإسلامية عموماً والموالين خصوصاً للخلاص منهم.

الخلاصة

ابتليت السفارة ككيان خاص، أنشئ في مرحلة معيّنة بأمر الإمام المهدي (عليه السّلام)، بافتراءات المفترين، وادعاءات المدّعين، وقد ساعد في ذلك الظروف الخاصّة المحيطة بكتمان وجود الإمام المهدي (عليه السّلام) و وضعيّة السفراء: خلال هذه الفترة من تاريخ الشيعة، حيث كانت السلطات تبحث عن الإمام (عليه السّلام) وشيعته يواجهون الاضطهاد والمطاردة.

وقد ظهر جماعة من المدّعين للسفارة والنيابة عن الإمام (عليه السّلام)، غير أنّ جهود السفراء وما كان يصدر عن الإمام (عليه السّلام) أفشلت تلك المحاولات وحدّت من تأثيرها بين الجماعة الصالحة، وكانت هناك جملة من الأسباب كالطمع والجاه أو ربّما تحريفي السلطات أدّت إلي ظهور مثل هؤلاء الأشخاص، ومع كلّ ذلك كانت محاولاتهم يائسة، وفاشلة والراجح أنّ تاريخ ظهور السفارة الكاذبة وادّعائها كان بعد وفاة السفير الأوّل وقيام ولده محمّد بن عثمان مقامه، في أداء شؤون السفارة.

1. وضح أسباب إدعاء السفارة المزورة؟
2. كم شخصاً ادعي هذه السفارة؟
3. ما هو التسلسل التاريخي لتزوير السفارة؟
4. ما هو دور السفراء في إفشال مخططات مدعي السفارة؟ .
5. ما هو موقف الإمام المهدي (عليه السلام) من مدعي السفارة؟
6. لماذا كان موقف الإمام (عليه السلام) و سفرائه شديداً تجاه هذا الانحراف و مدعيه؟

إشارة

سبق أن تطرقتنا إلي نشاط السفراء، بنحو عام لأنهم لا يتميّزون في الأساليب باعتبار أنّ تحرّكهم كان وفقاً لتوجيهات الإمام المهدي (عليه السلام) وكون ما يستقلّ به بعض السفراء من خصائص يعود إلي اختلاف المصالح التي كان يراها الإمام المهدي (عليه السلام) في ذلك. بحيث لو كان السفير الآخر في محلّه لقام بنفس العمل لا محالة، وأمّا تفاصيل أعمالهم فيكون الحديث عنه ضمن النقاط التالية:

النقطة الأولى

إقامة الحجّة علي إثبات صدقهم فيما يصدر عنهم من أجل توثيق الصادر عنهم، و تقوية الرابطة بينهم وبين قواعدهم الشعبية الموالية. ويتّضح ذلك للقواعد من خلال:

1. كون السفير صادقاً أميناً ورعاً تقيّاً، ويتمّ ذلك عن طريق التعامل والتعايش معه، من خلال مخالطته للناس وهو ما يصطلح عليه بالسلوك اليومي والاعتيادي له، أي وثاقة السفير في نفسه بحسب التجربة التي يعيشها مع الناس. ومدح الأئمة (عليهم السلام) للسفير الأول والثاني، وما صدر من توقيعات عن الإمام المهدي (عليه السلام) في السفراء، توثيقاً ومدحاً يعتبر عاملاً مهماً في حصول ذلك..

2. إفحام مدّعي السفارة زوراً وإظهار كذبهم والقصاص التالية توضّح لنا مدى ارتباط السفراء بالإمام (عليه السّلام) وأنهم لا يقولون ولا يفعلون أمراً إلاّ عنه.

فمن ذلك: ما قاله الحسين بن روح للراوي الآذي ناقشه في بعض الأمور العقائدية، فغدا عليه من الغد وهو يقول في نفسه: أترأه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟.. فابتدأه ابن روح، قائلاً: يا محمّد بن إبراهيم لئن أخرّ من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق، أحبّ إليّ من أن أقول في دين الله برأبي و من عند نفسي. بل ذلك من الأصل و مسموع من الحجّة صلوات الله وسلامه عليه(1).

انظر كيف اقترنت أمور ثلاثة أنتجت نتيجة واضحة. أحدها: شكّ المخاطب. والآخر: التأكيد الآذي ذكره ابن روح في كلامه، والثالث: أنّ ابن روح ابتدأه بالكلام بما في نفسه قبل أن يعرب عنه وهو خرق للنواميس الطبيعية، وعلم الغيب ببعض مراتبه. وبذلك ارتفع شكّه، ولم يكن شكّه ليرتفع دون ذلك.

ومن ذلك أيضاً: أنّ ابن روح (رضي الله عنه) ، تكلم مع امرأة من أهل آبة، بلغة قومها. فإتّها جاءت تحمل معها ثلاثمائة دينار لكي تسلّمها إليّ السفير، و استصحبت معها مترجماً ليكون واسطة في التفاهم بينهما ولكن أبا القاسم بن روح أقبل عليها وتكلم معها بلسان أبي فصيح بالدنياً بسؤال أحوالها و حال صبيانها. فاستغنت عن المترجم، وسلّمت المال، ورجعت(2).

أنظر لهذه الحجّة التي تزيل ما قد يكون علق في قلب هذه المرأة الوافدة من الشك، أو من ثقل المسؤولية بدفع المال إليه.

ومن ذلك إخبار السري بوفاة علي بن الحسين بن بابويه القمي حيث كتب

ص: 116

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 199.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 195.

المشايخ تاريخ ذلك اليوم، فورد الخبر أنه توفي في ذلك اليوم(1).

ومن ذلك أيضاً: أنّ أبا جعفر العمري أخرج إلي محمد بن متيل، ثوبيات معلّمة وصرّ فيها دراهم. وقال له: تحتاج أن تصير نفسك إلي واسط في هذا الوقت، و تدفع ما دفعته إليك إلي أول رجل يلقاك عند صعودك من المركبني واسط(2). وبعد أن ينفذ ابن متيل هذا الأمر يري الشخص المقصود، كما وصفه العمري، ويظهر له من تضاعيف الحادثة أنّ صرة الثياب هي كفن لمحمد بن عبيدالله الحائري، وصرّة الدراهم كراء الحمّالين و الحفّار.

ومن ذلك: أنّ الشلمغاني بعد انحرافه و تزويره، أرسل إلي الشيخ الحسين بن روح يسأله أن يباهله. وقال: أنا صاحب الرجل - يعني الإمام المهدي (عليه السلام) -، وقد أمرت بإظهار العلم. وقد أظهرته باطناً وظاهراً. فباهلني. فأنفذ إليه الشيخ (رضي الله عنه) في جواب ذلك: أيّنا تقدّم صاحبه فهو المخصوم. فتقدّم العزاقري (وهو الشلمغاني)، فقتل و صُلب. وأخذ معه ابن أبي عون. وذلك في سنة 323هـ(3).

النقطة الثانية

المساهمة في إخفاء المهدي (عليه السلام) وهو ما كان كلّ واحد من السفراء يكافح في سبيله و يؤكّد عليه. وكيف لا، وهو علي مستوي المسؤولية التي عبّر عنها بعض الخاصّة من معاصريهم بأنّه لو كان الحجّة تحت ذيله و قرض بالمقاريض ليكشف الذيل عنه، لما كشفه .

فمن ذلك: أنّ عبدالله بن جعفر الحميري وأحمد بن إسحاق الأشعري وهما من أجلاء علماء الأصحاب و خاصّة الموالين لخط الأئمة (عليهم السلام) طلباً من أبي عمرو عثمان

ص: 117

1- الغيبة، ص 242 و منتخب الأثر، ص 399 .

2- منتخب الأثر، ص 396 وإكمال الدين، المخطوط.

3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 187.

بن سعيد السفير الأول أن يخبرهما عن اسم الإمام المهدي (عليه السلام) قال: نهينم عن هذا.

وخرج التوقيع من المهدي (عليه السلام) إلى محمد بن عثمان العمري السفير الثاني (رضي الله عنه) ابتداءً من غير مسألة: ليُخبر الذين يسألون عن الاسم: إمّا السكوت والجنة، وإمّا الكلام والنار. فإنّهم إن وقفوا علي الاسم أذاعوه. وإن وقفوا علي المكان دلّوا عليه(1).

فهو (عليه السلام) يأمر سفيره أن يخبر أولئك الفضوليين الذين يسألون عن الاسم.. أنّهم مأمورون بالسكوت. فإنّهم إن تقدّموا بشيء في هذا السبيل، فالنار مثوهم وبس المصير.

وقد أثّرت هذه التساؤلات في الأغلب، في السنوات الأولى من فترة الغيبة، وهذا ملحوظ ممّا نقلناه من أنّ التحريم صدر بنحو ملحوظ عن السفيرين الأول والثاني، ولم يصدر من السفيرين الأخيرين شيء ملحوظ في ذلك.

وعلي أي حال، فقد كان المتسائلون يغفلون أو يتناسون التبليغات القديمة من الأئمة الماضين (عليهم السلام). كقول الإمام الهادي (عليه السلام) إنّكم لا ترون شخصه ولا يحلّ ذكره باسمه. قال الراوي: فقلت فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجّة من آل محمد

(صلّي الله عليه وآله وسلّم)(2).

وقول الإمام الصادق (عليه السلام): صاحب هذا الأمر لا يسمّيه باسمه إلا كافر(3).

وإن أباجعفر العمري (رضي الله عنه)، حين رأى أنّ أباطاهر بن بلال، وهو أحد مدّعي السفارة زوراً، يحتكر الأموال التي للإمام (عليه السلام) ولا يدفعها إلي سفيره الحق، اصطحبه وأدخله إلي بعض دوره. يقول أبوطاهر: فأشرف علي من علوّ داره فأمرني بحمل ما عندي من المال إليه. فقال له أخوه: و من أين علمت أنه صاحب الزمان؟ قال: قد وقع عليّ من الهيبة له ودخلني من الرعب منه ما علمت أنّه صاحب الزمان(4).

ص: 118

- 1- الغيبة للشيخ الطوسي ص 222.
- 2- الكافي، ج 1، ص 391.
- 3- الكافي، ج 1، ص 392.
- 4- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 246.

فكان المهدي(عليه السلام) - فيما تدلّ عليه هذه الرواية - يري المصلحة في أن يقابل المدّعي المزورّ وجهاً لوجه، ويأمره بدفع الأموال وعدم احتكارها. فكان أن ذهب به السفير إلي بعض دوره، وتمّت المقابلة هناك. وكانت المقابلة قصيرة ورهيبة بالنسبة إلي هذا المزورّ.. وهو يعلم بكذب نفسه، و سوء تصرّفه.

والطريف في أمره أنّه اضطرّ إلي الاعتراف بعدم معرفته بصاحب الزمان المهدي(عليه السلام) شخصياً، بالرغم من أنّه يدّعي السفارة عنه. وهذا يدلّ بكلّ وضوح علي كذبه وإفحامه.

النقطة الثالثة

التزام السفراء بالتكتم والحذر. وقد سبق أن عرفنا هذا المسلك، وحملنا فكرة كافية عن أسبابه ونتائجه، و غايتها في هذه النقطة أن نعرض أمثلة من ذلك، في حدود ما وردنا من التاريخ.

فمن ذلك: ما سمعناه من أن أبا جعفر العمري(رحمه الله). وقد كان الأمر رهيباً جداً والسيف يقطر دمًا.. كان يتسلّم الأموال الراجعة إلي الإمام(عليه السلام) من أصحابها بصفته تاجراً من التجار، ولا يدفع بها وصلاً لئلا يتسرّب إلي السلطان.

وحين آلت السفارة إلي الحسين بن روح بعد وفاة العمري، ازداد تمسكاً بالحذر والكتمان، إلي حدّ إظهار التدين بمذهب أهل السنّة والجماعة والدفاع عنه. وقد سمعناه يظهر تأخير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) في الأفضلية عن جميع الخلفاء الراشدين الثلاثة.

ولم يكتف ابن روح باظهار ذلك، بل شمل لطفه و عطفه معاوية بن أبي سفيان أيضاً.. فقد بلغه أنّ بواباً قد لعن معاوية و شتمه فأمر بطرده و صرفه عن خدمته. قال الراوي: فبقي مدة طويلة يسأل في امره. فلا والله ما ردّه إلي خدمته(1).

ص: 119

إنّ ابن روح لم يمدح معاوية.. ولكنّه في نفس الوقت لا يري من صالح عمله كسفير عن الإمام المهدي(عليه السّلام) ، وجود من يلعن معاوية في بيته أو عند بابه.. حتّى لا يكون هذا مستمسكاً ضده عند الدولة في يوم من الأيام.

وكان يستعمل نفس هذا الاسلوب مع سائر الناس ما عدا من يعلم بإخلاصه وقوّة إيمانه. حتّى انه كان عشرة ذاهبين إلي ابن روح تسعة يلعنونه وواحد يشكك، فيخرجون من عنده، تسعة يتقربون إلي الله بمحبّته وواحد واقف(1).

النقطة الرابعة

إخراج توقيعات الإمام المهدي(عليه السّلام) وحل المشاكل وتذليل العقبات التي قد تصادف بعض قواعدهم الشعبية في طريقها.

وفي الحقيقة أن المشكلات إنّما تحلّ والحاجات إنّما تقضي نتيجة لتعاليم الإمام المهدي (عليه السّلام) الواردة في توقيعاته، ومن هنا يعتبر التوقيع عملاً من أعماله، وإن استند إلي السفير باعتبار إظهاره والعمل علي تطبيقه.

ونحن إذا لاحظنا أثر التوقيعات من الناحية الاجتماعية في حل المشاكل وقضاء الحاجات، نراها تدرج ضمن عدّة أمور:

الأمر الأوّل: حل المشاكل العائلية، و تحويل الأسرة إلي أسرة سعيدة

فمن ذلك: أنّ زوجاً حمل زوجته إلي بيت أبيها، فأقامت فيه سنين لايسمحون لها بالرجوع إلي منزل زوجها، وكانت لا تجدي محاولات الزوج في ذلك، ثمّ إنّّه أتى بغداد وسأل الدعاء من الإمام عن طريق الحسين بن روح. فخرج التوقيع: «والزوج والزوجة فأصلح الله ذات بينهما». فسهّل الله له نقل زوجته بأيسر كلفة، وأقامت معه سنين كثيرة وأنجبت منه أولاداً.

قال الزوج (وهو الراوي): وأسأت إليها إساءات استعملت معها كلّ ما لا تصبر

ص: 120

النساء عليه، فما وقعت بيني وبينها لفظة شرّ ولا بين أحد من أهلها إلي أن فرّق الزمان بيننا(1).

الأمر الثاني: تيسير الشفاء لأمراض قد أزمّت وطال علاجها فمن ذلك: أنّ شخصاً خرج به ناسور، فعرضه علي الأطباء و أنفق في التداوي عليه مالا. فلم يجد فيه شيئاً، فكتب رقعة إلي الإمام (عليه السلام) يسأل فيها الدعاء. فخرج التوقيع إليه قائلاً: «ألبيك الله العافية و جعلك معنا في الدنيا والآخرة».

يقول: فما أتت عليّ جمعة حتّي عوفيت، وصار الموضوع مثل راحتي، فدعوت طبيباً من أصحابنا و أريته إيّاه. فقال: ما عرفنا لهذا دواء. وما جاءتك العافية إلّا من الله بغير احتساب(2).

الأمر الثالث: طلب الولد. فمن ذلك: أنّ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أرسل إلي أبي القاسم بن روح بواسطة أبي جعفر محمّد بن علي الأسدي، يسأل الإمام (عليه السلام) أن يدعو له أن يرزقه ولداً ذكر. فسأله أبو جعفر الأسدي لابن بابويه و لنفسه. فأخبره ابن روح بعد ذلك بثلاثة أيام: أنّه (عليه السلام) قد دعا لابن بابويه و أنّه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به، و بعده أولاد. و لكنّه لم يدع له وقال: ليس إلي ذلك من سبيل. فلم يولد له(3).

الأمر الرابع: سؤال الدعاء المهام الأمور: فمن ذلك: أنّ القاسم بن العلا، وهو من الوكلاء في آذربيجان، وُلد له عدّة بنين فكان يكتب إلي المهدي (عليه السلام) يسأل الدعاء لهم. فلا يجاب بشيء في أمرهم. فماتوا كلّهم فلمّا ولد له ولده الحسين، كتب يسأل الدعاء له. فأجيب إلي ذلك. و بقي ابنه في الحياة(4).

ص: 121

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 186 و 197.

2- الارشاد، ص 332.

3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 195 و 188.

4- الإرشاد ص 331.

الأمر الخامس: الاستئذان بالسفر. فمن ذلك: أن رجلاً يمانياً كان في بغداد، فأراد أن يخرج مع قافلة يمنية متهيئة للخروج. فكتب يستأذن في الخروج. فخرج التوقيع قائلاً: لا تخرج معهم فليس لك في الخروج معهم خيرة. وأقم بالكوفة فامثل الأمر وأقم بالكوفة.

وخرجت القافلة متوجهة إلي اليمن فخرجت عليهم بنو حنظلة فاجتاحتهم واستأصلتهم.

فكتب هذا الرجل اليماني يستأذن في ركوب البحر، فلم يؤذن له، فبقي متطلعاً سائلاً عن أخبار المراكب التي خرجت في تلك السنة. فعرف بعد ذلك أنها جميعاً قد غرقت و تقطعت من الرياح البوارح، ولم يسلم منها مركب (1).

الأمر السادس: الاستئذان بالخروج إلي الحج. فمن ذلك: أن رجلاً من بني نوبخت عزم علي الحج في إحدى السنين و تأهب له. فخرج إليه من المهدي (عليه السلام) خطاب يقول:

نحن لذلك كارهون فاغتم الرجل وضاق صدره. وكتب إلي الناحية: أنا مقيم علي السمع والطاعة، غير أنني مغتم بتخلفي عن الحج. فخرج إليه الجواب: لا يضيقنّ صدرك، فإنك تحجّ من قابل. فلما كان من قابل - أي السنة الآتية - كتب الرجل يستأذن، فورده الإذن. فكتب إلي الناحية: إنني عادل محمد بن العباس وأنا واثق بديانته وصيانيته. فورد الجواب: الأسدي نعم العديل فإن قدم فلا تختر عليه. قال الراوي: فقدم الأسدي فعادلته (2).

انظر كيف يتوخي الإمام المهدي (عليه السلام) مصالح أصحابه و مواليه و يذلل مشاكلهم و يحلّ مصاعبهم بسعة صدر و انفتاح علي الحوادث.

الأمر السابع: طلب الناس تزويدهم بأكفان و حنوط. فمن ذلك ما كتب، محمد بن

ص: 122

1- الإرشاد، ص 332.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 257.

زياد الصيمري يسأل المهدي (عليه السلام) كفنًا. يتيّمَن بما يكون من عنده، فورد الجواب: إنك تحتاج إليه سنة إحدى وثمانين. فمات - رحمه الله تعالى - في الوقت الذي حدّده وبعث إليه بالكفن قبل موته بشهر(1).

الأمر الثامن: تحذير الوكلاء من السلطات. فإنّه خرج إلي الوكلاء في بعض الأيام أمر بأن لا يأخذوا من أحد شيئاً وأن يتجاهلوا بالأمر. فلم يعلم الوكلاء السبب وكان السبب أن وصل إلي مسامع عبدالله بن سليمان الوزير، وجود وكلاء للمهدي (عليه السلام) في بغداد وغيرها من النواحي. فهَمَّ بالقبض عليهم، فنصحوه أن يرسل لكل وكيل شخصاً يدّعي أنه له مال يدفعه للإمام. فمن قَبَضَ من الوكلاء شيئاً قَبِضَ عليه.

ص: 123

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 181.

إنّ الحديث عن تفاصيل نشاط السفراء الأربعة يلقي لنا ضوءاً علي

جهادهم وحركتهم الواسعة وآثارها الإيجابية علي القواعد الشعبية الموالية كما يوضّح لنا مكانة السفراء العلمية و دورهم الجهادي علي المستويات المختلفة سواء ما كان يخص الإخلاص والحرص في نقل ما يصدر عن الإمام (عليه السّلام) لمواليه أو ما ينقلونه من القواعد إلي الإمام (عليه السّلام) أو ما يخصّ التكتّم والسرية في كلّ ذلك. ثمّ نجد أنّ بعض السفراء يؤكّد أن لا يقول أو يفعل شيئاً إلاّ أن يكون ذلك بعلم الإمام (عليه السّلام) وإذنه ولا يحقّ له أن يتحدّث من عنده.

وكان لوعيمهم العقائدي والاجتماعي أثر بارز في إنجاح مهنتهم، فضلاً عن توثيق الإمام (عليه السّلام) لهم ومدحه وإطرائه لأمانتهم من دور في تمسك القواعد بهم والأخذ عنهم.

الأسئلة

1. بين دور السفراء في إخفاء وجود الإمام (عليه السّلام)؟
2. بين الجهاد العلمي للسفراء؟
3. اذكر مورداً واحداً يوضّح مساندة الإمام (عليه السّلام) للسفراء في حل مشكلة تتعلق بشخص ادّعي السفارة؟
4. وضّح أثر التوقيعات في تماسك و ترابط القواعد الشعبية بالسفراء.
5. هل صدرت توقيعات حول تحذير السفراء من السلطة وضّح ذلك؟

قبض السفراء للأموال وتوزيعها وإيصالها إلي حيث يجب دفعها. وهو من واضحات وظائفهم ومهمّات أعمالهم، بصفتهم حلقة الوصل بين الإمام وقواعده الشعبية، وتمثّل هذه الأموال بما يملكه الإمام من الحقوق الشرعية الإسلامية في أموال الناس.

إنّ الموالين لخط الأئمة (عليهم السّلام)، كانوا يحملون من أطراف البلاد الإسلامية هذه الأموال إلي الأئمة (عليه السّلام)، وكانت الوفود تقد إليهم حاملة الأموال والأسئلة فتسلّم الأموال إليهم وتستقي منهم أجوبة المسائل و حل المشاكل.

وكان الإمام(عليه السّلام) في أوّل مقابلة للوفد يصف المال قبل قبضه ويذكر جنسه وكميّته و من دفعه وغير ذلك. إلزاماً للحجّة تجاه الوفد فإذا علم الوفد بإمامته، وورد عليه في السنوات الأخرى حاملاً له بعض الأموال لم يحتج إلي ذلك.

واستمرّت الوفود تصل بالأموال إلي السفراء من بعيد، إلي جانب أموال أخرى يحملها الأفراد من قريب إليهم. ويكون من وظيفة السفراء إزاء ذلك - حين يتسلّمون المال - أن يصفوه أيضاً ويذكروا خصائصه؛ لأجل إقامة الحجّة علي الآخرين، وإثبات

صدق السفير. وذلك بتعليم من الإمام المهدي (عليه السلام).

فمن ذلك: أنّ محمّد بن إبراهيم بن مهزيار سلّم مالاّ جليلاً إلى رسول الإمام (عليه السلام) بدلالة الوصف (1) ودفع أحمد بن محمد الدينوري إلى وكيل المهدي (عليه السلام) ستّة عشر ألف دينار من أهل الدينور، دفعها بدلالة الوصف أيضاً (2).

وظاهر بعض الروايات، أنّ الأموال كانت تحمل في السنوات الأولى من الغيبة الصغرى إلى سامراء حيث يكون من يقبضها هناك ويسلمها إلى المهدي (عليه السلام). وذلك بدلالة من السفير نفسه. كما فعل أبو جعفر العمري مع الدينوري المشار إليه (3).

فهذا هو حال قبض الأموال من قبل وكلاء الإمام المهدي (عليه السلام) وسفرائه ثمّ لا يهمنّا أن نفكر في أنّ هذه الأموال هل تبقى لدى السفراء أم تُدفع إلى المهدي (عليه السلام). لأنّها علي أي حال تكون تحت إشرافه ورهن تعليماته فإنّها إن دفعت إليه مباشرة فهو غاية المطلوب، وإن بقيت في يد السفير، فلا مانع منه فإن يد الوكيل مثل يد الأصيل.

النقطة السادسة

الجهاد العلمي للسفراء. حول المناقشات العقائدية و حلول المشاكل العلمية التي كان يقوم السفراء بها، سواء من ذلك ما كان لتوجيه أصحابهم وصقل أفكارهم، أو لأجل الاحتجاج ضدّ الشبهات التي كان يثيرها الآخرون، والدفاع عن الحقّ بلسان مخلص سليم.

ونقصد بالجهاد العلمي التوجيهات والمناقشات التي يذكرها أحد السفراء الأربعة، من عند أنفسهم، باعتبار ما يعرفونه من الحقّ. في حدود تعاليم الإمام المهدي (عليه السلام) ومسلكهم العام.

ص: 126

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 171.

2- البحار، ج 13، ص 79.

3- البحار، ج 13، ص 79.

ويندرج في ذلك، ما سمعناه عن السفير الأول في النهي عن التصريح باسم الإمام المهدي (عليه السلام)، والشكوي من جور السلطات و سطوتهم.

وللشيخ ابن روح مناقشات عديدة، فمن ذلك مناقشته لبعض المتكلمين المعروف بترك الهروي، في فضل الزهراء علي سائر بنات النبي (صلي الله عليه وآله وسلم). حتى قال الهروي: فما رأيت أحده تكلم وأجاب في هذا الباب بأحسن ولا أوجز من جوابه(1).

ومن ذلك مناقشته لرجل حول مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) بيد أعداء الله عز وجل. وقد أجابه بجواب مطول، أكد فيه أن حكمة الله عز وجل قد جرت في أن أنبيائه وأوليائه يكونون في حال غالبيين وأخري مغلوبين وفي حال قاهرين وأخري مقهورين. ولو جعلهم عز وجل في جميع أحوالهم غالبيين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عز وجل، ولما عرف فضل صبرهم علي البلاء والاختبار.

وحين شك الراوي في أن هذا الكلام، هل قاله من عنده أم هو من تعاليم الإمام المهدي (عليه السلام)، قال له ابن روح: يا محمد بن إبراهيم؛ لأن آخر من السماء فتخطني الطير أو تهوي بي الريح من مكان سحيق أحب إلي من أن أقول في دين الله برأيي و من عند نفسي بل ذلك من الأصل و مسموع من الحجّة صلوات الله وسلامه عليه(2).

و من تعاليمه (رحمه الله)، ما قاله لأحمد بن محمد الصفواني: أن يحيي بن خالد سمّ موسى بن جعفر (عليه السلام) في إحدى وعشرين رطبة ومات بها. وأن النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام)، ما ماتوا إلا بالسيف أو السم. وقد ذكر عن الرضا (عليه السلام) أنه سمّ وكذلك ولده وولد ولده(3).

ص: 127

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 239.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 119 والاحتجاج، ص 288.

3- الغيبة للشيخ الطوسي، ص 239.

كان سلام الله عليه يوم وفاة أبيه، حين رآه الناس يصلّي علي أبيه.. صبيّاً، بوجهه سمرّة، بشعره ققط، بأسنانه تفلج .

ثم وصفه من رآه بعد ذلك خلال غيبته الصغرى، بأنّه شابّ حسن الوجه طيّب الرائحة، هيبوب؛ و مع هيئته متقرّب إلي الناس. قال الراوي: فتكلم، فلم أر أحسن من كلامه ولا أعذب من منطقه في حسن جلوسه(1).

وفي رواية أخرى: إنّ شابّ أسمر لم أر [أحداً] قط في حسن صورته واعتدال قامته(2).

وفي رواية ثالثة: فتي حسن الوجه طيّب الرائحة يتبختر في مشيته(3).

وفي رواية رابعة: أنّه ليس بالطويل الشامخ ولا بالقصير اللازق بل مربع القامة مدور الهامة صلت الجبين أزجّ الحاجبين، أقني الأنف، سهل الخدين. علي خده الأيمن خال(4). إلي غير ذلك من الروايات(5).

ونسَمع من سفيره محمّد بن عثمان (رحمه الله) ، حين سُئل عن رؤيته للمهدي (عليه السلام) .. يصف عنقه في حسنه و غلظه، فيشير بيده و يقول: وعنقه هكذا(6) أو قال: ورقبته مثل هذا(7).

ص: 128

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 152.

2- المصدر، ص 153.

3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 159.

4- المصدر، ص 161.

5- أنظر المصدر أيضاً ص 156، 163 و 182.

6- المصدر، ص 215.

7- المصدر، ص 219.

وإنما أكد علي صفة عنقه ليدلّ علي صفة الرجولة فيه، وأنه لم يبق كما عهدته الناس في حياة أبيه صبيّاً صغيراً، أو غلاماً عشاريّاً عليه رداء تقنّع به(1).

وفي زمان العمري السفير الثاني، حاول شخص أن يقابل المهدي (عليه السّلام) فوفّر له العمري فرصة المقابلة. فرآه شاباً من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة.

ثم وُصِفَ لباسه حال الإحرام للحجّ: بأنّه (عليه السّلام) يحضر الموسم كلّ سنة، يري الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه(2). و يكون في أثناء حجه متّزراً ببردة و متّشحاً بأخري، وقد عطف بردائه علي عاتقه، شأنه في ذلك شأن كلّ حاجٍ مُحْرَمٍ يلبس ثياب الإحرام. وفي رواية أخري عليه إزاران(3).

2. مكانه و ثقافته

كان حال حياة أبيه (عليهما السّلام) في سامراء. دلّت علي ذلك جميع الروايات الناقلة لمشاهدته في تلك الفترة. و من الطبيعي أن يبقي في سامراء يوم وفاة أبيه حيث يصلّي عليه و يقابل وفد القميين، ليحوّلهم علي بغداد، حيث يعين لهم سفيراً.

و يبقي في سامراء ردهاً من السنين بعد ذلك، كما تدلّ عليه حوادث تحويل السفيرين الأوّلين بأموال الوفود إلي سامراء. ويدلّ عليه أيضاً بعض مقابلاته هناك، ويدلّ عليه أيضاً ما قامت به السلطات من المطاردة له و الكبس علي داره في سامراء من قبل المعتمد والمعتضد، حيث يكون (عليه السّلام) موجوداً هناك ولكنّه كان يستطيع التخلّص. إذن فهو إلي زمان خلافة المعتضد التي تولّاها عام 279 هـ كان ساكناً في دار أبيه في سامراء فلو فرض - كما هو المظنون - أنّ الكبس الذي أمر به المعتضد كان في أوّل سنة من خلافته، فمعني ذلك أنّ المهدي (عليه السّلام) بقي هناك

ص: 129

1- المصدر، ص 155.

2- المصدر، ص 221.

3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 156.

تسعة عشر سنة بعد وفاة أبيه (عليه السلام).

وقد أبعده المهدي (عليه السلام) عن نفسه كلّ الآثار، وكل ما يلفت النظر ويثير الشك، وكلاوه أصبحوا بعيدين عنه، لكي لا يوجهوا الأنظار إليه أولاً، ولكي يعيشوا في قلب الحوادث الاجتماعية شأن كلّ من يريد أداء الخدمة الصالحة لمجتمعه وأُمَّته، ثانياً. ولكي يبعدوا هم بدورهم عن مراقبة الدولة وعاصمة الملك حال كونها في سامراء خلال هذه التسعة عشر سنة ثالثاً.

أمّا هو فلا ينبغي أن يعيش الحوادث ولا أن يختلط بالناس. بل يبقى بعيداً يكتفي بسماع الأخبار والأطّلاع علي الآثار، يعيش هموم الأُمَّة الإسلاميّة. حتى تهدأ الثائرة ويندمل الجرح وتخف المطاردة، ويمضي الرّوح الأوّل من الغيبة الصغرى ليستطيع بعد ذلك أن يقوم بعمل جديد.

والمستبَع لخروج التوقيعات والبيانات عن الإمام المهدي (عليه السلام) خلال الفترة الأولى من غيبته، يري بوضوح قلّتها وندرتها. إلي حدّ لا يكاد ينقل عن السفير الأوّل، بل السفير الثاني في أوّل سفارته توقيع ذو أهمية، إلّا في حدود قليلة وعند الحاجة الكبيرة. وما ذلك إلّا لأنّ الحاجة إلي الحذر كانت في هذه الفترة الزم، والبعد بين المهدي (عليه السلام) وسفرائه من حيث المكان كان أكثر.

وحيث تنتهي هذه الفترة الحرجة، ولا يزال محمّد بن عثمان سفيراً في ذلك الحين، تفتتح له (عليه السلام)، فرصة جديدة في الخروج والتجول بنحو لا يمكن أن يعرفه الناس ولا أن يشار إليه بحقيقته. فإنّ أكثر الناس لم يروه في حياة أبيه. و من رآه منهم كان قد رآه طفلاً أو صبياً والآن قد أصبح شاباً وسيماً، فلا تكاد ملامحه أن تكون محفوظة معروفة بعد مرور هذه الفترة. علي أنّ جيلاً من الناس قد مات و جيلاً واجه الحياة من جديد، وهو لا يعرف من شكل المهدي (عليه السلام) شيئاً. وكلّما طالت المدّة ابتعدت صورته عن أذهان.

و من هنا انفسحت للمهدي (عليه السلام) فرصة جديدة، لأن يدخل بغداد لنراه تارة بزيّ

التجّار(1). و أخري أمراً محمّد بن علي بن بلال، أن يدفع ما لديه من الأموال إلي سفيره العمري(2). و أصبح يحضر موسم الحجّ في كلّ عام، ماشياً(3). بل أصبح يخالط الحجاج من خواصّه ويحدّثهم(4) ويعلمهم الأدعية ويعطيهم التعليمات(5). بل إنّه ليكشف حقيقته أمام البعض إذا اقتضت المصلحة ولم يكن في ذلك خطر(6). وكان يسكن خلال فترة الحجّ في تلك الديار المقدّسة. ومن هنا سنري أن جملة من مقابلاته تمّت هناك، من قبّل الباحثين عنه المرادين للتشرف بلقائه.

وكما يذهب إلي الحجّ، فإنّه يذهب إلي كربلاء لزيارة جدّه سيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين(عليه السّلام)، يوم عرفة، فيوصل إلي أحدهم مالاً(7).

بل إنّه يصل إلي مصر، علي ما يظهر من بعض الروايات، وينزل الإسكندرية في خان ينزله الغرباء، يصلّي في مسجده بأهل ذلك الخان. ثمّ يسافر مع أحدهم، ويأخذ طريق البحر(8).

ثمّ إنّه يعود من هذه الأسفار إلي بغداد لياشر الاتصال بسفرائه وإدارة مصالح المجتمع في وجه المنحرفين، عن طريق التوقيعات والبيانات.

هذا ونسمع قول المهدي (عليه السّلام) - في رواية علي بن إبراهيم بن مهزيار - يا ابن المازيار! أبي محمّد عهد إليّ أن لأجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم، ولهم الخزي

ص: 131

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 164.

2- المصدر، ص 246.

3- المصدر، ص 258.

4- المصدر، ص 152.

5- المصدر، ص 156.

6- المصدر، ص 152.

7- المصدر، ص 181.

8- المصدر، ص 183.

في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب أليم، وأمرني أن لا أسكن من الجبال إلا وعرها و من البلاد إلا عقرها، والله مولاكم أظهر التقية، فوكلها بي .
فأنا في التقية إلي يوم يؤذن لي فأخرج(1).

3. عمره الشريف

ولد(عليه السلام) في النصف من شعبان عام 255هـ، فيكون عمره حين وفاة أبيه في شهر ربيع الأول من عام 260هـ أربع سنوات وحوالي ستّة أشهر، وفي هذا العمر تولي منصب الإمامة وقيادة الأمة وآتاه الله الحكم صبياً.

ولم يكن شكله يوم وفاة أبيه موافقاً مع هذا العمر بل كان صبياً يافعاً حتّى قال من رآه: إنّه ابن ثمان أو عشر سنين، وحين شوهد في الحج سنة 293هـ، فقد شاهد شاباً أسمرًا، قال الراوي: لم أر مثله قط في حسن صورته واعتدال قامته(2)، ثمان وثلاثون عاماً ويكون عمره عند وفاة سفيّره الثاني في جمادي الأولى سنة 305هـجرية خمسين عاماً غير ثلاثة أشهر وعند وفاة سفيّره الثالث الحسين بن روح (رحمه الله) سنة 326هـ واحداً وسبعين سنة. ويكون عمره عند وفاة سفيّره الرابع الشيخ السمرى، سنة 329هـ وانتهاء فترة الغيبة الصغرى، أربعاً وسبعين سنة. قضى منها أربع سنين ونصفاً في حياة أبيه (عليهما السلام) و تسعة وستّين عاماً ونصفاً و خمسة عشر يوماً في الغيبة الصغرى، ثمّ بدأت الغيبة الكبرى، حيث لا- ظهور إلا أن يأذن الله تعالى بالفرج لكي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويكون عمره يوم انتهى المسعودي من كتابه إثبات الوصية وفي هو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة. مائة. أي بعد انتهاء الغيبة الصغرى بثلاث سنوات.. يكون عمره الشريف ستّاً وسبعين سنة وأحد عشر شهراً

ص: 132

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 161.

2- .

ونصف شهر، كما ذكر المسعودي(1).

هذا بحسب عدد السنين. وأما بحسب شكله، فكان(عليه السلام) لا يزال شاباً، يقدره الناظر بحوالي العشرين عاماً علي ما يستفاد من مجموع أوصافه. وهذا أمر ممكن بل ضروري الثبوت، باعتبارين

أحدهما: وهو الأمر الأساسي، وهو الإيمان بقدره الله تعالى الذي خلقنا أول مرة والذي يحيي العظام وهي رميم، ويده ملكوت كل شيء، وهو علي كل شيء قدير.

فاذا عرفنا المصلحة الكبرى المتوقعة علي وجود المهدي الإمام(عليه السلام) والمسؤولية الكبرى المناطة به، وأنها من الأهمية في الإسلام إلي حدّ تقتضي أن يعمل الله عزوجل إرادته الخاصة في تنفيذها.. عرفنا كيف يمكن أن يحفظ الله تعالى الإمام المهدي(عليه السلام) لأجل ذلك الهدف الكبير. ولا مانع من ذلك عقلاً ونقلاً كما ورد في القرآن الكريم عن أصحاب الكهف وعزير.

ثانيهما: نموّه البطيء في غيبته الكبرى بحيث يقدر له من العمر حين ظهوره أربعين عاماً كما ورد في مجموعة من الأحاديث(2).

ومن طريف ما ورد في هذا الصدد، ما في عقد الدرر عن أبي عبدالله الحسين(عليه السلام) قال: لو قام المهدي لأنكره الناس، لأنه يرجع إليهم شاباً موقفاً وإن من أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً، وهم يظنونه شيخاً كبيراً(3). والمراد من قوله، يرجع إليهم أنه يظهر لهم بعد غياب، لا أنه يكون شيخاً ثم يتحوّل شاباً بطريق إعجازي.

هذا كله، بحسب المصالح الإلهية الكبرى، المذخورة ليومه الموعود.

ص: 133

1- إثبات الوصية، ص 263.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 258 وكتاب المهدي، ص 8.

3- محمّد الصدر، تاريخ الغيبة الصفري، ص 549.

إن صلاة الإمام المهدي (عليه السلام) علي أبيه (عليه السلام) أتاحت فرصة رؤيته، وكان صبيّاً بوجهه الكريم سمرة، بشعره ققط بأسنانه تفلج كما ورد عن الرسول (صلي الله عليه وآله وسلّم) والأئمة (عليهم السلام) في صفاته (عليه السلام).

وقد وصفه سفيره الثاني لمواليه عندما سألوه عنه (عليه السلام)، وسكن في سامراء فترة ليست بالقصيرة، و تنقل بينها وبين الأمصار التي يسكنها مواليه، وذهب إلي زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، وشوهد وهو يؤدي مراسم الحجّ، كما ذهب إلي مصر.

وكان عمره الشريف حين وفاة والده (عليه السلام) أقلّ من خمس سنوات، وعمره عند وفاة السفير الرابع عام 329هـ أربعاً وسبعين عاماً، وكل من رآه في ذلك الوقت يقول عنه أنه شاب ابن ثلاثين سنة أو تزيد قليلاً، وكان في تنقلاته بزيّ تاجر ليموّه علي السلطان الجائر ويتمكّن من التحرك بحرية لإتمام هذه المرحلة من غيبته وليتمّ بناء الكيان الذي ابتدأه أبأوه الكرام (عليهم السلام).

الأسئلة

1. هل تتوافق الروايات الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) حول صفة الإمام (عليه السلام) مع ما ورد من أحاديث عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلّم)؟

2. بماذا اتّسمت البيانات والتوقعات الصادرة من الإمام خلال حياة السفير الأوّل؟

3. كيف كان تنقل الإمام (عليه السلام) بين المناطق المختلفة؟

4. هل زار الإمام مناطق مواليه وقواعده؟

5. هل شوهد الإمام (عليه السلام) يؤدّي مراسم الحجّ؟

6. بماذا تُفسّر الحيوية الدائمة للإمام (عليه السلام)؟

ص: 135

الدرس 14: الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (1)

أهم نشاطات الإمام (عليه السلام) العامة

أولاً: وجوده وإمامته

إنّ التحاق الإمام العسكري (عليه السلام) بالرفيق الأعلى وما رافق ولادة ولده الإمام المهدي (عليه السلام) من كتمان و تحفّظ كلّها عوامل تدفع الإمام (عليه السلام) إلي تعريف مواليه وسواهم بوجوده وإظهار ما يلزم لبيان تولّيه الإمامة بعد أبيه (عليه السلام) .

وكانت صلاته علي أبيه وإبعاده لعنه جعفر أول ظاهرة يخرج فيها الإمام (عليه السلام) ويكشف نفسه أمام ملا من الناس بمختلف المستويات حيث تجمّعوا لتشيع الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، وقد حضر من القواعد الشعبية ما يقارب الأربعين شخصاً مع السفير الأول عثمان بن سعيد رضي الله عنه.

ثانياً: صيانة تراث آبائه (عليهم السلام)

إنّ النشاط العام الثاني البارز للإمام (عليه السلام) في فترة الغيبة الصغرى هو الحفاظ علي تراث آبائه و تنمية الناحية العلمية والفكرية لقواعده الشعبية والحفاظ علي مسار الأمة بقدر ما يمكن عن الانحراف. وقد تضمّن هذا التراث تحديد و توضيح قواعد وأصول استنباط الأحكام الشرعية والمعارف الإسلامية كما يتّضح ذلك من خلال نشاطات

السفراء و توجيهات الإمام (عليه السلام) لهم.

وقد دونت في عصر الغيبة الصغرى الأصول الأربعمئة والتي ضمت ما ورد عن الأئمة (عليهم السلام) وحفظت فيها السنة النبوية الواردة عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) (1). وبالتالي

حفظ المسيرة الثقافية والتكاملية للأمة الإسلامية.

ثالثاً: النيابة الخاصة

إنّ النيابة كنظام قد اكتمل و أرسى مرتكزاته الإمام المهدي (عليه السلام) وقد سبقه الأئمة (عليه السلام) في الاعتماد علي الثقات والخواص من أهل التقوي وممن عرفوا بوفرة العلم والاجتهاد.

ونجد أن الإمام الهادي (عليه السلام) يمهد للوكالة ويوثق لقواعده وكيل الإمام المهدي الأول بقوله: «هذا أبوعمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، و ما أدي إليكم فعني يؤديه» (2).

وقد أحصى الشيخ الصدوق أسماء اثني عشر شخصاً من وكلاء ونواب الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى، وأضاف السيد محمّد الصدر إليهم أسماء ستة آخرين استناداً إلي ما ورد في المصادر التاريخية وكتب الرجال (3).

وكان الإمام (عليه السلام) يعيّنهم مباشرة و يصدر بيانات و توثيقات حول ذلك مع نفي الوكالة عمّن كان يدعيها غيرهم ولم يكن منهم.

وربّما يقال أنّه لم تكن حاجة في زمن الأئمة الذين سبقوا الإمام المهدي (عليه السلام) إلي الوكلاء الخاصّين الذين يقومون بنفس أعمال السفراء الأربعة لأن الإمام (عليه السلام) كان موجوداً وظاهراً، وكان بالإمكان لكل أحد أن يتصل به، ولئن مرّ بعض الأئمة (عليهم السلام)

ص: 137

1- السيد علي الشهرستاني، منع تدوين الحديث، ص 397 - 465.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 215.

3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 172 وما بعدها.

في بعض الظروف بوضع استثنائي يصعب الوصول المباشر إليهم خصوصاً بعد واقعة الطف، وامتداداً مع وجودهم حتي تاريخ الغيبة الصغري؛ فإنّ ذلك لا يقاس بعصر غيبة الإمام (عليه السّلام) وعدم إمكان الارتباط به.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الأوضاع السياسية والظروف الخاصّة بالكيان الشيعي، عقيب استشهاد الإمام العسكري (عليه السّلام) وبدء مرحلة الغيبة الصغري لم تكن تسمح بأن يكون عمل السفراء علنيّاً، لذا كان الشرط الأوّل في الوكلاء وخاصّة السفراء أن يكونوا علي مرتبة عالية من الإلتزام بالسريّة والكتمان وعدم الكشف عن المهام المناطة بهم خلال هذه المرحلة.

كما وضع الإمام (عليه السّلام) الإطار العام والشروط الواجب توفّرها في النائب العام في مرحلة الغيبة الكبرى إتماماً لما ورد عنهم من الصفات اللازمة عن آبائه (عليهم السّلام).

رابعاً: الكيان الشيعي

يُستفاد من الروايات الواردة بشأن سيرة الإمام (عليه السّلام) خلال فترة الغيبة الصغري أنّ جهوده ورعايته لم تقتصر علي سفرائه بل كان الإمام يسعي لحفظ سائر المؤمنين من

الاضطهاد والظلم العباسي متّخذاً سبيل آبائه (عليهم السّلام).

فقد روي الشيخ الكليني (رضي الله عنه) في الكافي «عن علي بن محمّد قال: خرج نهي عن زيارة مقابر قريش والحيرة فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقرائي فقال له: الق بين الفرات و البرسيين وقل لهم لا- يزوروا مقابر قريش فقد أمر الخليفة أن يتفقد كلّ من زار فيقبض عليه»(1).

كما أنّ الإمام (عليه السّلام) منع وكلاءه من استلام الأموال من قواعده، عندما أمر الخليفة بأن ترسل إليهم أموال بيد أشخاص لا يعرفونهم، كي يقبضوا علي الذين يستلمون المال، لمّا بلغه وجود الإمام، وأنّه تجبي إليه الأموال عن طريق وزير الخليفة - عبد الله

ص: 138

كما شملت هذه الرعاية قضاء حوائج المؤمنين الشخصية والاجتماعية والإصلاح بينهم وحلّ مشاكلهم المختلفة الفكرية وغيرها ممّا نقلته لنا المصادر التاريخية في هذه الفترة(2).

فضلاً عن مواقفه(عليه السلام) في كشف الانحرافات العقائدية، وإفشال انتحال السفارة من مدّعي السفارة والإمامة.

فكانت التوقيعات الشريفة والرسائل الصادرة عن الإمام(عليه السلام) في مرحلة الغيبة الصغرى هي أحد أهمّ أنشطته في الغيبة الصغرى و تُعدّ أحد مصادر تاريخ هذه الفترة.

خامساً: لقاءه بالمؤمنين

لقد اشتملت المصادر الروائية المعتمدة علي الكثير من الروايات التي تحكي عن التقاء الإمام(عليه السلام) بالمؤمنين خلال الغيبة الصغرى فلا يكاد يخلو كتاب من الكتب المصنّفة في تاريخ الأئمة أو الإمام المهدي(عليه السلام) خاصّة من ذكر مثل هذه الروايات، فالشيخ الصدوق(رضي الله عنه) قد روي عن محمّد بن أبي عبدالله الكوفي إصابته حول من التقى بالإمام(عليه السلام) من مختلف أرجاء العالم الإسلامي فقد ذكر ثمانية وستين شخصاً، كما ذكر الميرزا النوري: أنّ عدداً من الثقات بلغ ثلاثمائة وأربعة أشخاص استناداً إلي المصادر المعتمدة(3).

وهي تخصّ الذين رأوه وعرفوه، وكان يقصد من لقائه(عليه السلام) بهم أموراً، وقد صرّح الإمام(عليه السلام) لعيسى الجوهري حين التقاه قرب المدينة المنورة سنة (268 هـ) بسبب لقائه به بقوله(عليه السلام):

ص: 139

1- الكافي، ج 2، ص 440.

2- يُراجع الغيبة الصغرى للإطّلاع علي تفصيل ذلك، ص 367 وما بعدها.

3- الميرزا النوري، النجم الثاقب، ج 2، ص 44 - 48.

«يا عيسى ما كان لك أن تراني لولا المكذّبون القائلون بأين هو؟ وأين وُلِد؟ ومن راه؟ وما الذي خرج إليكم منه؟ وبأي شيء تبأكم؟ وأي معجز أتاكم؟ أما والله لقد دفعوا أمير المؤمنين مع ما رَووه، وقدّموا عليه، وكادوه وقتلوه، وكذلك آبائي (عليه السّلام) ولم يصدّقوهم ونسبوهم إلي السحر وخدمة الجن إلي ما تبين.

يا عيسى، نخير أولياءنا ما رأيت، وإيّاك أن تخبر عدونا فتسلبه، فقلت: يا مولاي ادع لي بالثبات، فقال: لو لم يثبتك الله ما رأيتني وامض بنجعك راشداً فخرجت أكثر حمداً لله وشكراً»⁽¹⁾.

ويستفاد من الروايات أنّ كثيراً من المؤمنين كانوا يجتهدون في طلب لقائه (عليه السّلام) في موسم الحجّ خاصّة . كما تجد مصداق ذلك في قصة علي بن مهزيار الأهوازي.

ص: 140

1- تبصرة الولي، ص 197.

كان تحرّك ونشاط الإمام المهدي (عليه السّلام) بدءاً من صلّاته علي أبيه (عليه السّلام) أمام ملاً من الناس، الذين احتشدوا يوم تشييع الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) وحتى إعلان إنتهاء الغيبة الصغري، ويظهر أن جهوده (عليه السّلام) في سبيل تعريف الأُمَّة بوجوده وأهمية هذا الوجود المبارك لها، ومن ثمّ إسناد ومساعدة المؤمنين في مختلف جوانب حياتهم الفكرية والعقائدية والاجتماعية، كما أسّس النيابة الخاصّة والعامّة، وبيّن مواصفات الشخص والشروط الواجب توفّرها فيه لينال هذا المقام الرفيع، وكان لرسائله (عليه السّلام) وتوقيعاته الدور البارز في إثبات تأريخ هذه الفترة، وما جري فيها مع ما تضمّنته من حلول لمشاكل كانت تعاني منها قواعده الشعبية و مواليه. ثمّ رفته لقواعده بالوسائل السليمة للاتّصال بالله سبحانه وطاعته وطلب مرضاته، وقد تضمّنتها أدعيته وزياراته لأبائه (عليهم السّلام) كما حصلت جملة من اللقاءات بينه وبين مواليه في مناطق مختلفة من أقطار العالم الإسلامي.

الأسئلة

1. ماذا قصد الإمام (عليه السّلام) من نشاطاته المختلفة؟
2. وضح دور الإمام علي (عليه السّلام) خلال الغيبة الصغري؟
3. ما هو دور الإمام المهدي (عليه السّلام) في تركيز فكرة النيابة العامّة؟
4. ماذا كان قصد الإمام (عليه السّلام) من لقاءاته بالمؤمنين؟
5. ما هو دور الإمام (عليه السّلام) في حفظ الكيان الشيعي خلال فترة الغيبة الصغري؟

الدرس 15 : الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (2)

الإمام (عليه السلام) والسلطة العباسية

كان القبض علي الإمام المهدي (عليه السلام) أحد الأهداف الكبرى للدولة، حيث أنها تعلم ما في كيانها من ضعف وانحراف. وتعلم أنّ المهدي (عليه السلام) هو المذخور لرفع الظلم والجور عن الإنسانية، اذن وجوده يعتبر تهديداً لكيان الدولة العباسية الظالمة.

ولم تكن الدولة تعلم انه سيتأخر ظهوره، فإنّ من مميّزات ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) كونه محتمل الظهور في كلّ وقت، لكي يخافه كلّ ظالم و يخشاه كلّ منحرف.

وقد قامت السلطة العباسية بثلاث حملات للقبض عليه، إحداها قام بها المعتمد في الفترة المتأخرة عن وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) والأخريان قام بهما المعتضد الذي تولّى الحكم بعده. وأما الخلفاء المتأخرون فلم ينقل عنهم ذلك، ولعلهم كانوا قد يسوا من ذلك بأساً تاماً.

وقد انشغلت الدولة بحرب صاحب الزنج وغيره، ممّا أوجب انحراف السلطات عن أن تجرّد حملات أخري للكبس والتفتيش عن الإمام، أثناء خلافة المعتمد، وهي التسعة عشر عاماً التي قضاهها في الحكم بعد وفاة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

إلا أنّ التجسس المستمر والرصد الدائم من قبل السلطات، كان قائماً علي قدم

وساق، ومستمراً خلال ذلك الزمان، وكان يجابهه بأساليب السرية والكتمان المضاعفة التي كان السفيران الأوّلان يقومان بها في هذه الفترة الصعبة من الغيبة الصغرى، بما في ذلك تحريم التصريح باسمه والدلالة علي مكانه، إلا لمن امتحن الله قلبه للإيمان.

وفي خلال هذه الأعوام التسعة عشر، كان التجسس قد أنتج شيئاً مهماً بالنسبة للدولة. و هو ثبوت فكرة السفارة لديها، بعد ثبوت وجود الإمام (عليه السلام) وأنّ هناك من يدّعي السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام) ويقبض المال بالوكالة عنه (1) اذن فهو موجود. ليس هذا فقط، بل يقود قواعده الشعبية ويقبض الأموال منهم. وهذه كانت من أعظم مهامّ المعتضد عند تولّيه للخلافة أن يجدد الحملات للقبض علي الإمام المهدي (عليه السلام).

انظر إلي مقدار ما أتت به أخبار التجسس، انه يعلم بدار المهدي (عليه السلام) وهي دار أبيه و هو لا يحاول أن يري المهدي (عليه السلام) أو أن يكلمه، وإنما يأمر بقتله وحمل رأسه إليه. وبذلك يتحقّق الهدف الأعلى لكيان الدولة المتسلّط.

والخليفة لا يعيّن شخصاً أو اسماً معيناً. بل يغمض من هذه الناحية لأنّه يريد أن يبقى هذا الأمر خفياً حتّي علي هؤلاء القائمين بالعملية، ولا يهّمه بعد ذلك أن يقتلوا شخصاً غير المهدي ويأتوه برأسه. فحسبه أنه قام بالمحاولة.

ويتوخّى المعتضد من هذا الغموض أهدافاً:

الأوّل: عدم إثارة مسألة المهدي (عليه السلام) أمام هؤلاء الجلاوزة.

الثاني: عدم كشف مهمّتهم الحقيقية أمامهم، محافظة علي سمعته وسمعة الدولة فإنّهم إنّ عرفوا أنّ المعتضد يكلفهم القبض علي المهدي (عليه السلام). أمكن تسرّب الخبر إلي المجتمع، فيترتب علي ذلك، ما لا يحمد للمعتضد عقباه.

الثالث: عدم كشف مهمّتهم الحقيقية أمامهم للمحافظة علي سرّيّة المطلب، حتّي عن

ص: 143

خاصة رجال الدولة، وجهاز استخباراتها، فإن الأمر أهم وأدق من أن يعرفه الناس.

وبدأت الحملة كما أمر المعتضد، وتوجه ثلاثة أشخاص إلي سامراء، وبحثوا عن الدار، فوجدوها، كما وصفها لهم المعتضد، وأوا في الدهليز خادماً أسود وفي يده تكة ينسجها. فسألوه عن الدار و من فيها. فقال: صاحبها. قال رشيق الذي هو قائد حملة الاغتيال: فوالله ما التفت إلينا وقلّ اكتراثه بنا.

ثم إنهم استمروا في مهمتهم، فكبسوا الدار و تجسسوا خلالها فوجدوا غرفة سرّية وعليها ستر جميل جديد.

ولم يكن في الدار أحد، فرعوا الستر، فأوا بيتاً كبيراً كأنه بحر فيه ماء. وفي أقصى البيت حصير يبدو كأنه علي الماء. وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة، قائم يصلي. وبقي مشتغلاً بصلاته متوجهاً إلي ربه لم يلتفت إليهم، كأنه لم يرههم ولم يسمعهم.

فسبق أحد الرجلين اللذين كانا مع رشيق ليتخطي البيت، فغرق في الماء، وما زال يضطرب، حتّي أنقذه صاحبه وأخرجه مغشياً عليه وبقي ساعة. ثم همّ الرجل الآخر أن يتخطي البيت فغرق في الماء أيضاً. فأصابه ما أصاب صاحبه.

فبقي رشيق وحده وهو قائد الحملة، مبهوتاً واجماً، وأيس من تحقيق الغرض، وأراد أن يلطف من خاطر هذا المصلي ويزيل ما يكون قد علق بذهنه من هذه الحملة، فتوجه إليه قائلاً: المعذرة إلي الله وإليك فوالله ما علمت كيف الخبر ولا إلي من أجيء. وأنا تائب إلي الله. قال رشيق: فوالله ما التفت إلي شيء. وما انتقل عما كان فيه فهالنا ذلك، وانصرفنا عنه.

انظر الرعاية الإلهية وكيف انتصر المهدي (عليه السلام) علي هؤلاء الجلاوزة المنحرفين وكيف استطاع أن يؤثّر هذا التأثير الرهيب الذي هو كرامة له من الله سبحانه و تعالي.

وحين آيس رشيق من بلوغ الغرض، وذاق صحباء الغرق والعذاب، اضطرّ إلي الانصياع للتحدّي واعترف بالعجز. إنه لم يكن يتوقّع شيئاً ممّا رآه، فضلاً عن كلّ ما

راه. ولم يعلم إلا أن المعتضد أرسله علي شخص ما ليقبض عليه ويأخذ برأسه. وأمّا مثل هذا التدبير الحاسم فهو لم يواجه مثله من قبل أي شخص آخر حاول القبض عليه. إنّه يواجه الهول و التحدي الصريح لأول مرة في حياته، بشكل لا يجد حيلة، ولا يعرف إلي تذليله طريقاً.

إذن، فلصاحب هذا البيت شأن غير اعتيادي، شأن أعلي من القوي الاعتيادية التي يعرفها رشيق. والمعتضد إنّما أغمض له الشك لسبب في نفسه. إذ لعلّه يعرف شأن صاحب هذا البيت علي الإجمال. إنّه هو الذي أوقعه في هذا الهول و التحدي بالرغم من أن التحدي في واقعه متوجّه إلي المعتضد نفسه أكثر ممّا هو متوجه إلي رشيق.

فينبغي التخلّص من المسألة، والقاء المسؤولية كلها علي كاهل المعتضد، والاعتذار من صاحب الدار، ذي الشأن المجهول الرهيب.

وصحب هؤلاء الجلاوزة هولاً في داخل قلوبهم، وتوجّهوا توّاً إلي بغداد، ليحملوا هذا الخبر العجيب الرهيب إلي المعتضد. وكان المعتضد ينتظرهم، وقد أمر الحجاب والحرس علي أن يدخل هذا الوفد عليه في أي وقت كان، ليلاً أو نهاراً. فإنّ مهمتهم أعمق وأعقد من أن تحتل التأجيل.

ودخل عليه الوفد وهو يحمل هولة بين جنبيه، ونقل له الحكاية كما وقعت. فقال: ويحكم لقيكم أحد قبلي وجري منكم إلي أحد سبب أو قول؟ فقالوا: لا. فقال: أنا نفي من جدّي - أي ليس من بني العباس -، وحلف بأشدّ أيمان له، أنّه إذا بلغه أنّهم أخبروا أحداً بهذا الخبر ليضربنّ أعناقهم. قال رشيق: فما جسرنا أن نحدّث به إلا بعد موت المعتضد.

إذن يعرف المعتضد ذلك جيّداً، ولكنّه يخاف منه علي حاشيته و أساس ملكه.

إنّ هؤلاء الثلاثة بالرغم من أنّه حاول الإغماض عليهم في كلامه، قد اطّلعوا علي الحقيقة وواجهوا الحقّ، حتّي اضطرّ رشيق إلي التنازل و التوبة. إلا أنّه لا ينبغي أن يكون الناس الآخرون كرشيق عارفين بالحق أو منصاعين له. و من ثمّ نراه يحلف لهم

بأغلظ الأيمان ويهدّدهم بالقتل، إن بلغه أنّهم أخبروا أحداً بذلك. فلم يجسروا أن يخبروا به إلا بعد موته. فإنّ أيمانه و تهديده إنّما يكون رسمياً في حال حياته لا بعد موته.

وظنّ المعتضد، أن هذه الحملة، إنّما فشلت باعتبار قلة العدد وباعتبار سرّية التخطيط والتنفيذ. فلا أقلّ من احتمال نجاح الحملة لو كثر العدد و انكشف الغرض.

ولم يستطع أو لم يرد أن يفهم أن هذا العقل الذي تحدّاه مرّة واحدة، يمكنه أن يتحدّاه عشرات المرّات. ولن تستطيع أيّ قوة في البشر أن تسيطر أو تقضي عليه.

ومن هنا جرّب حملةً أكبر، وبعث عدداً أكثر، وأتبعه بجيش كبير. فانظر إلي هذا الجُبن أمام فرد واحد، و الفرع الذي تتّصف به الدولة تجاه هذا الأمر العظيم.

وينبغي في هذا الصدد أن نذكر الرواية بنصّها (1) قال الراوي:

ثمّ بعثوا عسكرياً أكثر، فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن فاجتمعوا علي بابه و حفظوه حتّي لا يصعد ولا يخرج. و أميرهم - يعني قائد الحملة - قائم يصل (2) العسكر كلهم. فخرج من السكة التي علي باب السرداب، و مرّ عليهم. فلما غاب، قال الأمير: انزلوا عليه. فقالوا: أليس هو الذي مرّ عليك؟ فقال: ما رأيته. قال: ولم تركتموه؟ قالوا: إنّنا حسبنا أنّك تراه.

إنّه يقرأ القرآن، إنّ القرآن الكريم هو حلقة الوصل بين جميع الفئات الإسلاميّة. و العلامة الرئيسيّة لتمسك الفرد بالإسلام. فالمهدي (عليه السلام) يريد أن يفهمهم ضمناً - لو كانوا يفهمون - حرمة الاعتداء عليه وقتله، باعتباره مؤمناً بالقرآن الذي تعترف السلطات بقدسيّته في ظاهر سلوكها.

ومن طريف حال هؤلاء الجلاوزة، أنّهم لم يبادروا للقبض علي الإمام (عليه السلام) . بل

ص: 146

1- البحار، ص 118، ج 13.

2- في المصدر: يصلي وهو خطأ مطبعي لا محاله.

وقفوا علي باب السرداب و عن اقتحامه. إنهم يخافون مواجهة المهدي (عليه السّلام) ويحتاجون إلي مدد أكبر وعدد أكثر. فهم منتظرون لوصول المدد من بغداد إلي سامراء.

وفي هذه الأثناء استغلّ الإمام المهدي (عليه السّلام) أروع لحظة من لحظات ذلك الحصار، لحظة اقترنت بالدقّة في التوقيت والضبط في التدبير والعناية الإلهية التي ترعاه. إنّها لحظة غفلة قائد الحملة عن الترصّد والانتباه. لحظة لم يأت فيها المدد، ولم تصدر الأوامر بعد باقتحام المكان.

وهنا خرج أمامهم من السرداب و مرّ علي قائد الحملة ولم يشاهده، وأختفي حيث لا يمكن أن يصل إليه هذا الجيش. وهكذا تظافرت هذه الأمور لكي تنتج النتيجة الكبرى ولكي ينفذ المخطط الإلهي العظيم لإنقاذ مستقبل البشرية بالإمام المهدي (عليه السّلام) من الظلم والجور.

ص: 147

قامت السلطة العباسية وعلي امتداد فترة الغيبة الصغرى بالعمل الجادّ من أجل القبض علي الإمام أو قتله غير أنّ جهودها باءت بالفشل الذريع.

وقد عمدت السلطة إلي تفتيش ومداهمة دار الإمام (عليه السّلام) عدّة مرّات وتمكّن الإمام من التخلّص من طوق جلاوزة السلطة دون أن تشعر به بل لعلّه كان مروره علي بعضهم من دون أن يحرك ساكناً تجاه الإمام (عليه السّلام).

وفي آخر مرّة دخلوا الدار وكان الإمام (عليه السّلام) يقرأ القرآن وسمعوا ذلك وذهبوا صوب الصوت علي أنّ الرعاية الإلهية تسببت في إصابتهم بذهول، ويمرّ عليهم الإمام (عليه السّلام) ولم يحركوا شيئاً تجاهه، ويذهب دون أن يمسه بأذي.

وكان للفشل الذي لحق بهذه الحملات دور في العدد لقتل الإمام (عليه السّلام) غير أنّ هذه الجهود ذهبت أدراج الرياح، وسلّم الإمام (عليه السّلام) برعاية الله وحفظه.

1. وضح سبب محاولات التفتيش و البحث عن الإمام من قبل السلطة؟
2. ما الذي كان يتوخاه المعتضد من الغموض والإبهام في أوامره التي أصدرها لقتل الإمام (عليه السلام).
3. ما هي نتائج التصرف الذي صدر من الإمام (عليه السلام) تجاه الحملة التفتيشية لداره (عليه السلام)؟
4. اذكر الآثار التي تركها تصرف الإمام (عليه السلام) في نفوس المهاجمين؟
5. ما هي الأمور التي أدت إلي حفظ الإمام (عليه السلام) من السلطة وجلالوتها؟

الدرس 16: من تراث الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (1)

من التراث العقائدي

1. من كلامه في التوحيد ونبذ الغلو

«إنَّ الله تعالى هو الَّذي خلق الأجسام وقسَّم الأرزاق، لأنَّه ليس بجسمٍ ولا حالٌ في جسم، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع العليم، وأمَّا الأئمة (عليهم السَّلام) فإنَّهم يسألون الله تعالى فيخلق ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظماً لحقَّهم» (1).

2. في مقام الأئمة (عليهم السَّلام)

«الَّذي يجب عليكم ولكم أن تقولوا، إنا قدوةُ الله وأئمةٌ وخلفاءُ الله في أرضه وأمنأؤه علي خلقه، و حُججُه في بلاده، نعرفُ الحلالَ والحرامَ ونعرفُ تأويلَ الكتابِ وفصلَ الخطابِ» (2).

ص: 150

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 178.

2- تفسير العياشي، ج 1، ص 16.

3. في علة الخلق وبعث الأنبياء والأوصياء

«يا هذا يرحمك الله إن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سُدي، بل خلقهم بقدرته وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباباً، ثم بعث إليهم النبيين عليهم السلام مبشرين ومنذرين، يأمرونهم بطاعته وينهونهم عن معصيته، ويعرفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم، وأنزل عليهم كتاباً وبعث إليهم ملائكة، يأتون بينهم وبين من بعثهم إليهم بالفضل الذي جعله لهم عليهم، وما آتاهم من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والآيات الغالبة، فمنهم من جعل النار عليه برداً وسلاماً، واتخذهُ خليلاً، ومنهم من كلمهُ تكليماً، وجعل عصاه تُعباناً مُبيناً، ومنهم من أحيى الموتى بإذن الله، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، ومنهم من علمهُ منطق الطير وأوتي من كل شيء، ثم بعث محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَتَمَّمَ بِهِ نِعْمَتَهُ، وَخَتَمَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأَظْهَرَ مِنْ صِدْقِهِ مَا أَظْهَرَ، وَبَيَّنَّ مِنْ آيَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ مَا بَيَّنَّ، ثُمَّ قَبِضَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَمِيداً فَقِيداً سَعِيداً، وَجَعَلَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ إِلَى أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَوَصِيِّهِ وَوَارِثِهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ إِلَى الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِهِ وَاحِداً وَاحِداً، أَحْيَى بِهِم دِينَهُ، وَأَتَمَّ بِهِم نُورَهُ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِمْ وَبَنِي عَمِّهِمْ وَالْأَذْنِينَ فَالْأَذْنِينَ مِنْ ذَوِي أَرْحَامِهِمْ فُرْقَاناً بَيْناً يَعْرِفُ بِهِ الْحُجَّةُ مِنَ الْمَحْجُوجِ، وَالْإِمَامُ مِنَ الْمَأْمُومِ، بَأَنْ عَصَوْهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، وَبِرَّ أُهُمَّ مِنَ الْعُيُوبِ، وَطَهَّرَهُم مِنَ الدَّنَسِ، وَنَزَّهَهُم مِنَ اللَّبْسِ، وَجَعَلَهُمْ خُرَّانَ عِلْمِهِ، وَمُسْتَوْدَعَ حِكْمَتِهِ، وَمَوْضِعَ سِرِّهِ، وَآيَّدَهُم بِالذَّلَائِلِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَكَانَ النَّاسُ عَلِي سَوَاءٍ، وَلَا دَعِيَ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّ أَحَدٍ، وَلَمَا عُرِفَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا الْعَالِمُ مِنَ الْجَاهِلِ»(1).

4. في دحض إدعاء جعفر الكذاب

قال (عليه السلام) في تتمّة كلامه السابق الذي أوضح فيه صفات الإمام الحق:

ص: 151

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 174.

«وقد ادّعي هذا المُبطل المُفتري علي الله الكذب بما ادّعاه، فلا أدري بأية حالة هي له رجاء أن يتمّ دعواه؟ أيفقه في دين الله؟ فوالله ما يعرف حلالاً من حرام ولا يفرّق بين خطأ وصواب، أم يعلم؟ فما يعلم حقاً من باطل، ولا مُحكماً من مُتشابه، ولا يعرف حدّ الصّلاة ووقتها. أم بورع؟ فالله شهيدٌ علي تركه الصّلاة الفرض أربعين يوماً، يزعم ذلك لطلب السّعودة، ولعلّ خبره قد تآدى إليكم، وهاتيك ظروف مسكروه منصوبة، و آثار عصيانه لله عزّ وجلّ مشهورة قائمة. أم بأية؟ فليات بها، أم بحجة. فليقمها، أم بدلالة. فليذكرها. قال الله عزّ وجلّ في كتابه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم ، تنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ، وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ» فالتمس تولي الله توفيقك من هذا الظالم ما ذكرت لك، وامتحنه وسله عن آية من كتاب الله يفسرّها، أو صلاة فريضة يبيّن حدودها، وما يجب فيها لتعلم حاله ومقداره، و يظهر لك عوارضه ونقصانه، والله حسيبه.

حفظ الله الحقّ علي أهله، وأقرّه في مُستقرّه، وقد أباي الله عزّ وجلّ أن تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين (عليهما السلام)، وإذا أذن الله لنا في القول ظهر الحقّ، واضمحلّ الباطل، وانحسر عنكم. وإلي الله أرغب في الكفاية، وجميل الصّنع والولاية، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلي الله علي مُحَمَّدٍ و آل مُحَمَّدٍ»(1).

5. في انتظام نظام الإمامة وعدم خلوّ الأرض من الحجّة

و من رسالة له إلي سفيريه العمري وابنه: «وقفكمما لله لطاعته، وثبكمما علي دينه،

ص: 152

وأسعدكما بمرضاته، انتهى إلينا ما ذكرتمنا أن الميثمي أخبركمما عن المختار و مناظراته من لقي، واحتججه بأنه لا خلف له غير جعفر بن عليّ وتصديقه إياه، وفهمت جميع ما كتبتما به ممّا قال أصحابكمما عنه، وأنا أعود بالله من العمي بعد الجلاء، ومن الصّد لالة بعد الهدى، و من موبات الأعمال و مرديات الفتن، فإنه عزّوجلّ يقول: «الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون» كيف يتساقطون في الفتن و يتردّدون في الحيرة، و يأخذون يميناً و شمالاً، فأرقوا دينهم، أم ارتابوا، أم عاندوا الحقّ، أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة، أو علموا ذلك فتناسوا ما يعلمون أن الأرض لا تخلو من حجةٍ إمّا ظاهراً وإمّا مغموراً.

أو لم يعلموا انتظام أنمتهم بعلم نبيهم صلّي الله عليه وآله و آله و أحداً؟ بعد واحد إلى أن أفصّي الأمر بأمر الله عزّوجلّ إلى الماضي - يعني الحسن بن عليّ (عليهما السلام) - فقام مقام أبائه (عليهم السلام) يهدي إلى الحقّ و إلى طريق مستقيم، كانوا نوراً ساطعاً، و شهاباً لامعاً و قمراً زاهراً، ثمّ اختار الله عزّوجلّ له ما عنده فمضى عليّ منهاج أبائه (عليهم السلام) حذو النعل بالفعل عليّ عهدٍ عهدته، و وصية أوصي بها إلى وصي ستره الله عزّوجلّ بأمره إلى غاية، و أخفي مكانه بمشيئة للقضاء السابق و القدر النافذ، و فينا موضه، و لنا فضلُهُ لو قد أذن الله عزّوجلّ فيما قد منعه عنه و أزال عنه ما قد جري به من حكمه لأراهم الحقّ ظاهراً بأحسن جليته، و أبين دلالة، و أوضح علامة، و لأبان عن نفسه و قام بحجته، فليدعوا عنهم أتباع الهوي، و ليقموا عليّ أصلهم الذي كانوا عليه، و لا يبحثوا عما ستر عنهم فيأثموا، و لا يكشفوا ستر الله عزّوجلّ فيندموا، و ليعلموا أن الحقّ معنا و فينا، لا يقول ذلك سوانا إلا كذابٌ مُفتر، و لا يدعيه غيرنا إلا ضالٌّ غويٌّ، فليقتصروا منا عليّ هذه الجملة دون التفسير، و يقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله»(1).

ص: 153

1- كمال الدين، ص 510.

6. الحقيقة والمفوضة

وجه قوم من المفوضة كامل بن إبراهيم المدني، إلي أبي محمد (عليه السلام) قال: فقلت في نفسي - : لئن دخلت عليه أسأله عن الحديث المروي عنه: (لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتي وقال بمقالتتي)، وكنت جلست إلي باب عليه ستر مسبل، فجاءت الريح فكشفت طرفه، وإذا بفتي كأنه فلقة قمر، من أبناء أربع سنين، أو مثلها فقال لي: يا كامل بن إبراهيم! فاقشعرت من ذلك، فقلت: لبيك ياسيدي.

قال: جئت إلي وليي الله تسأله: لا يدخل الجنة إلا من عرف بمعرفتك وقال بمقالتك؟

قلت: إي والله.

قال: إذن - والله - يقلّ داخلها، والله ليدخلنها قوم يقال لهم: (الحقّية).

قلت: ومن هم؟

قال: هم قوم من حبهم لعليّ يحلفون بحقه، ولا يدرون ما حقه وفضله.

إنهم قوم يعرفون ما تجب عليهم معرفته جملة لا تفصيلاً، من معرفة الله ورسوله والأئمة ونحوها.

ثم قال: وجئت تسأل عن مقالة المفوضة كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله، فإذا شاء الله شئنا والله يقول: «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله».

ثم رجع الستر إلي حالته فلم استطع كشفه، فنظر إليّ أبو محمد مبتسماً فقال: يا كامل ما جلوسك وقد آسأك بحاجتك الحجّة من بعدي(1).

7. الغيب لله

7. الغيب لله(2)

(يا محمد بن علي، تعالي الله وجل عمّا يصفون، سبحانه ويحمده، ليس نحن

ص: 154

1- الشيخ علي اليزدي، إلزام الناصب في الحجّة الغائب (عليه السلام). ج 1 ص 341.

2- الاحتجاج، الطبرسي، ج 2، ص 280 - 281.

شركاؤه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ».

وأنا وجميع آبائي من الأولين، آدم ونوح وإبراهيم وموسى، وغيرهم من النبيين، ومن الآخرين محمد رسول الله، وعلي بن أبي طالب وغيرهم من مضي من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، إلي مبلغ أيامي ومنتهي عصري، عبید لله عز وجل: «من أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال: ربِّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟ قال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى».

يا محمد بن علي قد أذانا جهلاء الشيعة وحمقاءهم، و من دينه جناح البعوضة أرجح منه.

فأشهد الله الذي لا إله إلا هو وكفي به شهيداً، ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وملائكته وأنبيأؤه وأولياؤه (عليهم السلام)، و أشهدك، وأشهد كل من سمع كتابي هذا: أنني بريءٌ إلي الله وإلي رسوله ممّن يقول: إنا نعلم الغيب، ونشاركه في ملكه، أو يُحلّنا محلاً سوي المحل الذي رضيّه الله لنا وخلقنا له، أو يتعدّي بنا عمّا قد فسّرت له لك وبيّنته في صدر كتابي.

وأشهدكم أنّ كلّ من نبرأ منه فإنّ الله يبرأ منه و ملائكته ورسله وأولياؤه.

وجعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه، أن لا يكتمه من أحد من مواليّ وشيعتي، حتى يظهر علي هذا التوقيع، الكل من الموالي، لعلّ الله عز وجل يتلافاهم فيرجعون إلي دين الحقّ، ويتنهون عمّا لا يعلمون منتهى أمره، ولا يبلغ منتهاه، فكل من فهم كتابي ولا يرجع إلي ما قد أمرته ونهيته، فقد حلّت عليه اللعنة من الله و متن ذكرت من عباده الصالحين.

وأما ندامة قوم شكّوا في دين الله علي ما وصلونا به، فقد أقلنا من استقال فلا

8. ارتداد الشلمغاني

«عَرَفَ أَطَالَ اللهُ بَقَاكَ، وَعَرَفَكَ اللهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَخْتَمَ بِهِ عَمَلِكَ. مِنْ تَثَقُّ بِدِينِهِ وَتَسْكُنَ إِلَيَّ مِنْ إِخْوَانِنَا أَدَامَ اللهُ سَعَادَتَهُمْ: بَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفَ بِالشَّلْمِغَانِيِّ، عَجَّلَ اللهُ لَهُ النِّقْمَةَ وَلَا أَمَهْلَةَ: قَدْ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَفَارَقَهُ، وَأَلْحَدَ فِي دِينِ اللهِ، وَأَدَّعَى مَا كَفَرَ مَعَهُ بِالْخَالِقِ جَلَّ وَتَعَالَى، وَافْتَرَى كَذِبًا وَزُورًا، وَقَالَ بَهْتَانًا وَإِثْمًا عَظِيمًا، كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِاللَّهِ وَضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا، وَخَسِرُوا خَسْرَانًا مَبِينًا.

وَإِنَّا بَرَّئْنَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ مِنْهُ، وَلَعْنَاهُ، عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ فِي الظَّاهِرِ مَنَّا وَالبَاطِنِ فِي السِّرِّ وَالجَهْرِ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ، وَعَلِيٌّ كُلِّ حَالٍ وَعَلِيٌّ كُلِّ مَنْ شَايَعَهُ وَبَلَّغَهُ هَذَا الْقَوْلَ مَنَّا فَأَقَامَ عَلِيٌّ تَوَلَّيَهُ بَعْدَهُ.

أَعْلَمَهُمْ تَوَلَّاهُ اللهُ أَنَّنَا فِي التَّوْقِيِّ وَالْمِحَازَرَةِ مِنْهُ عَلِيٌّ مِثْلَ مَا كُنَّا عَلَيْهِ مَمَّنَ تَقَدَّمَ مِنْ نَظَرَانِهِ: مِنْ (السَّرِيْعِيِّ، وَالنَّمِيْرِيِّ، الْهَلَالِيِّ، وَالبَلَالِيِّ) وَغَيْرِهِمْ، وَعَادَةُ اللهِ جَلَّ ثَنَانُهُ مَعَ ذَلِكَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ عِنْدَنَا جَمِيلَةٌ، وَبِهِ نَتَّقُ وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ، وَهُوَ حَسْبُنَا فِي كُلِّ أَمْرٍ نَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ»(2).

9- الغيبة والقيادة والمرجعية

«أَمَا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ أَرْشِدُكَ اللهُ وَثَبَّتْكَ، وَوَقَاكَ مِنْ أَمْرِ الْمُنْكَرِينَ لِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا وَبَنِي عَمَّنَا، فَاعْلَمْ: أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، وَ مِنْ أَنْ كَرْنِي فَلَيسَ مَنِّي، وَ سَبِيلُهُ سَبِيلُ ابْنِ نُوحٍ.

ص: 156

1- الاحتجاج، ج 2، ص 278.

2- الاحتجاج، ج 2، ص 289 وما بعدها.

وأما سبيل عمي جعفر وولده، فسبيل إخوة يوسف (عليه السلام)، وأما الفقاع فشربه حرام ولا بأس بالشلماب.

وأما أموالكم فلا تقبلها إلا لتطهروا، فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع، وما آتانا الله خير مما آتاكم.

وأما ظهور الفرج فإنه إلهي الله وكذب الوقانون.

وأما قول من زعم أنّ الحسين لم يقتل، فكفر و تكذيب و ضلال.

وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلي رواة حديثنا فإنهم حجّتي عليكم و أنا حجّة الله.

وأما محمّد بن عثمان العمري - فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنه تقّي وكتابه كتابي.

وأما محمّد بن علي بن مهزيار الأهوازي، فسيصلح الله قلبه، و يزيل عنه شكّه.

وأما ما وصلنا به، فلا قبول عندنا إلا لما طاب و طهر، و ثمن المغنية حرام.

وأما محمّد بن شاذان بن نعيم، فإنه رجل من شيعتنا أهل البيت (1).

وأما أبو الخطاب محمّد بن أبي زينب الأجدع فإنه ملعون وأصحابه ملعونون فلا تجالس أهل مقاتلتهم، فإنّي منهم بريء، و آبائي (عليه السلام) منهم براء.

وأما المتلبسون بأموالنا، فمن استحلّ منها شيئاً فأكله فإنّما يأكل النيران.

وأما الخمس فقد أبيع لشيعتنا وجعلوا منه في حلّ إلي وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم ولا تخبث.

وأما علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عزّوجلّ قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ» إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه.

ص: 157

وإني أخرج - حين أخرج - ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.

وأما وجه الانتفاع في غيبي، فكالاتفعا بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا السؤال عمّا لا يعينكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب و علي من اتبع الهدى»(1).

10- خلف العسكري

10- خلف العسكري(2)

«بسم الله الرحمن الرحيم. عافانا الله وإياكم من الفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب.

إنّه أنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاة أمرهم فعمّنا ذلك ولكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا لأنّ الله معنا فلا فاقة بنا إلي غيره. والحقّ معنا فلن يوحشنا من قعد عتّا ونحن صنایع ربّنا والخلق بعد صنایعنا.

يا هؤلاء، مالكم في الريب تتردّدون، وفي الحيرة تتسكّعون؟

أو ما سمعتم الله يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»؟ أو ما علمتم ما جاءت به الآثار ممّا يكون و يحدث في أئمتكم؟ علي الماضيين والباقيين منهم السلام، أو ما رأيتم كيف جعل لكم الله معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تهتدون بها، من لدن آدم (عليه السلام) إلي أن ظهر الماضي (عليه السلام) كلّما غاب علم بدأ علم، وإذا أفل نجم طلع نجم، فلمّا قبضه الله ظننتم؛ أن الله أبطل دينه وقطع السبب بينه وبين خلقه كلّ ما كان ذلك ولا يكون، حتّى تقوم الساعة ويظهر أمرهم وهم كارهون.

ص: 158

1- الاحتجاج، ص 278.

2- الاحتجاج، ج 2، ص 277.279.

وإنّ الماضي (عليه السّلام) مضي سعيداً فقيداً علي منهاج آبائه (عليهم السّلام) (حذو النعل بالنعل) وفينا وصيته وعلمه، و منه خلفه و من يسد مسدّه، ولا ينازعنا موضعه إلاّ ظالم آثمّ، ولا يدّعيه دوننا إلاّ كافر جاحد.

ولو أنّ أمر الله لا- يغلب، وسره لا يظهر ولا يعلن، لظهر لكم من حقّنا ما تبهر منه عقولكم و يزيل شكوككم، ولكن ما شاء الله كان، ولكلّ أجل كتاب، فاتّقوا الله وسلّموا لنا، وردّوا الأمر إلينا، فعلينا الإصدار كما كان منّا الإيراد، ولا تحاولوا كشف ما غطّي عنكم، ولا تميلوا عن اليمين و تعدلوا إلي اليسار، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودّة علي السنة الواضحة فقد نصحت لكم، والله شاهد عليّ و عليكم، ولولا ما عندنا من محبّة صاحبكم ورحمكم والإشفاق عليكم، لكتنا عن مخاطبتكم في شغل ممّا قد امتحنّا به منازعة الظالم العتلّ الظالم، المتتابع في غيه المضادّ لرّبّه المدّعي ما ليس له، الجاحد حقّ من افترض الله طاعته، الظالم الغاصب.

وفي ابنة رسول الله - صلّي الله عليه وعليها - لي أسوة حسنه و ستردي الجاهل رداء عمله، و سيعلم الكافر لمن عقبي الدار.

عصمنا الله وإياكم من المهالك والأسواء، والآفات والعاهات كلّها برحمته فإنه وليّ ذلك، والقادر علي ما يشاء، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً، والسلام علي جميع الأوصياء والأولياء، والمؤمنين ورحمة الله وبركاته، وصلّي الله علي النبي محمّد وآله وسلّم تسليماً»(1).

ص: 159

لقد تضمن التراث القيم للإمام المهدي (عليه السلام) مناحي متعددة في الجوانب الفكرية والعقائدية فضلاً عن رسائله التي كانت تعالج مشاكل آتية وأخرى بعيدة ومستقبلية تتعلق بكيان الجماعة الصالحة والقواعد الموالية للإمام (عليه السلام).

ففي الجانب العقائدي نجد أنّ الإمام (عليه السلام) يركّز علي عظمة الله سبحانه وقدرته وإليه يعود كلّ شيء، كما أنّ هنالك إشارات وإيضاحات حول مقام الأئمة (عليهم السلام) وأنهم عباد مكرمون، وأنّ لهم مقاماً ومكاناً خاصاً عند الله سبحانه، كما ورد عنه (عليه السلام) بيان خاصّ بعلة الخلق وبعث الأنبياء والأوصياء ودورهم في حياة الإنسان.

كما أنّ رسائله إلي قواعد و مواليه قد أوضح فيها المشاكل العقائدية التي كانت تعاني منها الجماعة الصالحة ولاسيما مسائل إمامة أهل البيت (عليهم السلام) وبالأخص قضايا الإمام المهدي (عليه السلام) من أسباب الغيبة وفوائدها وتكاليف الجماعة الصالحة في عصر الغيبة إلي غيرها من قضايا العقيدة بما يتناسب مع الظروف المحيطة به وقواعده الموالية له.

1. بين المناحي التي تضمّنها تراث الإمام المهدي (عليه السلام)؟
2. ما هي إشارات الإمام (عليه السلام) إلى مقام و مكانة الأئمة عند الله سبحانه؟
3. اذكر الكيفية التي دحض بها الإمام (عليه السلام) ادّعاءات عمّه جعفر بن علي (عليه السلام)؟
4. وضح علّة الخلق وبعث الأنبياء كما وردت في كلمات الإمام (عليه السلام)؟
5. ما هي وصيّة الإمام (عليه السلام) لقواعده ليكونوا في أتمّ الاستعداد لظهوره (عليه السلام)؟
6. ما هي أهميّة الرسائل التي بعثها الإمام (عليه السلام) إلى أعلام الطائفة؟

«بسم الله الرحمن الرحيم. أطل الله بقاءك، وأدام الله عزك، وتأييدك وسعادتك وسلامتك و أتمّ نعمته عليك، وزاد في إحسانه إليك، وجميل مواهبه لديك، وفضله عندك، وجعلني من السوء فذاك، وقدمني قبلك (2) الناس يتنافسون في الدرجات، فمن قبلتموه كان مقبولاً، و من دفعتموه كان وضيعاً، والخامل من وضعتموه، ونعوذ بالله من ذلك وبيلدنا أيّدك الله جماعة من الوجوه يتساوون و يتنافسون في المنزلة، وورد أيّدك الله كتابك إلي جماعة منهم في أمر أمرتهم به من معاونة، وأخرج علي بن محمّد بن الحسين بن الملك المعروف بملك بادوكة وهو ختن (3) رحمه الله من بينهم فاعتتم بذلك، وسألني - أيّدك الله - أن أعلمك ما ناله من ذلك، فإن كان من ذنب فاستغفر الله منه، وإن يكن غير ذلك عرفته ما تسكن نفسه إليه إن شاء الله.»

1- الاحتجاج. لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، ج 2، ص 301-303.

2- أي جعل موتي قبل موتك. وهذا دعاء له بطول العمر.

3- الختن - بفتحيتين - قريب الزوجة من أب وأخ.

التوقيع: «لم نكتب إلا من كاتبنا»..

(وقد عودتني أدام الله عزك في تفضلك ما أنت أهل أن تخبرني علي العادة وقبلك -عزك الله - فقهاؤنا قالوا: إننا محتاجون إلي أشياء تسأل لنا عنها.

روي لنا عن العالم(1) (عليه السلام): أنه سئل عن إمام قوم، صلي بهم بعض صلاتهم وحدثت عليه حادثة(2)، كيف يعمل من خلفه؟

فقال: يؤخر ويتقدم بعضهم، ويتم صلاتهم، ويغتسل من مسه»

التوقيع: «ليس علي من نحاها إلا غسل اليد، وإذا لم يحدث حادثة يقطع الصلاة، تتم صلاته مع القوم»(3).

(وروي عن العالم (عليه السلام): أن من مس ميتاً بحرارته غسل يده، و من مسه وقد برد فعليه الغسل.

وهذا الإمام في هذه الحالة لا يكون إلا بحرارة، فالعمل ما هو. ولعله ينحيه بشيابه / ولا يمسه، فكيف يجب عليه الغسل..»

التوقيع: «إذا مسه علي هذه الحال لم يكن عليه إلا غسل يده».

«وعن صلاة جعفر: إذا سها في التسبيح في قيام أو قعود، أو ركوع أو سجود و ذكره في حالة أخرى قد صار فيها من هذه الصلاة، هل يعيد ما فاته في ذلك التسبيح في الحالة التي ذكرها أم يتجاوز في صلاته؟»

التوقيع: «إذا سها في حالة من ذلك ثم ذكر في حالة أخرى، قضى ما فاته في الحالة التي ذكره».

«وعن المرأة: يموت زوجها، يجوز أن تخرج في جنازته أم لا؟»

ص: 163

1- الشيعة كانوا يميزون ب(العالم) للإمام موسى بن جعفر(عليه السلام).

2- أي مات في أثناء الصلاة.

3- أي ان لم يقم المأموم الذي تولي تنحية إمام الجماعة عن المحراب بحركات ماحية لصورة الصلاة، يتابع صلاته مع الجماعة، فيقوم بدور الإمام.

التوقيع: «تخرج في جنازته».

«وهل يجوز لها في عدتها أن تزور قبر زوجها أم لا؟»

التوقيع: «تزور قبر زوجها ولا تبيت عن بيتها».

«وهل يجوز لها أن تخرج في قضاء حق يلزمها، أم لا تبرح من بيتها وهي في عدتها؟»

التوقيع: «إذا كان حق خرجت فيه وقضته، وإن كانت حاجة ولم يكن لها من ينظر فيها خرجت بها حتى تقضيها، ولا تبيت إلا في بيتها»(1).

«وروي في ثواب القرآن في الفرائض وغيرها: أن العالم (عليه السلام) قال: عجباً لمن لم يقرأ في صلاته: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» كيف تقبل صلاته؟»

وروي: ما زكت صلاة من لم يقرأ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ».

وروي: أن من قرأ في فرائضه «الهمزة» أعطى من الثواب قدر الدنيا فهل يجوز أن يقرأ «الهمزة» ويدع هذه السور التي ذكرناها، مع ما قد روي: أنه لا تقبل صلاة ولا تزكو إلا بهما؟

التوقيع: «الثواب في السورة علي ما قد روي: وإذا ترك سورة ممّا فيها الثواب وقرأ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» لفضلهما أعطى ثواب ما قرأ، و ثواب السور التي ترك ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين و تكون صلاته تامة ولكن يكون قد ترك الفضل».

وعن وداع شهر رمضان: متى يكون؟ فقد اختلف فيه أصحابنا، فبعضهم يقول: يقرأ في آخر ليلة منه وبعضهم يقول: وهو في آخر يوم منه إذا رأي هلال شوال؟»

التوقيع: «العمل في شهر رمضان في ليلته، والوداع يقع في آخر ليلة منه، فإذا خاف أن ينقص الشهر جعله في ليلتين».

ص: 164

1- فأصل الخروج من البيت لحاجة . لا يوجد من ينظر فيها - يجوز، إنّما المهم أن لا تبيت خارج بيتها.

«و عن قول الله عز وجل: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» أرسل الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) المعنيّ به؟ «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» ما هذه القوة؟ «مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ» (1) ما هذه الطاعة و أين هي؟ ما خرج لهذه المسألة جواب.

فرايك أدام الله عزك بالتفصّل عليّ بمسألة من تثق به من الفقهاء عن هذه المسائل فأجيني عنها منعماً مع ما تشرحه لي من أمر علي بن محمّد ابن الحسين بن الملك المتقدّم ذكره بما يسكن إليه ويعتد بنعمة الله عنده، و تفضّل عليّ بدعاء جامع لي وإخواني في الدنيا والآخرة فعلت مثاباً إن شاء الله (2).

التوقيع: «جمع الله لك وإخوانك خير الدنيا والآخرة».

مسائل الحميري - رقم 2

مسائل الحميري (3) - رقم 2

«فرايك أدام الله عزك في تأمل رقعتي والتفصّل بما أسأل من ذلك لأضيفه إلي سائر أياديك عندي و منك عليّ، واحتجت أدام الله عزك أن يسألني بعض الفقهاء عن المصليّ إذا قام من التشهد الأوّل إلي الركعة الثانية هل يجب عليه أن يكبّر؟ فإنّ بعض أصحابنا قال: لا يجب عليه التكبير، ويجزيه أن يقول بحول الله وقوته أقوم وأقعد؟»

الجواب: «إنّ فيه حديثين: أمّا أحدهما: (فإنّه إذا انتقل من حالة إلي حالة أخري فعليه التكبير). وأمّا الآخر: فإنّه روي: (أنّه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبّر ثمّ جلس ثمّ قام فليس عليه في القيام بعد القعود تكبير وكذلك في التشهد الأوّل يجري هذا المجري) وبأيهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً».

ص: 165

1- التكوير / 19 - 21.

2- يبدو أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) كان يتبع الأسلوب النبوي في عدم الإجابة علي الأسئلة التي لا ضرورة منها للسائلين أو هي فوق مستوياتهم.

3- الاحتجاج، ج 2، ص 303.

وعن الفص الخماهن(1): هل يجوز فيه الصلاة إذا كان في اصبعه؟»

الجواب: «فيه كراهية أن يصلي فيه، وفيه أيضاً إطلاق، والعمل علي الكراهية»(2).

«وعن الرجل اشترى هدياً لرجل غاب عنه، وسأله أن ينحر عنه هدياً بمنى فلما أراد نحر الهدي نسي اسم الرجل ونحر الهدي، ثم ذكره بعد ذلك، أيجزي عن الرجل أم لا؟»

الجواب: «لا بأس بذلك، وقد أجزأ عن صاحبه»..

«وعندنا حاكة مجوس، يأكلون الميتة، ولا يغتسلون من الجنابة، وينسجون لنا ثياباً، فهل يجوز الصلاة فيها من قبل أن تغسل؟»

الجواب: «لا بأس بالصلاة فيها».

«وعن المصلي: يكون في صلاة الليل في ظلمة، فإذا سجد يغلط بالسجدة ويضع جبهته علي (مسح أو نطع) فإذا رفع رأسه وجد السجدة هل يعتد بهذه السجدة أم لا يعتد بها؟»

الجواب: «ما لم يستو جالساً فلا شيء عليه في رفع رأسه لطلب الخمرة»(3).

«وعن المحرم: يرفع الظلال هل يرفع خشب أو العمارية الكنيسة ويرفع الجناحين أم لا؟»(4)

ص: 166

1- كلمة معرّية تطلق علي نوع من الحديد. وفي بعض النسخ (الجوهر) وإذا صحّ فالمراد غير الجواهر التي يستحبّ الصلاة فيها.

2- من عادة الأئمة (عليهم السلام) أنهم كانوا يعملون علي تربية المواهب لدي أصحابهم، ولعل التفصيل في الجوابين السابقين لتربية ملكة الاجتهاد لدي الحميري.

3- حصيرة صغيرة كانت توضع ليسجد عليها - كالسجدة المعمولة من التراب - سمّيت خمرة لأنها تستر الوجه من الأرض.

4- العمارية رقعة مزينة تخاط في المظلة، وتطلق علي قماش المظلة. والكنيسية: نوع من المحمل تشبه هندسته هندسة الكنيسة. وفي مجمع البحرين: الكنيسة شيء يعزّز في المحمل أو الرحل ويلقي عليه ثوب يستظل به الراكب ويستتر به.

الجواب: «لا شيء عليه في ترك رفع الخشب».

«وعن المحرم: يستظل من المطر بنطع أو غيره، حذراً علي ثيابه و ما في محمله أن يتلّ، فهل يجوز ذلك؟»

الجواب: «إذا فعل ذلك في المحمل في طريقه، فعليه دم»(1).

«وعن الرجل: يحجّ عن واحد، هل يحتاج أن يذكر الذي حج عنه عند عقد إحرامه أم لا، وهل يجب أن يذبح عمّن حج عنه وعن نفسه أم يجزيه هدي واحد؟»

الجواب: «قد يجزيه هدي واحد، ويذكره وإن لم يفعل(2) فلا بأس».

«وهل يجوز للرجل أن يحرم في كساء خزّ أم لا؟»

الجواب: «لا بأس بذلك، وقد فعله قوم صالحون».

«وهل يجوز للرجل أن يصلّي في بطيطة(3) لا يغطي الكعبين أم لا يجوز؟»

الجواب: «جائز».

«وعن الرجل يصلّي وفي كمّه أو سراويله سكين أو مفتاح حديد، هل يجوز ذلك؟»

«وعن الرجل: يكون معه بعض هؤلاء(4)، ويكون متّصلاً بهم، فيحج ويأخذ ذات

ص: 167

1- أي عليه أن يكفّر بذبح شاة والتصدّق بها.

2- الظاهر أنّ هذين جوابان عن سؤالين دمجاً معاً (ويذكره) أي: المنوب عنه في عقد الإحرام. والهدي من الأنعام: ما يسوقه الحاج المقرن معه، فالقارن يسوق الهدى عند إحرامه، ويتخيّر بين التلبية والإشعار أو التقليد، ويختص البقر والغنم بتقليدها بنعل قد صلّي فيه. وأمّا إن ساق الإبل فيتخيّر بين تقليدها، وبين إشعارها بأن يشقّ الجانب الأيمن من سناها ويلطّخ صفحتها بدمها. وإذا ساق الهدى قرن بين عمرته و حجها إحرام واحد، وإذا لم يسق تمتّع بالعمرة إلي الحجّ وضحي يوم العيد بما يشتره من منى.

3- البطيطة: نوع من الأحذية مفلطح مفتوح عند قبة القدم.

4- وادي العقيق، ثاني المواقيت التي يحرم منها الحجّاج، ويبعد عن مكة المكرمة مائة كيلومتراً تقريباً، وهو ميقات أهل العراق وأهل نجد، وكل من يمرّ به في طريقه إلي مكّة. وأوّل هذا الميقات. من جهة العراق - موضع يقال له: (المسلخ) ووسطه (غمرة) و آخره (ذات عرق). والشيعه يحرمون من المسلخ) والسنة يحرمون من (ذات عرق). فإذا اقتضت التقية تأخير الإحرام إلي (ذات عرق) وجب علي الحاج أن يلبس ثوبي الإحرام ويلبّي سرّاً من (المسلخ) ثم يلبس المخيط تقية وإن لم يمكنه ذلك أحرم بثيابه ولبّي فإذا بلغ (ذات عرق) ينزع المخيط ويفدي لبسه في حال الإحرام. والحاصل: أنّ الواجب هو الإحرام من المسلخ.

عرق فيحرم معهم لما يخاف الشهرة(1) أم لا يجوز إلا أن يحرم من المسلخ.»

الجواب: «يحرم من ميقاته ثم يلبس الثياب، ويلبى في نفسه، فإذا بلغ إلي ميقاتهم أظهر.»

«وعن لبس النعل المعطون(2) فإن بعض أصحابنا يذكر أن لبسه كرية؟»

الجواب: «جائز، ولا بأس به.»

«وعن الرجل: من وكلاء الوقف مستحلاً لما في يده، ولا يرع عن أخذ ماله ريمًا نزلت في قرينته وهو فيها. أو أدخل منزله . وقد حضر طعامه - فيدعوني إليه، فإن لم آكل من طعامه عاداني عليه وقال: فلان لا يستحل أن يأكل من طعامنا فهل يجوز لي أن آكل من طعامه وأتصدق بصدقة؟ وكم مقدار الصدقة؛ وأن أهدي هذا الوكيل هدية إلي رجل آخر فأحضر فيدعوني إلي أن أنال منها، وأنا أعلم أن الوكيل لا يرع عن أخذ ما في يده، فهل عليّ فيه شيء إن أنا نلت منها؟»

الجواب: «إن كان لهذا الرجل مال أو معاش غير ما في يده فكل طعامه واقبل برّه وإلا فلا.»

«وعن الرجل ممن يقول بالحق ويرى المتعة، ويقول بالرجعة، إلا أن له أهلاً؟»

ص: 168

1- أي يخاف التشهير به.

2- عطن الجلد: وضع في الدماغ وترك فانتن، فهو عطين ومطون، والدباغ ملح يجعل فيه الجلد إلي أن يتفسخ صوفه.

موافقة له في جميع أمورهِ، وقد عاهدَها: ألا يتزوَّجَ عليها، ولا يتمتَّعَ ولا يتسرِّيَ وقد فعل هذا منذ تسعة عشر سنة. ووفي بقوله، فرَّبما غاب عن منزله الأشهر فلا يتمتَّعَ ولا تتحرَّكَ نفسه أيضاً لذلك، ويرى أن وقوف من معه من أخ وولد و غلام و وكيل وحاشية ممَّا يقلِّله في أعينهم، ويحبُّ المقام علي ما هو عليه محبَّة لأهله و ميلاً إليها، وصيانة لها ولنفسها، لا لتحريم المتعة بل يدين الله بها، فهل عليه في ترك ذلك مآثم أم لا؟»

الجواب: «يستحبُّ له أن يطيع الله تعالى بالمتعة، ليزول عنه الحلف في المعصية ولو مرَّة».

مسائل الحميري - رقم 3

مسائل الحميري (1) - رقم 3 سأل عن المحرم: «يجوز أن يشدَّ المنزر من خلفه علي عقبه بالطول، ويرفع طرفيه إلي حقويه ويجمعهما في خاصرته ويعقدها، ويخرج الطرفين الآخرين من بين رجلين ويرفعهما إلي خاصرته، ويشدَّ طرفيه إلي وركيه، فيكون مثل السراويل يستر ما هناك، فإنَّ المنزر الأوَّل كُنَّا ننزِّر به إذا ركب الرجل جملة يكشف ما هناك، وهذا أستر؟»

فأجاب (عليه السَّلام): «جاز أن يتزَّر الإنسان كيف شاء إذا لم يحدث في المنزر حدثاً بمقراط ولا إبرة يخرج به عن المنزر، وغزره غزراً ولم يقعه، ولم يشد بعضه ببعض، وإذا غطِّي سرَّته وركبتيه كلاهما فإنَّ السنَّة المجمع عليها بغير خلاف تغطية السرَّة و الركبتين، والأحب إلينا والأفضل لكل أحد شده علي السبيل المألوفة المعروفة عند الناس جميعاً إن شاء الله».

ص: 169

1- الاحتجاج، ج 2، ص 306-309. كتاب آخر لمحمد بن عبدالله الحميري إلي صاحب الزمان (عليه السَّلام)، من أجوبة مسائله التي سأله عنها في سنة سبع وثلاثمائة:...

وسأل: «هل يجوز أن يشد عليه مكان العقد تكة؟»

فأجاب: «لا يجوز شد المئزر بشيء سواه من تكة ولا غيرها».

وسأل عن التوجّه للصلاة أن يقول عليّ ملة إبراهيم ودين محمد (صلي الله عليه وآله وسلم)، فإن بعض أصحابنا ذكر: «أنه إذا قال عليّ دين محمد فقد أبدع، لأننا لم نجد في شيء من كتب الصلاة خلا حديثاً في كتاب القاسم بن محمد عن جده عن الحسن بن راشد: أن الصادق (عليه السلام) قال للحسن: كيف تتوجّه؟

فقال: أقول لبيك وسعديك.

فقال له الصادق (عليه السلام): ليس عن هذا أسألك. كيف تقول وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً.

قال الحسن: أقول.

فقال الصادق (عليه السلام): إذا قلت ذلك فقل: عليّ ملة إبراهيم، ودين محمد، ووجهي لبيك، والإتمام بآل محمد، حنيفاً ومسلماً وما أنا من المشركين»

فأجاب (عليه السلام): «التوجّه كلّ ليس بفريضة، والسنة المؤكّدة فيه التي كالإجماع الآذي لا- خلاف فيه: وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، حنيفاً مسلماً عليّ ملة إبراهيم ودين محمد وهدى أمير المؤمنين، وما أنا من المشركين. إن صلّاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا- شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللهم اجعلني من المسلمين أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ الحمد.»

قال الفقيه (1) الذي لا يشك في علمه: «إنّ الدين لمحمد والهداية لعليّ أمير المؤمنين

ص: 170

1- يمكن أن يكون المراد من (الفقيه) هو الإمام الصادق، باعتبار الرواية عنه في السؤال، ويمكن أن يكون المراد من (الفقيه) الإمام الكاظم، لأنّ الشيعة كانوا يعبرون عنه ب(الفقيه) أو ب(لفقيه أهل البيت) ويمكن أن المراد غيرهما من الأئمة، لأنّ هذا اللقب كان يطلق عليّ منهم في زمانه.

لأنّها له (عليه السّلام) وفي عقبه باقية إلى يوم القيامة فمن كان كذلك فهو من المهتدين ومن شكّ فلا دين له، ونعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى»

وسأله عن القنوت في الفريضة إذا فرغ من دعائه، يجوز أن يردّ يديه علي وجهه وصدره للحديث الذي روي: (أنّ الله عزّوجلّ أجلّ من أن يردّ يدي عبده صغراً بل يملأهما من رحمته) أم لا يجوز؟ فإنّ بعض أصحابنا(1) ذكر أنه عمل(2) في الصلاة.»

فأجاب(عليه السّلام): «ردّ اليدين من القنوت علي الرأس والوجه غير جائز في الفرائض، والّذي عليه العمل فيه، إذا رجع يده في قنوت الفريضة وفرغ من الدعاء، أن يردّ بطن راحتيه مع صدره تلقاء ركبتيه علي تمهّل، و يكبّر ويركع، والخبر صحيح وهو في نوافل النهار والليل دون الفرائض، والعمل به(3) فيها أفضل.» .

وسأل: «عن سجدة الشكر بعد الفريضة، فإنّ بعض أصحابنا ذكر أنّها (بدعة) فهل يجوز أن يسجدها الرجل بعد الفريضة؟ وإن جاز ففي صلاة المغرب هي بعد الفريضة أو بعد الأربع ركعات النافلة؟»

فأجاب(عليه السّلام): «سجدة الشكر من أزم السنن وأوجبها، ولم يقل إنّ هذه السجدة بدعة إلا من أراد أن يحدث بدعة في دين الله. فأما الخبر المروي فيها بعد صلاة المغرب والاختلاف في أنّها بعد الثلاث أو بعد الأربع فإنّ فضل الدعاء والتسييح بعد الفرائض علي الدعاء بعقيب النوافل كفضل الفرائض علي النوافل، والسجدة دعاء و تسييح فالأفضل أن تكون بعد الفرائض فإن جعلت بعد النوافل أيضاً جاز»(4).

وسأل: «أنّ لبعض إخواننا ممّن نعرفه ضيعة جديدة بجانب ضيعة خراب، للسلطان

ص: 171

- 1- يقصد من أصحابنا : علماء الشيعة.
- 2- عمل في الصلاة، أي عمل خارج عن الصلاة، والعمل الخارج عنها - إذا دخل فيها - يفسدها.
- 3- أي العمل بالخبر المذكور أعلاه في النوافل أفضل فيرد يديه من القنوت علي وجهه وصدره، ولا يفعل ذلك في الفرائض وإنّما يرد راحتي يديه مع صدره سوية مقابل ركبتيه للركوع.
- 4- لأنها مستحبّة، فتقديمها علي النافلة أفضل، وتأخيرها لا يضّرّ كما أن تركها ليس حراماً.

فيها حصّةته و اكرته ربّما زرعوها حدودها ويؤذيههم عمّال السلطان و يتعرّضون في الكل من غلات ضيعته، وليس لها قيمة لخرابها وإنّما هي بائرة منذ عشرين سنة، وهو يتحرّج من شرائها لأنّه يقال: إنّ هذه الحصّة من هذه الضيعة كانت قبضت عن الوقف قديماً للسلطان، فإن جاز شراؤها من السلطان، وكان ذلك صلاحاً له وعمارة لضيعته وإنّه يزرع هذه الحصّة من القرية البائرة لفضل ماء ضيعته العامرة، وينحسم عنه طمع أولياء السلطان، وإن لم يجز ذلك عمل بما تأمره به إن شاء الله تعالى؟»

فأجاب: «الضيعة لا يجوز ابتاعها إلا من مالها أو بأمره أو رضاً منه» (1).

وسأل: «عن رجل استحلّ امرأة خارجة من حجابها، وكان يحترز من أن يقع ولد فجاءت بابت، فتحرّج الرجل أن لا يقبله فقبله وهو شاكّ فيه. وجعل يجري النفقة علي أمّه وعليه حتّى ماتت الأمّ، وهو ذا يجري عليه غير أنّه شاكّ فيه ليس يخلطه بنفسه، فإن كان ممّن يجب أن يخلط بنفسه ويجعله كسائر ولده فعل ذلك وإن جاز أن يجعله له شيئاً من ماله دون حقّه فعل؟»

فأجاب (عليه السلام): «الاستحلال بالمرأة يقع علي وجوه، والجواب يختلف فيها فليذكر الوجه الذي وقع الاستحلال عليه به مشروحاً ليعرف الجواب فيما يسأل عنه من أمر الولد إن شاء الله».

وسأله الدعاء له فخرج الجواب:

«جاد الله عليه بما هو جلّ و تعالي أهله، إيجابنا لحقّه، ورعايتنا لأبيه رحمه الله، وقربه منّا، وقد رضينا بما علمناه من جميل نيّته، ووقفنا عليه من مخاطبته، المقرّ له من الله، التي يرضي الله عزّ وجلّ و رسوله وأوليائه عليهم السلام والرحمة بما بدأنا، نسأل الله بمسألته ما أمّله من كلّ خير عاجل و آجل، وأن يصلح له من أمر دينه

ص: 172

1- لأنّ ما يغتصبه السلطان يبقى ملكاً لمالكة الشرعي، فشرائه من السلطان ليس أكثر من عملية صورية لرفع سلطته، وأما شرائه الحقيقي فلا يتمّ إلا من مالكة.

و ذنياه ما يجب صلاحه، إنّه ولي قدير».

مسائل الحميري - رقم 4

مسائل الحميري (1) - رقم 4

«بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وأدام عزك وكرامتك وسعادتك وسلامتك، وأتمّ نعمته عليك وزاد في إحسانه إليك، وجميل مواهبه لديك، وفضله عليك، وجزيل قسّمه لك، وجعلني من سوء كلّ فداك، وقدمني قبلك (2)».

إنّ قبلنا (3) مشايخ وعجايز يصومون رجباً منذ ثلاثين سنة وأكثر، ويصلّون بشعبان وشهر رمضان. وروي لهم بعض أصحابنا: أنّ صومه معصية؟»

فأجاب (عليه السلام): «قال الفقيه (4): يصوم منه أيّاماً إلي خمسة عشر يوماً إلا أن يصوم عن

ص: 173

1- الاحتجاج، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، ج 2، ص 309 - 315.

2- أي جمل وفاتي قبل وفاتك.

3- قبلنا: عندنا.

4- الفقيه في مصطلح الحديث - هو الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ففي عهد الإمام الكاظم كان الإرهاب الرشيدي يلاحق الشيعة، ويكفي دليلاً علي مدي إرهاب هارون الرشيد، أنّ ذرية النبي تنكروا وهربوا إلي أفريقيا وأنّ الإمام الكاظم بقي سبع سنوات علي المشهور - مسجوناً في الزنانات الانفرادية تحت الأرض، ثمّ توفّي مسموماً وحمل جثمانه أربعة من الحمّالين. فكان الشيعة يرمزون عن الإمام الكاظم (عليه السلام) ب (الفقيه) وب (العالم) وربّما ب (الرجل). وفي مجمع البحرين: (قد يطلق العالم ويراد به أحد الأئمة من غير تعيين) ولعلّ أحدهم من غير تعيين هو المعني ب (العالم) في بعض الأحاديث التالية، لأنّها تشير إلي روايات مأثورة عن غير الإمام الكاظم (عليه السلام). ويلاحظ أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) يستشهد بعض الروايات أو بعض الأئمة. كما نجد في هذا الحديث وأحاديث أخرى - رغم أنّ قوله حجّة كأقوالهم. ولعل سبب ذلك: - 1. توجيه العلماء إلي الاعتماد علي الروايات المأثورة عن أهل البيت جميعاً وعدم محاولة استقصاء المعارف الإسلامية عن طريق مراسلته فقط، وكأنّه يريد إشعارهم بأنّ أهل البيت جميعاً خطوط متوازية إلي الإسلام وهو واحد نزل من عند الأحد. تكريم آبائه (عليهم السلام)، شأن كلّ الأئمة والأنبياء الذين كانوا يردون عن أسلافهم: لا لقصور فيهم وإنّما تخليداً لأولئك الأسلاف في سلسلة الاقداس. كما نجد القرآن الكريم وسائر كتب السماء تروي عن الأنبياء السابقين وربّما عن غيرهم كلقمان رغم أنّها هبطت من عند الله الذي هو مرسل الرسل ومصدر الرسالات، ولكنّه أراد أن يلمّ البشر بالترابط الوثيق بين شجرة النبوّة وجذورها الممتدّة حتّي المظهر الأولي للإنسان، وأن يتواكب مع توجهات السماء إلي الأرض وتجاوب الرسالات مع تطوّر الإنسان. حتّي لا يحسبها أطروحة مرتجلة أو تجربة مجهولة النتائج والأبعاد. 3. إنّ الإمام المهدي (عليه السلام) حيث لم يكن حاضراً يحاور أنصاره وأعدائه حتّي الإقناع والافحام اختار الاستناد إلي المسلمات العقلية أو الإسلامية أحياناً، وأحياناً الاعتماد علي الروايات المأثورة عن آبائه ليكون أبعد عن التقنيد والتشكيك.

الثلاثة الأيام الفاتئة(1)، للحديث: «أن نَعِمَ شهرُ القضاءِ رجباً».

وسأل: «عن رجل يكون في محمله و الثلج كثير بقامة الرجل، فيتخوَّف إن نزل الغوص فيه، وربّما يسقط الثلج وهو علي تلك الحال ولا يستوي له أن يلبّد شيئاً منه لكثرتِه و تهافته، هل يجوز [له] أن يصلّي في المحمل الفريضة؟ فقد فعلنا ذلك أياماً فهل علينا في ذلك إعادة أم لا؟»

فأجاب: «لابأس [به] عند الضرورة والشدة».

ص: 174

1- لعلّ المعني: يصوم عن الأشهر الثلاثة الأيام الفاتئة بأنّها يصومها قضاءً إذا كانت عليه، لأن صوم القضاء مقدّم علي صوم الندب. وإلاّ فإنّ عدداً من الأحاديث تؤكّد استحباب صيام الأشهر الثلاثة. ولعلّ هذا النهي عن سيّدنا و مولانا صاحب الزمان - صلوات الله عليه - إنّما هو لأجل أن أبا الخطّاب كان قد روي وجوب صوم رجب وشعبان، فنهي الأئمة (عليهم السّلام) نهى وجوب، أو نهى انتشار عمل لكي يعرف الاستحباب، قال شيخنا الحر العاملي - قدّس الله نفسه الزكية . في الوسائل: «قال الكليني: وجاء في صوم شعبان أنّه (عليه السّلام) سئل عنه فقال: ما صامه رسول الله (صليّ الله عليه وآله وسلّم) ولا أحد من آبائي - أقول - حملة الكليني علي إرادة نفي الفرض والوجوب وأنهم ما صاموه علي ذلك الوجه بل علي الاستحباب (قال) وذلك أنّ قوم قالوا: إنّ صومه فرض مثل صوم شهر رمضان وأن من أفطر يوماً من شعبان وجبت عليه الكفارة». وسائل الشيعة، ج 7، ص 361 - 362).

وسأل: (عن الرجل يلحق الإمام وهو راكع فيركع معه ويحتسب تلك الركعة، فإن بعض أصحابنا قال: إن لم يسمع تكبيرة الركوع فليس له أن يعتد بتلك الركعة؟)»

فأجاب: «إذا لحق مع الإمام من تسييح الركوع تسييحة واحدة اعتد بتلك الركعة وإن لم يسمع تكبيرة الركوع»(1).

وسأل: «عن رجل صَلَّى الظُّهر ودخل في صلاة العصر فلما أن صَلَّى من صلاة العصر ركعتين استيقن أنه صَلَّى الظهر ركعتين، كيف يصنع؟»

فأجاب: «إن كان أحدث بين الصلاتين حادثة يقطع بها الصلاة أعاد الصلاتين وإن لم يكن أحدث حادثة جعل الركعتين الآخرتين تتمّة لصلاة الظُّهر، وصَلَّى العصر بعد ذلك»(2).

وسأل: «عن أهل الجنة يتوالدون إذا دخلوها أم لا؟»

فأجاب: «إن الجنة لا حمل فيها للنساء ولا ولادة، ولا طمث ولا نفاس ولا شقاء بالطفولية، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين(3)، كما قال سبحانه: فإذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله بغير حمل ولا ولادة علي الصورة التي يريد كما خلق آدم عبداً»..

وسأل: «عن رجل تزوج امرأة بشيء معلوم إلي وقت معلوم، وبقي له عليها وقت، فجعلها في حلّ ممّا بقي له عليها وقد كانت طمّثت قبل أن يجعلها في حلّ من أيامها بثلاثة أيام، أيجوز أن يتزوجها رجل معلوم إلي وقت معلوم عند طهرها من هذه»

ص: 175

1- الفتوي علي أن من أدرك الإمام في حالة الركوع اعتد بتلك الركعة وإن لم يدرك تسييحة ولا تكبير الركوع، استناداً إلي أحاديث صحيحة قد عمل بها فيحمل مثل هذا التوقيع علي ضرور من الفضيلة أو غيرها إذ لم ينقل القول به عن أحد من الفقهاء قديماً وحديثاً سوي الشيخ في نهاية الأحكام والعلامة في التذكرة مع موافقتهما للمشهور في سائر كتبهما، بل عبارة التذكرة غير ظاهرة في مخالفة المشهور، فلا يبعد تحقق الاجماع عليه.

2- بعض الفتاوي لا يعتمد هذا النص بوجود نصوص معارضة. وعلي العموم هذا الحديث معرض للاجتهاد كبقية الأحاديث. وعملية الاستنباط تتوقف علي جميع النصوص الواردة في القضية المطروحة للاجتهاد، والنظر فيها وفق المقاييس المأثورة التي نقحت في علم (أصول الفقه).

3- الزخرف /71.

الحیضة أو یستقبل بها حیضة أخرى؟»

فأجاب: «یستقبل حیضة غیر تلك الحیضة، لأن أقل تلك العدة حیضة وطهرة تامة».

وسأل: «عن الأبرص والمجدوم وصاحب الفالج، هل یجوز شهادتهم، فقد روي لنا: أنهم لا یؤمنون الأصحاء»

فقال: «إن كان ما بهم حادثاً جازت شهادتهم، وإن كان ولادة لم تجز» (1).

وسأل: «هل یجوز للرجل أن یتزوج ابنة امرأته؟»

فأجاب: «إن كانت ربیت فی حجره فلا یجوز، وإن لم تكن ربیت فی حجره وكانت أمها من غیر عیاله (2) روي: أنه جائز».

وسأل: «هل یجوز أن یتزوج بنت ابنة امرأة ثم یتزوج جدتها بعد ذلك أم لا؟»

فأجاب: «قد نهی عن ذلك».

وسأل: «عن رجل ادعی علی رجل ألف درهم وأقام به البیئة العادلة، وادعی علیه أيضاً خمسمائة درهم فی صك آخر، وله بذلك بیئة عادلة، وادعی علیه أيضاً ثلاثمائة درهم فی صك آخر، ومائتي درهم فی صك آخر، وله بذلك بیئة كلة بیئة عادلة ویزعم المدعی علیه أن هذه الصكوك كلها قد دخلت فی الصك الذي بألف درهم،

ص: 176

1- هذه الرواية فقهياً غیر معمول بها، لمعارضتها للعمومات الدالة علی قبول شهادة غیر الفاسق مطلقاً، التي قد عمل بها قديماً وحديثاً، وعدم اعتبار سند هذه الرواية لإثبات الحكم الشرعي، وعدم عمل الفقهاء بها حتى یجبر السند بالعمل، وعدم شاهد آخر له سوي مرسل الدعائم عن أبي جعفر (عليه السلام) الذي رواه من مستدرک الوسائل بالنسبة للأبرص فقط من هذه الثلاثة، ومطلقاً لا مقيداً بالولادة (اذن) فیجب رد علم هذه الرواية إلي أهلها - صلوات الله علیهم أجمعين - والله أعلم.

2- أي عقد علیها ولم یدخل بها ما لم یدخل بها لا تجب علیه نفقها ولا تكون من عیاله مع امتناعها فی الدخول بها لأنها حیثئذ بحکم الناشزة، إذ النفقة والإعالة فی مقابلة التمكين، فان لم یکن من طرفها تمكين فلا تجب الإعالة من طرفه وحیثئذ لا تكون ابنتها ربیته، لقوله تعالی: «وربائبکم اللاتي فی حجورکم، من نساتکم اللاتي دخلتم بهنّ، فإن لم تكونوا دخلتم بهنّ فلا جناح علیکم...» (النساء/23).

والمُدَّعي منكر أن يكون كما زعم، فهل يجب الألف درهم مرّة واحدة أو يجب عليه كلّما يقيم البيّنة به؟ وليس في الصكّك استثناء إنّما هي صكّك علي وجهها(1)». «

فأجاب: «يؤخذ من المدّعي عليه ألف درهم مرّة وهي التي لا شبهة فيها، ويرد اليمين في الألف الباقي علي المدعي فان نكل فلا حقّ له».

وسأل عن طين القبر (2): «يوضع مع الميّت في قبره هل يجوز ذلك أم لا؟»

فأجاب: «يوضع مع الميّت في قبره، ويخلط بحنوطه إن شاء الله».

وسأل: «فقال: روي لنا عن الصادق (عليه السّلام): أنّه كتب علي إزار ابنه: إسماعيل يشهد أن لا إله إلاّ الله، فهل يجوز أن نكتب مثل ذلك بطين القبر أم غيره؟»

فأجاب: «يجوز ذلك».

وسأل: «هل يجوز أن يسبّح الرجل بطين القبر، وهل فيه فضل؟» فأجاب: «يجوز ذلك وفيه فضل» (3).

وسأل: «عن الرجل يزور قبور الأئمّة (عليهم السّلام)، هل يجوز أن يسجد علي القبر أم لا؟ وهل يجوز لمن صلّي عند بعض قبورهم (عليهم السّلام) أن يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبلة،

ص: 177

1- هذا إذا كانت الشهادات والصكوك بحيث يحتمل أن يكون الألف مجموع الديون أمّا إذا كانت الشهادات والصكوك بحيث تدلّ علي أنّ الفريق الأوّل دفع إلي الفريق الثاني مرّة ألف و مرّة خمسمائة وثلاثة ثلاثمائة ورابعة مائتين فعلي الفريق الثاني ألفان ولا تردّ اليمين علي الفريق الأوّل.

2- المراد من طين القبر كلما ورد مطلقاً في الأحاديث هو طين قبر الإمام الحسين (عليه السّلام).

3- وقد ورد في عديد الأحاديث ذلك (منها) ما ورد في كتاب آخر للحميري (رحمه الله) إلي صاحب الأمر (عليه السّلام) (وسئل هل يجوز أن يسبح الرجل بطين القبر وهل فيه فضل؟ فأجاب (عليه السّلام): يسبح به فما من شيء من التسبيح أفضل منه ومن فضله أن الرجل ينسي التسبيح ويريد السبحة نيكتب له التسبيح. وعن الصادق (عليه السّلام) قال: من سبح بسبحة من طين قبر الحسين (عليه السّلام) تسبيحة كتب الله له أربعمأة حسنة ومحا عنه أربعمأة سيئة وقضيت له أربعمأة حاجة ورفع له أربعمأة درجة (الحديثان من كتاب: جامع / أحاديث الشيعة، ج 2، ص 332).

أو يقوم عند رأسه أو رجله؟. وهل يجوز أن يتقدم القبر ويصلي ويجعل القبر خلفه أم لا؟»

فأجاب: «أمّا السجود علي القبر، فلا يجوز في نافلة ولا فريضة ولا زيارة(1) والذي عليه العمل أن يضع خده الأيمن علي القبر. وأمّا الصلاة فإنّها خلفه، ويجعل القبر أمامه ولا يجوز أن يصلي بين يديه ولا عن يمينه ولا عن يساره، لأنّ الإمام (عليه السلام) يتقدم ولا يساوي»(2).

وسأل: «يجوز للرجل إذا صلي الفريضة أو النافلة وبيده السبحة أن يديرها وهو في الصلاة؟»

فأجاب: «يجوز ذلك إذا خاف السهو والغلط».

وسأل: «هل يجوز أن يدير السبحة بيده اليسار إذا سبح، أو لا يجوز؟»

فأجاب: «يجوز ذلك والحمد لله ربّ العالمين»..

وسأل: «روي عن الفقيه في بيع الوقف خبر مأثور: إذا كان الوقف علي قوم بأعيانهم وأعقابهم، فاجتمع أهل الوقف علي بيعه وكان ذلك أصلح لهم أن يبيعه، فهل يجوز أن يشتري من بعضهم إن لم يجتمعوا كلّهم علي ذلك أم لا يجوز إلا أن يجتمعوا كلّهم علي ذلك؟ وعن الوقف الذي لا يجوز بيعه؟»

فأجاب: «إذا كان الوقف علي إمام المسلمين فلا يجوز بيعه، وإن كان علي قوم من

ص: 178

1- أي ولا صلاة زيارة، وهذه الصلاة من النوافل الخاصة التي تستحب بعد زيارات المعصومين - حسب الترتيب المأثور - وليست من النوافل العامة.

2- ثبت في السنّة: أنّ الإمام لا يتقدم ولا يساوي. وهذا الحكم عام يشمل إمام الجماعة مطلقاً سواء أكان معصوماً أو غير معصوم، فلا تجوز الصلاة معه الخطوط التي بينه وبين الكعبة أو في الخط المساوي له، وإنّما في الخطوط التي خلفه فقط. و ثبت - أيضاً - عندنا حسب الاستدلال الفقهي عدم جواز الصلاة في حضرة المعصوم مساوياً له أو مقدّماً عليه، سواء كان حيّاً أو ميتاً، لأنّ المعصومين جميعاً أحياء عند ربّهم.

المسلمين فليبع كل قوم ما يقدرون علي بيعه مجتمعين و متفرقين إن شاء الله»(1).

وسأل: «هل يجوز للمحرم أن يصير علي إبطه المرتك والتوتياء لريح العرق أم لا يجوز؟»(2)

فأجاب: «يجوز ذلك وبالله التوفيق».

وسأل: «عن الضرير إذا شهد في حال صحته علي شهادة، ثم كف بصره ولا يري خطه فيعرفه، هل يجوز شهادته أم لا؟ وإن ذكر هذا الضرير الشهادة، هل يجوز أن يشهد علي شهادته أم لا يجوز؟»

فأجاب: «إذا حفظ الشهادة و حفظ الوقت، جازت شهادته»(3).

وسأل: «عن الرجل يوقف ضيعة أو دابة ويشهد علي نفسه باسم بعض وكلاء الوقف، ثم يموت هذا الوكيل أو يتغير أمره ويتولي غيره، هل يجوز أن يشهد الشاهد

ص: 179

1- هذا إذا كان الوقف نوعاً من الهبة، بحيث لا يكون حسب العين الموقوفة مأخوذاً في مضمونه، وإلا فلا يجوز إلا في صور خاصة مستثناة في الفقهاء الإسلامي، وذلك من أجل أدلة مؤكدة عليه.

2- المرتك، نوع من الحشيش خفيف الرائحة، والتوتيا حجر يكتحل به، ولا يعتبر من الطيوب فلا يستعمل في الاكتحال حالة الإحرام لحرمة مهما كانت المادة التي تستعمل فيه، ولا مانع من طلي الأبط به لقطع رائحة العرق.

3- للسؤال جزآن: الأول: إذا وقع عقد بيع أو وقف أو غيرهما، وكتبت به وثيقة وحضر شاهدان و شحاً وثيقة العقد بشهادتهما ثم كف بصر أحدهما، فهل تمضي شهادته الكتبية قائمة إلا ما دام صاحبها قادراً علي قراءة خطه لتقريره أو إنكاره، والحاصل هل الخط حجة إذا انفصل عن كاتبه أم لا؟ الثاني: إذا شهد إنسان حادثاً أو عقداً، ثم كف بصره فهل يبقى حاملاً للشهادة أو تعطل قابليته لحمل الشهادة؟ والجواب ناظر إلي الجزء الثاني من السؤال، حيث يركز فقط علي قابلية الضرير للشهادة مادامت تتوفر فيه شرائطها من حفظ الشهادة وحفظ الوقت، والعدالة والإيمان وما إلي ذلك. وقد خصّ الشرطين الأولين بالذكر لأن الإصابة بالعمي لا تفقد المرء إيمانه وعدالته - غالباً. ولكن قد تسلب منه بعض محفوظاته.

لهذا الذي أقيم مقامه إذا كان أصل الوقف لرجل واحد أم لا يجوز ذلك(1)؟»

فأجاب: «لا يجوز ذلك، لأن الشهادة لم تقم للوكيل وإنما قامت للمالك، وقد قال الله: «وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ».

وسأل: «عن الركعتين الأخراوين وقد كثرت فيهما الروايات فبعض يروي: أن قراءة الحمد وحدها أفضل، وبعض يروي: أن التسبيح فيهما أفضل، فالفضل لأيهما لنستعمله؟»

فأجاب: «قد نسخت قراءة أم الكتاب في هاتين الركعتين للتسبيح، والذي نسخ التسبيح قول العالم (عليه السلام): كل صلاة لا قراءة فيها فهي خداج(2) إلا للعليل، أو يكثر عليه السهو فيتخوف بطلان الصلاة عليه(3)»

وسأل: «يتخذ عندنا ربّ الجوز لوجع الحلق والبجحة، يؤخذ الجوز الرطب من قبل أن ينعقد ويدقّ دقاً ناعماً ويعصر ماؤه ويصفي ويطحخ علي النصف ويترك يوماً وليلة ثم ينصب علي النار، ويلقي علي كل ستة أرتال منه رطل عسل ويغلي وبنزع

ص: 180

1- بأن كان الوقف علي شخص الوكيل الأول، لا علي أمر عام يمثله الوكيل الأول حتّي إذا أصيب تولاه من يخلفه لبقاء ذلك الأمر العام ممثلاً في خليفته.

2- الخداج: النقصان، يقال: خدجت الناقة، فهي خداج إذا ألت ولدها قبل تمام الأيام. وإن كان تام الخلق. ووصفت الصلاة التي لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب بالمصدر للمبالغة. وهذا الحديث يدلّ علي نقصان الصلاة بدون فاتحة الكتاب مع أنها تقرأ في الأولين فلا يفتي نقص وإن لم يقرأها في الآخرين، ولعل الاستشهاد به للقراءة في الأخيرتين دون التسبيح لما يشعر به من أهمية أم الكتاب في الصلاة ومع هذا فالمشهور بين الفقهاء أفضلية التسبيح فيهما لأدلة أخرى معارضة لهذا الخبر واقوائية تلك من وجوه عديدة.

3- استحباب التسبيح في مادّتين: - الأولى: العليل، الذي يشق عليه الوقوف طويلاً لقراءة الفاتحة فيكتفي بالتسبيح. الثانية: كثير السهر الذي إن قرأ الفاتحة في الآخرين أستشيهما بالأولين. فيسبح التسيحات الأربعة حتّي يتذكر أنّه في الآخرين.

رغوته، و يسحق من النوشادر والشب اليماني في كل واحد نصف مثقال و يراق بذلك الماء، ويلقي فيه درهم زعفران المسحوق، ويغلي ويؤخذ رغوته و يطبخ حتّى يصير مثل العسل ثخيناً، ثمّ ينزل و يبرد ويشرب منه، فهل يجوز شربه أم لا؟»

فأجاب: «إذا كثيره يسكر أو يغيّر (1) فقليله وكثيره حرام، وإن كان لا يسكر فهو حلال».

وسأل: «عن الرجل يعرض له الحاجة مما لا يدري أن يفعلها أم لا، فيأخذ خاتمين فيكتب في أحدهما (نعم افعل) وفي الآخر (لا تفعل) فيستخير بالله مراراً، ثمّ يري فيهما، فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج، فهل يجوز ذلك أم لا؟ والعامل به والتارك له أهو مثل الاستخارة أم سوي ذلك؟»

فأجاب: «الذي سنّه العالم (عليه السّلام) في هذه الاستخارة بالرقاع والصلاة» (2).

وسأل: «عن صلاة جعفر بن أبي طالب (رحمه الله): في أيّ أوقاتها أفضل أن تصلّي فيه، وهل فيها قنوت؟ وإن كان ففي أيّ ركعة منها؟»

فأجاب: «أفضل أوقاتها صدر النهار في يوم الجمعة، ثمّ في أيّ الأيام شئت وأيّ وقت صلّيتها من ليل أو نهار فهو جائز، والقنوت فيها مرّتان، في الثانية قبل الركوع وفي الرابعة بعد الركوع» (3).

وسأل: «عن الرجل ينوي إخراج شيء من ماله وأن يدفعه إلي رجل من إخوانه ثمّ يجد في أقربائه محتاجاً، يصرف ذلك عمّن [فيمن] نواه له أو إلي قرابته؟»

فأجاب: «يصرفه إلي أدناهما وأقربهما من مذهبه، فإن ذهب إلي قول العالم (عليه السّلام):

ص: 181

1- أي يسكر سكرًا خفيفاً، ويدلّ علي أنّ المقصود من (يغير) السكر الخفيف قوله: (وان كان لا يسكر).

2- والحاصل أنّه ليس حراماً إن لم يكن بنيّة التشريع، ولكنّه ليس من الاستخارة، وأما الاستخارة فهي (ذات الرقاع) وإنّما يدلّ علي أنّها الاستخارة التي بيّنها (العالم) وهو الإمام موسى بن جعفر (عليه السّلام).

3- مسألة كون القنوت الثاني بعد ركوع الرابعة لم يرد في غير هذا الخبر، وهو مناف للعمومات الدالّة علي أنّ القنوت قبل الركوع إلّا في صلاة الجمعة.

(لا يقبل الله الصدقة وذو الرحم محتاج) فليقسّم بين القرابة وبين الذي نوي حتّى يكون قد أخذ بالفضل كلّهُ.

وسأل: «قد اختلفت أصحابنا في مهر المرأة، فقال بعضهم: إذا دخل بها سقط المهر ولا شيء لها، وقال بعضهم: هو لازم في الدنيا والآخرة، فكيف ذلك؟ وما الذي يجب فيه؟»

فأجاب: «إن كان عليه بالمهر كتاب فيه (ذكر) دين فهو لازم في الدنيا والآخرة وإن كان عليه كتاب فيه ذكر الصداق سقط إذا دخل بها، وإن لم يكن عليه كتاب، فإذا دخل بها سقط باقي الصداق»(1).

وسأل: «روي لنا عن صاحب العسكر (عليه السلام)(2) أنه سئل عن الصلاة في الخبز الذي يغش بوبر الأرناب. فوقع: يجوز، وروي عنه أيضاً، أنه لا يجوز. فأَيّ الخبرين يعمل به؟»

ص: 182

1- لعلّ المصطلح حين صدور هذا التوقيع يختلف عن المصطلح اليوم، فالقرآن لم يصطلح علي كلمة (المهر) وإنّما ذكر (الصداق) بصيغة الجمع مرّة واحدة فقط «وأتوا النساء صدقاتهنّ نحلة.» (النساء / 4). ولعلّ المقصود أنّ ما تبني عليه عقدة النكاح - من أموال نقدية أو عينية، التي تدرج عادة في وثيقة الزواج - فهو دين لازم في الدنيا والآخرة، وأمّا الهدايا والنقود التي تقدّم إلي الخطيبة في فترة الخطوبة أو تعارف الأزواج علي القيام بها من ولائم وعزائم وما إليها، سواء كتب فيها كتاب أو لم يكتب بها كتاب، فهي تختص بفترة الخطوبة، وينتهي دورها بالدخول. ولعلّ اشتقاق الكلمتين اللتين استخدمهما الإمام في التوقيع - يساعد علي فهم الحكم، و(المهر) ما يمهر عليه أي يختم عليه في وثيقة، فيكون ديناً لازماً. و(الصداق) ما يعبر عن صدق الرجل في محبة خطيبته. فيكون نافلة لها دورها الموقت إذا لم يشترط وكان تبرعاً.

2- المتوكل العباسي من الخلفاء العباسيين، عاصر الإمام علي الهادي، فاستدعاه ونجلاه الإمام الحسن العسكري(عليهما السلام) من مدينة جدهما الرسول إلي مدينة سامراء وفرض عليهم الإقامة الجبرية في المنطقة العسكرية حتّى تنقطع عنهما الشيعة، فلُقّبَا ب(العسكريين) وقد اشتهر الإمام علي بن محمّد بالهادي واشتهر نجلاه الحسن العسكري و(صاحب العسكر) يرمز إلي كل منهما دون تعيين

فأجاب: «إنما حرم في هذه الأوبار و الجلود، وأمّا الأوبار و حدها فحلال»(1).

وسأل: «نجد في إصفهان ثياب عتابه (عتابية) علي عمل الوشا في قرّ أو إبريسيم هل يجوز الصلاة فيها أم لا؟»

فأجاب: «لا يجوز الصلاة إلا في ثوب سداه و لحمته قطن أو كتان»

وسأل: «عن المسح علي الرجلين و بأيّهما يبدأ باليمني أو يمسخ عليهما جميعاً معاً؟»

فأجاب(عليه السلام): «يمسح عليهما معاً فإن بدأ بإحدهما قبل الأخرى فلا يبتدىء إلا باليمني».

وسأل: «عن صلاة جعفر في السفر هل يجوز أم لا؟»

فأجاب: «يجوز ذلك»..

وسأل: «عن تسبيح فاطمة (عليها السلام): من سها و جاز التكبير أكثر من أربع و ثلاثين هل يرجع إلي أربع و ثلاثين أو يستأنف؟ وإذا سبح

تمام سبع وستين هل يرجع إلي ستة وستين أو يستأنف؟ وما الذي يجب في ذلك؟»

فأجاب: «إذا سها من التكبير حتّي يجوز أربعة و ثلاثين عاد إلي ثلاثة و ثلاثين

ص: 183

1- مسألة لحم الأرنب من المسائل الخلافية فالسنة يرون أنّ لحمه حلال و الشيعة علي أنّه من المسوخ و من ذوات المخلب و تحيض أنثاه و فيه أدلة خاصّة و نصوص متعدّدة بالتحريم أيضاً، فلحمه حرام، و تلحقه أحكام الحيوانات المحرّمة. ولعلّ تفصيل الإمام في الجواب لعدم اتخاذ موقف جدي مع إعطاء الإشارة للفقهاء إلي أنّه من محرّمات اللحوم و تبني عليه أحكامها. علماً بأنّ المستحصل من مجموع روايات هذا الباب عدم التفريق بين الجلد و الوبر، فما حل لحمه تجوز الصلاة فيهما و ما لا يحلّ لحمه لا تجوز الصلاة في شيء منهما. ولا يخفي (الحيوان - سواء أكان حلال اللحم أو حرامه - إذا ذبح بالطريقة الشرعية طهر جلده و إلا كان من الميتة، و بما أنّ الناس لا يعنون بذبح الحيوانات المحرّمة اللحوم - غالباً. يكون جلدها نجساً فإذا اتّخذ منه كساءً نجس الثوب الذي يليه إذ لا تخلو ملابس الإنسان من رطوبة مسرية من عرقه أو من المياه التي يستعملها.

وبني عليها، وإذا سها في التسبيح فتجاوز سبعا وستين تسبيحة عاد إلي ستة وستين وبني عليها(1).

مسائل الأسيدي

« أما ما سألت عنه من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، فلئن كان كما يقول الناس: «إنَّ الشمس تطلع بين قرني شيطان و تغرب بين قرني شيطان» فما أرغم أنف الشيطان شيء أفضل من الصلاة، فصلَّها وأرغم الشيطان أنفه.

أما ما سألت عنه من أمر الوقف علي ناحيتنا، و ما يجعل لنا ثمَّ يحتاج إليه صاحبه فكل ما لم يسلم فصاحبه فيه بالخيار، وكل ما سلم فلا خيار لصاحبه فيه احتاج أو لم يحتج، افتقر إليه أو استغني عنه.

وأما ما سألت عنه من أمر من يستحل ما في يده من أموالنا ويتصرّف فيه تصرفه في ماله من غير أمرنا، فمن فعل ذلك فهو ملعون، ونحن خصماؤه يوم القيامة.

وقد قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): «المستحلّ من عترتي ما حرّم الله ملعون علي لساني ولسان كلّ نبي مجاب» فمن ظلمنا حقنا كان في جملة الظالمين لنا، وكانت لعنة الله عليه لقوله عزّوجلّ: (ألا لعنة الله علي الظالمين).

وأما ما سألت عنه عن أمر المولود الذي نبتت غلفته بعدما يختن مرّة أخرى، فإنّه يجب أن يقطع غلفته فإنّ الأرض تضجّ إلي الله تعالي من بول الأغلف أربعين صباحاً.

ص: 184

1- تسبيحة الزهراء: أربعة وثلاثون تكبيرة، و ثلاثة وثلاثون تحميدة، وثلاثة وثلاثون تهليلة. فإذا تجاوز الأربعة والثلاثين تكبيرة - سهواً - اعتبرها ثلاثة وثلاثين (وبني عليها) نكسر الرابعة والثلاثين ليضع خاتمها بإرادته. وإذا حمد أكثر من ثلاثة وثلاثين فكان مجموع التكبيرات والتحميدات أكثر من سبعة وستين عاد إلي ستة وستين أي اعتبر التحميدات اثنتين وثلاثين (وبني عليها) بأن حمد الثالثة والثلاثين ليضع خاتمها بإرادته. كلّ هذا لم يتجاوز التحميد مائة فإذا تجاوزها فقد تجاوز السهو حدّ التدارك ولا تحسب له تسبيحة الزهراء، ولكن لا شيء عليه لأن أصلها مستحب.

وأما ما سألت عنه من أمر المصلّي والنار والصورة والسراج بين يديه هل يجوز صلاته فإنّ الناس قد اختلفوا في ذلك قبلك؟ فإنّه جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الأصنام والنيران: أن يصلّي والنار والصورة والسراج بين يديه، ولا يجوز ذلك لمن كان من أولاد عبدة الأوثان والنيران.

وأما ما سألت عنه من أمر الضياع التي لناحيتنا، هل يجوز القيام بعمارتها وأداء الخارج منها، وصرف ما يفضل من دخلها إلي الناحية احتساباً للأجر وتقرباً إليكم، فلا يحلّ لأحد أن يتصرّف في مال غيره بغير إذنه؛ فكيف يحلّ ذلك في مالنا؟ من فعل ذلك بغير أمرنا فقد استحلّ ممّا حرّم عليه، ومن أكل من أموالنا شيئاً فإنّما يأكل في بطنه ناراً وسيصلي سعيراً، وأما ما سألت عنه من أمر الرجل الذي يجعل لناحيتنا ضيعة، ويسلمها من قيم يقوم بها ويعمرها، ويؤدّي من دخلها خراجها ومؤنتها ويجعل ما بقي من الدخل لناحيتنا، فإنّ ذلك جائز لمن جعله صاحب الضيعة قيماً عليها، إنّما لا يجوز ذلك لغيره.

وأما ما سألت عنه من الثمار من أموالنا يمرّ به المار فيتناول منه ويأكل هل يحلّ ذلك؟ فإنّه يحلّ له أكله ويحرم عليه حملة «(1)».

ص: 185

نظرة إلى التراث الفقهي كان عصر الغيبة الصغرى يشكّل تمهيداً لاستقلال فقهاء مدرسة أهل البيت: واعتمادهم على الاجتهاد الذي حدّدت لهم الشريعة معالمه الأساسية وطبّقه أهل البيت ورسموا لهم معالمه.

ومن هنا نلاحظ في هذا التراث الفقهي الذي ورد عن الإمام المهدي (عليه السلام) أنّه يحكي عن غزارة المادّة الفقهية لدى الفقهاء ومن هنا يسترشد الفقهاء بالإمام (عليه السلام) لحلّ موارد التعارض والاختلاف إتماماً لمراحل العمل الاجتهادي في مجال استنباط الأحكام الشرعية.

الأسئلة

1. ما هي أهمّ المحاور التي تدور حول أسئلة الحميري؟
2. ما هي أهمّ المحاور التي تدور حول أسئلة الأسدي؟
3. ماذا نستفيد من مسائل الحميري وأجوبة الإمام عليها؟
4. بماذا تميّز أجوبة الإمام (عليه السلام) على الأسئلة الفقهية التي وردت عليه؟

1. دعاء التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاية أمرك المأمونون علي سرّك المستبشرون بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك، أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنّهم عبادك وخلقتك فتقها ورتقها بيدك بدوها منك وعودها إليك أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد، فيهم ملأت سمائك وأرضك حتي ظهر أن لا إله إلا أنت فبذلك أسألك وبمواقع العزّ من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك أن تصلّي علي محمّد وآله وأن تزيدني إيماناً وثباتاً، يا باطناً في ظهوره وظاهراً في بطونه و مكنونه يا مفرّقاً بين النور والديجور يا موصوفاً بغير كُنه و معروفاً بغير شبه حادّ كلّ محدود وشاهد كلّ مشهود، و موجد كلّ موجود و محصي كلّ معدود و فاقد كلّ مفقود، ليس دونك من معبود أهل الكبرياء

والجود يا من لا- يكتف بكيف ولا- يؤين بأين يا محتجباً عن كل عين يا ديموم يا قيوم وعالم معلوم صلّ علي محمد وآله وعلي عبادك المنتجبين وبشرك المحتجبين و ملائكتك المقربين والبهم الصّافين الحاقين وبارك لنا في شهرنا هذا المرجّب المكرّم وما بعده من الأشهر الحرم وأسبغ علينا فيه النعم وأجزل لنا فيه القسّم و أبرر لنا فيه القسّم باسمك الأعظم الأجلّ الأكرم الذي وضعته علي النهار فأضاء وعلي الليل فأظلم، واغفر لنا ما تعلم ممّا ومثلاً لا نعلم، واعصمنا من الذنوب خير العصم واكفنا كوافي قدرك وامن علينا بحسن نظرك ولا تكلنا إلي غيرك، ولا- تمنعنا من خيرك وبارك لنا فيما كتبه لنا من أعمارنا وأصلح لنا خبيئة أسرارنا وأعطنا منك الأمان واستعملنا بحسن الإيمان، وبلغنا شهر الصيام وما بعده من الأيّام والأعوام إذا الجلال والإكرام(1).

2. دعاء القضاء الحوائج

«اللَّهُمَّ إِنِّ أَطَعْتُكَ فَالْمُحَمَّدُ لَكَ، وَإِنِّ عَصَيْتُكَ فَالْحُجَّةُ لَكَ، مِنْكَ الرُّوحُ وَمِنْكَ الْفَرْجُ، سُبْحَانَ مَنْ أَنْعَمَ وَشَكَرَ، سُبْحَانَ مَنْ قَدَّرَ وَغَفَرَ .

اللَّهُمَّ إِنِّ كُنْتُ عَصَيْتُكَ فَإِنِّي قَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِكَ، لَمْ أَتَّخِذْ لَكَ وَلِداً وَلَمْ أَدْعُ لَكَ شَرِيكاً مَثَّ مِنْكَ بِهِ عَلَيَّ لَأَمْتاً مِنِّي بِهِ عَلَيَّ، وَقَدْ عَصَيْتُكَ يَا إِلَهِي عَلَيَّ غَيْرِ وَجْهِ الْمُكَابَرَةِ، وَلَا الْخُرُوجِ عَنْ عُبُودِيَّتِكَ، وَلَا الْجُحُودِ لِرُبُوبِيَّتِكَ، وَلَكِنْ أَطَعْتُ هَوَايَ وَأَزَلَّنِي الشَّيْطَانُ، فَدَاكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَالْبَيَانُ فَإِنِّ تَعَدُّبُنِي فَبِذُنُوبِي غَيْرِ ظَالِمٍ لِي، وَإِنِّ تَغْفِرُ لِي وَتَرْحَمُنِي فَإِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ . يا كريم يا كريم (حتي ينقطع النفس) ثم تقول: يا أماناً من كلِّ شَيْءٍ وَكُلِّ شَيْءٍ مِنْكَ خَائِفٌ حَذِرٌ أَسْأَلُكَ بِأَمْنِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَخَوْفٌ كُلِّ شَيْءٍ مِنْكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ،

ص: 188

1- الشيخ عبّاس القمي، مفاتيح الجنان، ص 130.

وَأَنْ تُعْطِيَنِي أَمَانًا لِنَفْسِي وَأَهْلِي وَوَلَدِي وَسَائِرِ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ حَتَّى لَا أَخَافَ وَلَا أَحْذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَبَدًا إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، يَا كَافِيَّ إِبْرَاهِيمَ نُمُودًا، وَيَا كَافِيَّ مُوسَى فِرْعَوْنَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَكْفِينِي شَرَّ فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ (1).

اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم انتقم لي من أعدائي.»

3. من دعائه (عليه السلام) للمؤمنين عامة

إِلَهِي بِحَقِّ مَنْ نَجَاكَ، وَبِحَقِّ مَنْ دَعَاكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ فَقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْغِنَاءِ وَالثَّرْوَةِ، وَعَلَيَّ مَرْضِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالشِّفَاءِ وَالصَّحَّةِ، وَعَلَيَّ أَحْيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِاللُّطْفِ وَالْكَرَمِ، وَعَلَيَّ أَمْوَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلَيَّ غُرَبَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالرَّدِّ إِلَى أَوْطَانِهِمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ (2).

4. من دعائه (عليه السلام) في قنوته

«... و أسألك باسمك الذي خلقت به خلقك ورزقتهم كيف شئت وكيف شاؤوا، يا من لا تغيره الأيام والليالي أدعوك بما دعاك به نوح حين ناداك فأنجيتته ومن معه و أهلكت قومه، وأدعوك بما دعاك إبراهيم خليلك حين ناداك فأنجيتته وجعلت النار عليه برداً وسلاماً، وأدعوك بما دعاك به موسى كليتك حين ناداك فلقته له البحر فأنجيتته و بني إسرائيل، وأغرقت فرعون وقومه في اليم، وأدعوك بما دعاك به عيسى روحك حين ناداك، فنجيتته من أعدائه وإليك رفعتُهُ، وأدعوك بما دعاك حبيبك وصفيك»

ص: 189

1- علي بن موسى بن محمد الطاووس، مهج الدعوات، ص 294 - 295.

2- مهج الدعوات، ص 295.

و نبيك محمد صلى الله عليه وآله، فاستجبت له و من الأحزاب نجيت، و علي أعدائك نصرته، و سألك باسمك الذي إذا دعيت به أجبت، يا من له الخلق والأمر، يا من أحاط بكل شيء علماً، يا من أحصي كل شيء عدداً، يا من لا تغيّرهُ الأيام والليالي، ولا تشابههُ عليه الأصوات، ولا تخفي عليه اللغات، ولا يبرمه إلحاح الملحّين.

أسألك أن تُصلي علي محمد و آل محمد خيرتك من خلقك، فصلّ عليهم بأفضل صلواتك، وصلّ علي جميع النبيين والمرسلين الذين بلغوا عنك الهدى، وأعدوا لك الموائيق بالطاعة، وصلّ علي عبادك الصالحين، يا من لا يخلف الميعاد أنجز لي ما وعدتني، واجمع لي أصحابي، و صبرهم، وانصرتني علي أعدائك و أعداء رسولك، ولا تخيب دعوتي، فإني عبدك وابن عبدك و ابن أمتك، أسير بين يديك، سيدي أنت الذي مننت علي بهذا المقام، و تقصّمت به عليّ دون كثير من خلقك، أسألك أن تُصلي علي محمد و آل محمد، وأن تُنجز لي ما وعدتني، إنك الصادق، ولا تخلف الميعاد، وأنت علي كل شيء قدير»(1).

5. حجابہ (عليه السلام)

قال الإمام (عج): «اللَّهُمَّ احْجُبْنِي عَنْ عِيُونِ أَعْدَائِي وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَوْلِيَائِي وَانْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي وَاحْفَظْنِي فِي غَيْبِي إِلَيَّ أَنْ تَأْذَنَ لِي فِي ظُهُورِي وَ أَحْيِي بِي مَا دَرَسَ مِنْ فُرُوضِكَ وَ سَدِّ نَبِيكَ وَ عَجَّلْ فَرَجِي وَ سَهِّلْ مَخْرَجِي - وَ اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا وَ افْتَحْ لِي فَتْحًا مُبِينًا وَ اهْدِنِي صِدْرًا طَاطًا مُسَدِّ تَقِيمًا وَ قِنِي جَمِيعَ مَا أَحَازَرُهُ مِنَ الظَّالِمِينَ وَ احْجُبْنِي عَنْ أَعْيُنِ البَاغِضِينَ النَّاصِبِينَ العَدَاوَةَ لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ وَ لَا يَصِلُ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ فَإِذَا أَذْنَتْ فِي ظُهُورِي فَأَيِّدْنِي بِجُنُودِكَ وَ اجْعَلْ مَنْ يَتَّبِعُنِي لِنُصْرَةِ دِينِكَ مُؤَيِّدِينَ وَ فِي سَبِيلِكَ مُجَاهِدِينَ وَ عَلَيَّ مَنْ أَرَادَنِي وَ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ مَنصُورِينَ،

ص: 190

وَوَقَّفَنِي لِإِقَامَةِ حُدُودِكَ وَانصُرْنِي عَلَيَّ مَنْ تَعَدَّى مَحْدُودَكَ وَانصُرِ الْحَقَّ وَأَزْهِقِ الْبَاطِلَ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا وَأُورِدْ عَلَيَّ مِنْ شَيْءٍ يَعْتَبِي وَ
أَنْصَارِي مَنْ تَقَرَّبَ بِهِمُ الْعَيْنُ وَيَسْتُدُّ بِهِمُ الْأُزْرُ وَاجْعَلْهُمْ فِي حِرْزِكَ وَأَمْنِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»(1).

6. ومن صلواته علي النبي (صلي الله عليه وآله وسلم) وآله

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَي مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُنتَجَبِ فِي الْمِيثَاقِ، الْمُصْطَفَى فِي الظَّلَالِ، الْمُطَهَّرِ مِنْ كُلِّ
آفَةٍ، الْبَرِيِّ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، الْمُؤَمَّلِ لِلنَّجَاةِ، الْمُرْتَجَى لِلشَّفَاعَةِ، الْمُفَوَّضِ إِلَيْهِ دِينَ اللَّهِ، اللَّهُمَّ سَدِّفْ بُنْيَانَهُ، وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ، وَأَقْلِبْ حُجَّتَهُ، وَأَزْفَعْ
دَرَجَتَهُ، وَأَضِيئْ نُورَهُ، وَبَيِّضْ وَجْهَهُ، وَأَعْطِهِ الْفَضْلَ وَالْفَضِيلَةَ، وَالْمَنْزِلَةَ وَالْوَسِيلَةَ، وَالذَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ، وَأَبْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوْلُونَ
وَالْآخِرُونَ، وَصَلِّ عَلَي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَسَيِّدِ الْوَصِيَّةِ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَي الْحَسَنِ
بِنِ عَلِيٍّ، إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَي الْحُسَيْنِ بِنِ عَلِيٍّ، إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَي عَلِيِّ بِنِ الْحُسَيْنِ، إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَي مُحَمَّدِ بِنِ عَلِيٍّ، إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ،
وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَي جَعْفَرِ بِنِ مُحَمَّدٍ، إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَي
مُوسَى بِنِ جَعْفَرٍ، إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَي عَلِيِّ بِنِ مُوسَى، إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ،
وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَي مُحَمَّدِ بِنِ عَلِيٍّ، إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَي عَلِيِّ بِنِ مُحَمَّدٍ، إِمَامِ
الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَي الْحَسَنِ بِنِ عَلِيٍّ، إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ

ص: 191

العالمين، وصلِّ علي الخلف الهادي المهدي، إمام المؤمنين، ووارث المرسلين، وحجة رب العالمين. اللهم صلِّ علي محمد وأهل بيته، الأئمة الهادين، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، دعائم دينك، وأركان توحيدك، وتراجمة وحيك، وحججك علي خلقك، وخلفائك في أرضك، الذين اخترتهم لنفسك، واصدقهم علي عبادك، وارزقهم لدينك، وخصصهم بمعرفتك، وجللتهم بكرامتك، وعشيتهم برحمتك، ورزيتهم بنعمتك، وغديتهم بحكمتك، وألبستهم نورك، ورفعتهم في ملكوتك، وحففتهم بملائكتك، وشد رفعتهم بنبيك، صد لمواتك عليه وآله. اللهم صلِّ علي محمد وعليهم، صد لالة زاكية، نامية كثيرة، دائمة طيبة، لا يحيط بها إلا أنت، ولا يسعها إلا علمك، ولا يخصها أحد غيرك. اللهم وصلِّ علي وليك، المحيي سنتك، القائم بأمرك، الداعي إليك، الدليل عليك، حجتك علي خلقك، وخليفتك في أرضك، وشاهدك علي عبادك. اللهم أعز نصرته، ومد في عمره، ورزق الأرض بطول بقائه، اللهم اكفه بغي الحاسدين، وأعدّه من سر الكائدين، وارزق عنه إرادة الظالمين، وخلصه من أيدي الجبارين. اللهم أعطه في نفسه وذريته، وشيعته ورعيته، وخاصته وعامته، وعدوه وجميع أهل الدنيا، ما تقر به عينه، وتسر به نفسه، ويبلغه أفضل ما أمله في الدنيا والآخرة، إنك علي كل شيء قدير. اللهم جدِّد به ما امتحني من دينك، وأحي به ما بدّل من كتابك، وأظهر به ما غيّر من حكمك، حتى يعود دينك به وعلي يديه غصاً جديداً، خالصاً مخلصاً، لا شك فيه ولا شبهة معه، ولا باطل عنده، ولا بدعة لديه. اللهم نور بنوره كل ظلمة، وهدد بركنه كل بدعة، واهدم بعزه كل ضلالة، وافصم به كل جبار، وأخمد بسيفه كل نار، وأهلك بعذله جور كل جائر، وأجر حكمه علي كل حكم، وأذل بسط لطانه كل سلطان. اللهم أذل كل من ناواه، وأهلك كل من عاداه، وامكرو بمن كاده، واستأصل من جحده حقه، واستهان بأمره، وسد عي في إطفاء نوره، وأراد إخماد ذكره، اللهم صلِّ علي محمد المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن الرضا، والحسين المصطفى، وجميع الأوصياء، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، ومنار الثقي، والعروة الوثقى، والحبل المتين، والصراط المستقيم، وصلِّ علي وليك وولادة عهدك، والأئمة من ولده، ومد في

أَعْمَارِهِمْ، وَزِدْ فِي آجَالِهِمْ، وَبَلِّغْهُمْ أَقْصَى أَمَلِهِمْ دِينًا وَدُنْيَاً وَآخِرَةً، إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(1).

7. الزيارة المعروفة بزيارة آل ياسين

قال محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري: خرج التوقيع من الناحية المقدسة -حرسها الله - بعد المسائل(2):

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا لِأَمْرِهِ تَعْقِلُونَ، حِكْمَةٌ بِاللُّغَةِ فَمَا تُغْنِي النُّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ السَّلَامَ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»..

«إِذَا أَرَدْتُمْ التَّوَجُّهَ بِنَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْنَا فَقُولُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

«سَلَامٌ عَلَيَّ آلِ يَسٍّ»؛ (3) السَّلَامُ عَلَيْنِكَ يَا دَاعِيَّ اللَّهِ وَرَبَّانِي آيَاتِهِ السَّلَامُ عَلَيْنِكَ يَا بَابَ اللَّهِ وَدِيَانَ دِينِهِ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ وَنَاصِرَ خَلْقِهِ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ وَدَلِيلَ إِزَادَتِهِ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ يَا تَالِيَّ كِتَابِ اللَّهِ وَتَرْجَمَانَهُ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ يَا مِيثَاقَ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ يَا وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي ضَمِنَهُ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمُنْصُوبُ، وَالْعِلْمُ الْمَصْدُوبُ وَالْعَوْثُ وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ وَعَدَاغَيْرِ مَكْدُوبٍ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ حِينَ تَقُومُ السَّلَامُ عَلَيْنِكَ حِينَ تَقْعُدُ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ حِينَ تَقْرَأُ وَتُسَبِّحُ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ حِينَ تُصَلِّي وَتَقْنُتُ السَّلَامُ عَلَيْنِكَ حِينَ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ حِينَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ حِينَ تَحْمَدُ وَتَسْتَغْفِرُ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ حِينَ تُصَبِّحُ وَتُمْسِي. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ فِي اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ أَيُّهَا الْإِمَامُ الْمَأْمُونُ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ أَيُّهَا الْمُقَدَّمُ الْمَأْمُولُ. السَّلَامُ عَلَيْنِكَ بِجَوَامِعِ

ص: 193

1- المصدر نفسه، ص 302.

2- الطبرسي، الاحتجاج، ج 2، ص 315-318.

3- الصفات /30.

السَّلَام. أَشْهَدُكَ يَا مُؤَلَّيَّ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لَا حَبِيبَ إِلَّا هُوَ وَأَهْلُهُ، وَأَشْهَدُكَ يَا مُؤَلَّيَّ أَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُجَّتَهُ، وَالْحَسَنَ حُجَّتَهُ وَالْحُسَيْنَ حُجَّتَهُ وَعَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ حُجَّتَهُ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتَهُ، وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتَهُ وَمُوسَى بْنَ جَعْفَرَ حُجَّتَهُ وَعَلِيَّ بْنَ مُوسَى حُجَّتَهُ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتَهُ وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللَّهِ أَنْتُمْ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَأَنَّ رَجَعْتَكُمْ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهَا يَوْمَ، لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّ نَاكِرًا وَنَكِيرًا حَقٌّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ النَّشْرَ حَقٌّ وَالْبَعْثَ حَقٌّ وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ وَالْمِرْصَادَ حَقٌّ، وَالْمِيزَانَ حَقٌّ وَالْحِشْرَ حَقٌّ وَالْحِسَابَ حَقٌّ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ بِهِمَا حَقٌّ يَا مُؤَلَّيَّ شَقِيَّ مَنْ خَالَفَكُمْ وَسَعِدَ مَنْ طَاعَكُمْ.

فَأَشْهَدُ عَلِيَّ مَا أَشْهَدُكَ عَلَيْهِ وَأَنَا وَلِيُّكَ لَكَ بَرِيٌّ مِنْ عَدُوِّكَ، فَالْحَقُّ مَا رَضِيْتُمُوهُ وَالْبَاطِلُ مَا اسْخَطْتُمُوهُ، وَالْمَعْرُوفُ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، وَالْمُنْكَرُ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ، فَتَنْفَسِي مُؤْمِنَةً بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِرَسُولِهِ وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِكُمْ يَا مُؤَلَّيَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ، وَنَصَرْتِي مُعَدَّةً لَكُمْ وَمَوَدَّتِي خَالِصَةً لَكُمْ آمِينَ آمِينَ.

الدعاء عقيب هذا القول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدَ نَبِيِّ رَحْمَتِكَ، وَكَلِمَةَ نُورِكَ، وَأَنْ تَمْلَأَ قَلْبِي نُورَ الْيَقِينِ، وَصَدْرِي نُورَ الْإِيْمَانِ، وَفِكْرِي نُورَ الثَّبَاتِ، وَعِزِّي نُورَ الْعِلْمِ، وَقُوَّتِي نُورَ الْعَمَلِ، وَلِسَانِي نُورَ الصِّدْقِ، وَدِينِي نُورَ الْبَصَائِرِ مِنْ عِنْدِكَ، وَبَصْرِي نُورَ الضِّيَاءِ وَسَمْعِي نُورَ وَعْيِ الْحِكْمَةِ. وَمَوَدَّتِي نُورَ الْمَوَالَاةِ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). حَتَّى أَلْقَاكَ وَقَدْ وَفَيْتَ بَعْدَكَ وَمِيثَاقَكَ. فَلْتَسْعِنِي رَحْمَتَكَ يَا وَلِيَّ يَا حَمِيدَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ حُجَّتِكَ فِي أَرْضِكَ. وَخَلِيفَتِكَ فِي بِلَادِكَ. وَالدَّاعِي إِلَى سَبِيلِكَ وَالْقَائِمَ بِقِسْطِكَ، وَالثَّائِرَ بِأَمْرِكَ، وَوَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِوَارِ الْكَافِرِينَ، وَمَجْلِي الظُّلْمَةَ وَمُنِيرَ الْحَقِّ، وَالسَّاطِعَ بِالْحِكْمَةِ وَالصِّدْقِ. وَكَلِمَتِكَ التَّائِمَةَ فِي أَرْضِكَ، الْمُرْتَقِبَ الْخَائِفَ وَالْوَلِيَّ

الناصح. سفينة النجاة، وعلم الهدى، ونور أبصار الوري، وخير من تقمص وارتدي، و مجلي العمي الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً إنك علي كل شيء قدير.

اللهم صلّ علي وليك و ابن أوليانك الذين فرضت طاعتهم، وأوجب حَقَّهم وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

اللهم انصره و انصر به أولياءك وأولياءه، و شيعته و أنصاره واجعلنا منهم.

اللهم اعذه من كل باغ و طاغ، و من شر جميع خلقك. واحفظه من بين يديه و من خلفه، و عن يمينه و عن شماله. واحرسه، وامنعه، من أن يوصل إليه بسوء واحفظ فيه رسولك و آل رسولك، و أظهر به العدل و أيده بالنصر، وانصر ناصريه واخذل خاذليه، واقصم به جابرة الكفرة، واقتل به الكفار والمنافقين، وجميع الملحدين، حيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها، برّها و بحرّها، و املاً به الأرض عدلاً، و أظهر به دين نبيك، واجعلني اللهم من أنصاره وأعوانه، وأتباعه وشيعته، و أرني في آل محمّد ما يأملون، وفي عدوّهم ما يحذرون إله الحقّ أمين، يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين

ص: 195

اشتمل تراث الإمام (عليه السلام) علي مجموعة من الأدعية والزيارات التي أسهمت في تربية وبناء الكيان الروحي للجماعة الصالحة، وقد احتوت هذه الأدعية علي مضامين عالية فيما يختص بأداب الاتصال بالله سبحانه و بيان معالم التوحيد والتنزيه كما قد ورد عن الإمام (عليه السلام) زيارات خاصة بالرسول (صلي الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) وحثّ باتجاه المداومة علي زيارتهم والمواظبة عليها من أجل إدامة الاتصال وتقوية أواصر الروابط بين القواعد وأوليائهم.

الأسئلة

1. بين بعض الجوانب التي تناولتها أدعية الإمام (عليه السلام) ؟ 2. إلي أي شيء تهدف تلك الأدعية؟
3. ماذا تهدف الزيارات الواردة عن الإمام (عليه السلام)؟
4. ما هو دور الأدعية والزيارات في تربية وتنمية الجانب الروحي والعقائدي للجماعة الصالحة؟

الدرس 20: من تراث الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى (4)

الأجوبة الموجزة الصادرة عن الإمام (عليه السلام)

إشارة

هناك رسائل كثيرة كانت تكتب إلي الإمام (عليه السلام)، فيها حوائج وأسئلة وكان يصدر الجواب عليها باختصار، نثبت هنا نماذج منها - من غير استيعاب - مقتصرين علي الأجوبة فقط، دون تفاصيل الرسائل و الحوائج:

1. ستلد ابناً

كتب رجل يسأل الدعاء في حمل له، فورد عليه الدعاء في الحمل قبل الأربعة الأشهر، فجاء كما قال (عليه السلام) (1).

2. نعي إلي نفسي

وكتب أحمد بن إسحاق - وكيل الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) - بعد موت الإمام العسكري، إلي الناحية المقدسة يستأذن الإمام المهدي (عليه السلام) في الحجّ.

فورد الإذن له، وبعث إليه بثوب. فقال أحمد بن إسحاق: نعي إلي نفسي.

ص: 197

1- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 11، ص 306، عن كتاب النجوم.

فانصرف من الحجّ فمات بحلوان(1).

3. ولادة الصدوق

وبعث الحسين بن علي بن بابويه والد الشيخ الصدوق(قدّس سرّههما) - مع أبي القاسم الحسين بن روح برقعة إلي صاحب الأمر (عليه السلام) يسأله فيها الولد، فكتب (عليه السلام) في الجواب:

«قد دعونا الله لك بذلك، وسترزق ولدين ذكّرين خيّرين».

فولد له أبو جعفر (الصدوق) وأبو عبد الله من أم ولد.

وكان أبو عبد الله الحسين بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر (يعني الشيخ الصدوق) قدّس سرّه يقول: أنا ولدت بدعوة صاحب الأمر (عليه السلام) ويفتخر بذلك(2).

4. مات الولد

وعن علي بن محمّد قال: حدّثني بعض أصحابنا قال: ولد لي ولد فكتبت - أي: إلي الناحية المقدسة - أستأذن في تطهيره يوم السابع فورد: «لا تفعل».

فمات يوم السابع أو الثامن. ثم كتب بموته فورد الجواب: «ستخلف غيره، وغيره، قسّم الأوّل أحمد، و من بعد أحمد جعفرًا».

فجاء كما قال(3).

5. ثوبان للكفن

وعن سعد بن عبد الله أنّ الحسن بن النضر - في قصة طويلة . قال: ... وإذا بيت عليه ستر فنوديت منه:

«يا حسن بن النضر أحمد الله علي ما منّ به عليك ولا تشكّن فودّ الشيطان أنّك

ص: 198

1- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 309، عن رجال الكشي.

2- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 306، عن فهرست النجاشي.

3- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 308، عن ارشاد المفيد و غيبة الطوسي (قدّس سرّه).

شككت».

وأخرج إليّ ثوبين وقيل لي: «خذهما فتحتاج إليهما». فأخذتهما وخرجت.

قال سعد: فانصرف الحسن بن النضر، ومات في شهر رمضان (يعني: من نفس تلك السنة) وكفن في الثوبين(1).

6. يبقي

وعن القاسم بن العلاء قال: ولد لي عدة بنين فكنت أكتب وأسأل الدعاء فلا يكتب إليّ لهم بشيء، فلما ولد لي الحسن ابني كتبت أسأل الدعاء فأجبت:

«يبقي والحمد لله»(2).

7. تحوّل قرمطياً

وعن الحسن بن الفضل بن زيد اليماني قال: كتب أبي بخطه كتاباً فورد جوابه، ثم كتب بخطي فورد جوابه، ثم كتب بخط رجل من فقهاء أصحابنا فلم يرد جوابه.

فنظرنا فكانت العلة: أنّ الرجل تحوّل قرمطياً(3).

8. حصانة الوكلاء

وعن الحسن بن الحسين العلوي قال: كان رجل من ندماء روز حسني وآخر معه فقال له: هوذا يجبي الأموال (يقصد صاحب الأمر صلوات الله عليه) وله وكلاء وسمّوا جميع الوكلاء في النواحي وأنهى ذلك إلي عبيدالله بن سليمان الوزير، فهمّ الوزير بالقبض عليهم.

فقال السلطان: أطلبوا أين هذا الرجل؛ فان هذا أمر غليظ.

ص: 199

1- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 308، عن الكافي.

2- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 308، عن الكافي.

3- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 308، عن الكافي.

فقال عبيدالله بن سليمان: نقبض علي الوكلاء. فقال السلطان: لا، ولكن دسّوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه. قال: فخرج (يعني: من الناحية المقدسة إلي بعض الوكلاء).

«بأن يتقدّم إلي جميع الوكلاء: أن لا يأخذوا من أحد شيئاً، وأن يمتنعوا من ذلك، ويتجاهلوا الأمر».

فاندسّ بمحمد بن أحمد رجل لا يعرفه وخلا به فقال: معي مال أريد أن أوصله فقال له محمد: غلطت أنا لا أعرف من هذا شيئاً، فلم يزل يتلطفه و محمد بتجاهل عليه، وبثّوا الجواسيس و امتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدّم إليهم(1).

9. مقام أبيك

وعن محمد بن إبراهيم بن مهزيار قال: اجتمع عند أبي مال كثير -بعد مضي أبي محمد(عليه السلام). فحمله وركب في السفينة وخرجت معه مشيعاً له، نوعك وعكاً شديداً، فقال: يا بني ردني فهو الموت، واتق الله في هذا المال وأوصي إلي ومات.

فقلت في نفسي: لم يكن أبي يوصي بشيء غير صحيح، أحمل هذا المال إلي العراق، وأكثرني داراً علي الشط، ولا أخبر أحداً، فإن وضع لي شيء كوضوحه أيام أبي محمد(عليه السلام) أنفذته وإلا تصدّقت به.

فقدمت العراق، وأكثريت داراً علي الشط وبقيت أياماً فإذا أنا برسول معه رقعة فيها:

«يا محمد معك كذا وكذا، في جوف كذا وكذا».

حتي قص علي جميع ما معي ممّا لم أحط به علماً، فسلمت المال إلي الرسول، وبقيت أياماً لا يرفع لي رأس، فاغتمت، فخرج إلي:

ص: 200

1- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 310، عن الكافي للكليني(قدّس سرّه).

«قد أقمنك مقام أبيك فاحمد الله»(1).

10. جواب الثلاثة

وقال الحسن بن الفضل بن زيد اليماني:

كتبت في معنيين (أي: في موضوعين) وأردت أن أكتب في الثالث و امتنعت منه مخافة أن يكره ذلك، فورد جواب: المعنيين والثالث الذي طوبته، مفسراً(2).

11. إلي أحمد بن الحسن

وقال أحمد بن الحسن: وردت الجبل (أي: إيران) وأنا لا أقول بالإمامة، أحبهم جملة إلي أن مات يزيد بن عبد الملك (وفي نسختي الكافي، وإرشاد المفيد: يزيد بن عبدالله) فأوصي إلي في علته: أن يدفع الشهري السمند، وسيفه، و منطقته إلي مولاه يعني: صاحب الأمر (عليه السلام) فخفت إن لم أدفع الشهري إلي «اذكوتكين» (حاكم الجبل آنذاك) نالني منه استخفاف، فقومت الدابة والسيف والمنطقة بألف دينار في نفسي، ولم اطّلع عليه أحداً، فإذا الكتاب قد ورد علي من العراق:

«يا أحمد بن الحسن الألف دينار التي لنا عندك ثمن الفرس والسيف سلّمه إلي أبي الحسن الأسدي»..

قال: فخررت لله ساجداً شكرت لما منّ علي وعرفت أنه حجة الله حقاً لأنه لم يكن وقف علي هذا أحد غيري، فأضفت إلي ذلك المال ثلاثة آلاف دينار أخري سروراً بما منّ الله علي بهذا الأمر(3).

الشهري السمند: نوع من الفرس.

ص: 201

1- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 310، عن غيبة الشيخ الطوسي (قدّس سرّه). (قوله: لا يرفع لي رأس) كناية عن عدم الاعتناء به والتوجّه إليه.

2- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 311، عن غيبة الطوسي (قدّس سرّه).

3- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 316، عن غيبة الطوسي وكتاب النجوم.

وبعد موت القاسم بن العلاء خرج التوقيع إلي ابنه الحسن كتاب تعزية وفي آخره دعاء.

«ألهمك الله طاعته، و جنب معصيته».

قد جعلنا أباك إماماً لك، وفعاله لك مثلاً»(1).

13. إنك تحتاج إليها

وقال أبوغالب: وقد كتبت رقعة أسأل فيها أن تقبل ضيعتي، وألمحت في ذلك فكتب إلي: «اختر من تثق به فاكتب الضيعة باسمه فإنك تحتاج إليها».

فكتبتها باسم أبي القاسم موسى بن الحسن ابن أخ أبي جعفر، ثقني به و موضعه من الديانة والنعمة.

فلم تمض الأيام حتى أسرنني الأعراب، ونهبوا الضيعة التي كنت أملكها، و ذهب فيها من غلاتي ودوابي و التي نحواً من ألف دينار، وأقامت في أسرهم مدة إلي أن اشترت نفسي بمائة دينار و ألف و خمسمائة درهم و لزمني من أجره الرسل نحو من خمسمائة درهم، فخرجت واحتجت إلي الضيعة فبعتها(2).

14. لك فيها عشرون درهماً

قال محمد بن شاذان بن نعيم: اجتمع عندي مال للغريم (عليه السلام) خمسمائة درهم تنقص عشرين درهماً، فأبيت أن أبعثها ناقصة هذا المقدار، فأتتمتها من عندي وبعثت بها إلي محمد بن جعفر ولم أكتب مالي فيها، فأنفذ إلي محمد بن جعفر القبض وفيه:

«وصلت خمسمائة درهم لك فيها عشرون درهماً»(3).

ص: 202

- 1- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 316، عن غيبة الطوسي و كتاب النجوم.
- 2- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 223، عن غيبة الشيخ الطوسي (رضي الله عنه).
- 3- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 325، عن اكمال الدين و ارشاد المفيد والخرائج.

الغريم: كناية عن مولانا صاحب الزمان عليه الصلاة والسلام و عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فرجه.

15. أخرج حق لابن عمك

قال الشيخ العمري -نائب الناحية المقدسة -: صحبت رجلاً من أهل السواد (يعني: أهل العراق) و معه مال للغريم (عليه السلام)، فأنفذه فرد عليه وقيل له:

«أخرج حق ابن عمك منه و هو أربعمئة درهم»

فبقي الرجل باهتاً متعجباً ونظر في حساب المال، وكانت في يده ضيعة لولد عمه قد كان ردّ عليهم بعضها و زوي عنهم بعضاً، فإذا الذي فضل لهم من ذلك المال أربعمئة درهم كما قال (عليه السلام). فأخرجه وأنفذ الباقي فقبل(1).

16. كذب الوقّاتون

قال علي بن عاصم الكوفي:

خرج في توقيعات صاحب الزمان (عليه السلام):

«ملعون ملعون من سمّاني في محفل من الناس»(2).

وقال الشيخ محمّد بن عثمان العمري - نائب الناحية المقدسة - قدّس الله روحه:

خرج توقيع بخطه (عليه السلام) أعرفه:

«من سمّاني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله».

وكتبت أسأله عن ظهور الفرج؟ فخرج في التوقيع:

«كذب الوقّاتون»(3).

ص: 203

1- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 326، عن اكمال الدين و ارشاد المفيد.

2- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 184، عن اكمال الدين.

3- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 184، عن اكمال الدين.

وعن أبي عبدالله الصالحي قال: سألتني أصحابنا بعد مضي أبي محمّد (عليه السّلام) أن أسأل عن الاسم والمكان فخرج الجواب: «إن دلّتم علي الاسم أذاعوه، وإن عرفوا المكان دلّوا عليه.» (1)

ص: 204

1- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 51، ص 33، عن الكافي. مسألة النهي عن تسمية الإمام المهدي (عليه السّلام) باسمه الخاص صلوات الله عليه وعلي آبائه قد ورد في أحاديث عديدة عن أئمة أهل البيت بدها بأمر المؤمنين وانتهاءً بالإمام الحسن العسكري والإمام المهدي نفسه عليهم الصلاة والسلام وقد جمع منها العلامة المجلسين (قدّس سرّه) في بحار الأنوار بضعة عشر حديثاً. (ج 51، ص 31-34). وقد اختلفت كلمات الفقهاء - رضوان الله عليهم - في تفسير هذا النهي. فقد قال الشيخ الصدوق - رضوان الله عليه -: «الذي أذهب إليه النهي عن تسميته» يقصد بذلك التحريم وقال بعضهم بالكراهة، وفصل بعضهم بين أوائل الغيبة الصغرى والتحرير وبين الأزمنة المتأخرة فالكراهة. قال المحقق القمي (قدّس سرّه) في جامع الشتات ما ترجمته: «أخبار المنع عن تسميته جنابه (عليه السّلام) كثيرة، حتّى أنّ الكليني (قدّس سرّه) روي بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السّلام) أنّه قال: صاحب هذا الأمر لا يستيه باسمه إلا كافر، وهكذا في أحاديث أخرى ورد التصريح بحرمة ذكر اسمه الشريف. ولكن ما يستفاد من سائر الأخبار هو: أنّ ذلك من باب التقية والاتقاء في حقّه ومن الأزمنة الأولى من ولادته (عليه السّلام) والأزمنة المتقارية من أيام غيبته (عليه السّلام)، وذلك لأنّ الفراغنة في زمان آل محمد (صلّي الله عليه وآله وسلّم) كانوا دائماً يحاولون إطفاء النور الإلهي. وحيث أنّهم كانوا قد سمعوا أنّ صاحب الأمر (عليه السّلام) سيملاً الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وقد كان علماء السنة أيضاً رووا هذا الحديث، وكان قد ورد في أخبارهم أيضاً أنّ اسمه موافق لاسم جده رسول الله (صلّي الله عليه وآله وسلّم) ... إلي أن قال: لهذه الأسباب كان فرعون ذاك الزمان يسعي حثيثاً في طلبه (عليه السّلام)، ولأجل ذلك جعلوه (عليه السّلام) مختفياً، ونهوا شيعتهم عن ذكر اسمه الشريف وعن مكانه، وقد ورد في بعض الأخبار التصريح بأنّ علّة ترك ذكر الاسم الشريف هو: أنّه حيث تحقّق عند السلطان أنّ أبا محمّد يعني الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) مات ولم يخلف ولداً فإذا ذكر اسمه (عليه السّلام) صار في طلبه فاتقوا الله، واحفظوا ألسنتكم عن ذكر اسمه (والحاصل) أنّ وجه المنع ظاهراً هو هذا، وأمّا في أمثال زماننا فلا أرى مانعاً عنه ظاهراً (ولو) لم يصرّح باسمه واكتفي بلفظ (الحجّة) كان أحوط». (جامع الشتات، ج 2، ص 748).

كانت الجماعة الصالحة تتصل بالإمام (عليه السلام) عن طريق نوابه وخواصه، وكان البعض يرسل إلي الإمام (عليه السلام) رسالة يضمّنها بعض احتياجاته، إمّا الدعاء له بأن يرزق الولد، أو تحقيق حاجة أخرى دنيوية أو مسألة عن شخص ما لا يعرف عنه بعض الأمور، وتعود إليهم أجوبة تلك الرسائل عن طريق وكلائه.

الأسئلة

1. ما هي الوساطة بين الجماعة الصالحة والإمام (عليه السلام) من حيث إيصال الرسائل؟
2. عدد بعض ما حملته الرسائل من أجوبة؟
3. ماذا يستفاد من دعاء الإمام (عليه السلام) بولادة الصدوق (رضي الله عنه)؟
4. بماذا يمكن أن يستفاد من دلالة كثرة الرسائل بين الجماعة الصالحة والإمام (عليه السلام)؟

كانت وفاة علي بن محمّد السمرى (329هـ) إيذاناً بابتداء عصر الغيبة الكبرى. وكان التوقيع الصادر عن الإمام (عليه السلام) إلي محمّد قبل وفاته بسنة أيام هو الإعلان عن انتهاء فترة الغيبة الصغرى، فلم تكن الغيبة الكبرى واحتجاب الإمام (عليه السلام) عن شيعته وقواعده أمرة مفاجئاً وغير متوقّع بل قد مهّد لهذه الغيبة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث تواترت عنه الأخبار الدالة على ذلك.

فقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله:

«المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كُنيتي أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة و حيرة تضلّ فيه الأمم، ثم يقبل كالشهاب، ويملاها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.»⁽¹⁾

او كما تواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك فقد تواتر عن أئمة أهل البيت (عليه السلام) أيضاً من خلال الروايات الكثيرة التي تشير إلي الغيبة الصغرى والكبرى معاً.

إذن كانت عامة الشيعة قبل حصول الغيبة تعلم بحتمية وقوعها فلم يكن في حدوثها

ص: 206

عنصر المفاجأة كما يتوهمه البعض بل كانت الصدمة التي تلقاها الشيعة المعاصرون للإمام (عليه السلام) - بغيبة إمامهم صدمة كبيرة. وكانوا يظنون أن لا تقع غيبته إلا في زمان متأخر عن زمانهم.

إنّ العمل الدؤوب لإعداد النفس وترويضها أولاً والتصدي لمظاهر الفساد والظلم والانحراف ثانياً يُعدّان الترجمة العملية والواقعية لانتظار الإمام (عليه السلام) والاعتقاد بإمامته، وبذلك يتحقّق الانتظار الواعي الذي حثّ عليه الروايات واعتبرته أفضل العبادة.

فعن الإمام علي (عليه السلام) أنّه قال: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله تعالى، فإنّ أحبّ الأعمال إلي الله انتظار الفرج»⁽¹⁾.

ويحدّث الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أباً خالد الكابلي عن أهل زمان الغيبة الكبرى قائلاً له: يا أبا خالد إنّ أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كلّ زمان لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (صلّي الله عليه وآله وسلّم) بالسيف، أولئك المخلصون حقّاً، و شيعتنا صدقاً، والدعاة إلي دين الله تعالى سرّاً وجهراً.

وقال (عليه السلام): «انتظار الفرج من أعظم الفرج»⁽²⁾.

الإعلان عن بدء الغيبة الكبرى

كان التوقيع الشريف الصادر عن الإمام المهدي (عليه السلام) إلي علي بن محمّد السمرى يخبره بدنوّ أجله، وأنّه ميّت بعد ستّة أيّام، إعلاناً ببدء مرحلة الغيبة الكبرى وإنّهاء الفترة الممهّدة لها وهي فترة السفراء الأربعة التي عُرفت بالغيبة الصغرى.

ص: 207

1- الشيخ الصدوق، الخصال، ص 625.

2- كمال الدين، ج 2، ص 321.

ونصّ التوقيع المبارك هو: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمّد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين سنّة أيّام فاجمع أمرك ولا توصّ إلي أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا باذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول أمد وقسوة القلب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة ألا فمن ادّعي المشاهدة قبل خروج السفيناني، والصيحة فهو كذاب مفترٍ ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم»(1).

ووفقاً للنصّ المبارك يتّضح ما يلي:

1. انتهاء دور النيابة الخاصّة.

2. إنّ مرحلة الغيبة الصغرى و دور السفراء - كوسطاء . كانا إتماماً لدور الأئمة(عليهم السّلام) في إنضاج العقل الشيعي وإبلاغه مستويّاً عالياً في التفاعل مع الأحداث واستنباط أحكامها.

3. بدء مرحلة النيابة العامة وإرجاع الشيعة إلي رواة أحاديث أهل البيت (عليهم السّلام) في كل واقعة تحدث كما ورد في النص الشريف عن الإمام الحجّة لأحمد بن إسحاق:

«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلي رواة أحاديثنا فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله»(2).

4. التمويه التام علي السلطات الجائرة حول وجود الإمام (عليه السّلام) ، وأنّ من يدّعي مشاهدته فهو كذاب مفتر، فالسلطات والحالة هذه أمّنت خروجه ليمحو الظلم والطغيان العباسي.

5. إنّ أمر الإذن بخروجه (عليه السّلام) عائد إلي الله سبحانه وتعالى.

ص: 208

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 242.

2- كمال الدين، ج 2، ص 484.

لقد أشارت الأحاديث الشريفة المروية عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والأئمة الأطهار (عليهم السَّلام) لأسباب وعلل غيبة الإمام (عليه السَّلام)، وبإلقاء نظرة متمعنة فيما جاء من النصوص حول الغيبة يتضح أنَّ هذه الروايات والأحاديث علي طوائف:

فطائفة تذكر أنَّ علَّة الغيبة هي أنَّ الله سبحانه جعل للإمام (عليه السَّلام) سنن الأنبياء في غيبتهم.

وطائفة أُخري تعلَّل غيبته (عليه السَّلام) بخوفه من القتل.

وطائفة ثالثة تذكر أنَّ العلَّة هي أن لا تكون في عنقه (عليه السَّلام) بيعة لطاغية حين يظهر بالسيف.

وطائفة رابعة لم تذكر سبباً صريحاً بل لسانها يقول: إنَّ الغيبة أمر من أمر الله سبحانه و سرَّ من أسرارهِ يُكشف عنه حين ظهور الإمام (عليه السَّلام).

ونقل هنا مجموعة الأحاديث حول هذا الموضوع، ثمَّ نشير إلي ما جاء في كلِّ منها ممَّا يرتبط بتعليل ظاهرة الغيبة له (عليه السَّلام).

1. الطائفة الأولى: روي سدير عن أبيه عن الإمام الصادق (عليه السَّلام) قال: إنَّ للقائم منَّا غيبة يطول أمدها، فقلت له: يا ابن رسول الله ولمَّ ذاك؟ قال: لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أبي إلا أن يجعل فيه سنن الأنبياء (عليهم السَّلام) في غيبتهم، وأتَّه لا بدَّ له ياسدير من استيفاء مدَّة غيبتهم، قال الله تعالى: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» أي سنن من كان قبلكم (1).

وروي عبدالله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمَّد (عليه السَّلام) يقول: إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدَّ منها، يرتاب فيها كلُّ مبطل، فقلت له: ولمَّ جعلت فذاك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت: فما وجه الحكمة فيغيته؟ قال:

ص: 209

وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّم من حجج الله تعالى ذكره. إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر (عليه السّلام) إلا بعد افتراقهما، يا ابن الفضل إنّ هذا الأمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتي علمنا أنّ الله عزّوجلّ حكم، صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف (1).

2. و من الطائفة الثانية ما رواه زرارة عن الإمام الباقر (عليه السّلام) قال: إنّ للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت، ولم؟ قال: يخاف و أومي بيده إلي بطنه - قال زرارة يعني: القتل (2).

ومنها ما روي عن عبدالله بن عطا عن أبي جعفر (عليه السّلام) قال: قلت له إنّ شيعتك بالعراق كثيرة، والله ما في أهل بيتك مثلك، فكيف لا تخرج؟ قال: فقال: يا عبدالله ابن عطا، قد أخذت تفرش أذنيك للنوكي. إي والله ما أنا بصاحبكم، قال: قلت له: فمن صاحبنا؟ قال: انظروا من عمي علي الناس ولادته، فذاك صاحبكم؛ إنّه ليس ممّا أحد يشار إليه بالإصبع ويُمضغُ بالألسن إلا مات غيظاً أو رغم أنفه (3).

3. و من الطائفة الثالثة ما روي عن الحسن بن محبوب بن إبراهيم الكرخي قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السّلام) أو قال له رجل: أصلحك الله ألم يكن علي (عليه السّلام) قوياً في دين الله؟ قال: بلي، قال: فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يمنعهم؟ وما منعه من ذلك؟ قال: آية في كتاب الله عزّوجلّ منعه، قال: قلت: وأي آية هي؟ قال: قول الله عزّوجلّ «لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» إنّ كان لله عزّوجلّ ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين و منافقين فلم يكن علي (عليه السّلام) ليقتل الآباء حتّي تخرج الودائع،

ص: 210

1- كمال الدين، ص 481.

2- علل الشرائع، ج 1، ص 246.

3- الكافي ج 1، ص 342.

فلما خرجت الودائع ظهر علي ظهر فقاتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تظهر ودايع الله عزوجل فإذا ظهرت ظهر علي ظهر فقاتله(1).

4. و من الطائفة الرابعة ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام)

قال: و الله لا يكون الذي تمدنّ إليه أعناقكم حتى تميزوا وتمحصوا، ثم يذهب من عشرة شيء ولا يبقى منكم إلا الأندر، ثم تلا هذه الآية «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ»(2).

5. و من الطائفة الخامسة ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام)

قال: «دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لنلايقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزوجل: العاقبة للمتقين»(3).

6. و من الطائفة السادسة: ما روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال - في جواب من سأله عن علّة الغيبة -: «لئلا يكون في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»(4).

وهذا المعني مروي عن كثير من الأئمة (عليهم السلام) بالفاظ متقاربه، منها ما روي عن الإمام المهدي (عليه السلام) أنه قال في توقيعه إلي إسحاق بن يعقوب في جواب أسئلته:

«وَأَمَّا عَلَّةٌ مَا وَقَعَ مِنَ الْغَيْبَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ» إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي (عليهم السلام)، إِلَّا وَقَدْ وَقَعَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لَطَاغِيَةٌ زَمَانِهِ، وَإِنِّي أَخْرَجْتُ حِينَ أَخْرَجْتُ، وَلَا بَيْعَةٌ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّوَاغِيَتِ فِي عُنُقِي»(5).

7. ويقول (عليه السلام) في رسالته الأولى للشيخ المفيد:

ص: 211

1- علل الشرائع، ص 147.

2- الحميري، قرب الاسناد، ص 162.

3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 282؛ سورة الأعراف.

4- عيون أخبار الرضا، ج 1، ص 273.

5- كمال الدين، ص 483.

نحن وإن كنا ناوين بمكاننا الثاني عن مساكن الظالمين حسب الآذي أراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين(1).

8. ويقول سلام الله عليه في رسالته الثانية للشيخ المفيد:

ولو أن أشياعنا - وفقهم الله لطاعته - علي اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم الأيمن بلقائنا، ولتعجل لهم السعادة بمشاهدتنا علي حق المعرفة وصدقها منهم بنا. فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم(2).

إذن هناك أسباب واقعية وموضوعية هي التي تكمن وراء ظاهرة الغيبة كشفت هذه النصوص عنها تارة بشكل صريح وأخري بشكل رمزي هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن كلّ نصّ تكفل ببيان جزء من تلك العلة الواقعية التي ظهرت بمظهر سنة من سنن الأنبياء، فإنّ معني وجود سنة هو وجود قانون عام ينطبق علي الحوادث التاريخية كلما تشابهت الظروف. وحيث أن الإمام المهدي(عليه السلام) يعبر عن نفس الخط الذي سار عليه الأنبياء وبعثوا من أجل تحقيق أهدافه. إذن سوف تخضع حركته لنفس السنن العامة التي تحققت في حياة الأنبياء(عليهم السلام).

وصلاح الأمة يقتضي أن يغيب الإمام(عليه السلام) حيث لا تتحقق الأهداف بظهوره قبل الأوان وقبل تهيؤ الظروف الموضوعية الكفيلة بتحقيق أهداف رسالات الأنبياء علي يده.

وظهور الإمام قبل أن تتحقق الظروف الكفيلة بحفظ وجوده الذي يستطيع إيجاد التغيير العالمي المنشود قد يستلزم قتله من قبل الظالمين فلا يكون نفع ظهوره أكبر من نفع غيبته.

ص: 212

1- الكاشاني، معادن الحكمة، ج 2، ص 306.

2- الكاشاني، معادن الحكمة ج 2، ص 306.

إنَّ غيبة الإمام (عليه السّلام) الكبري واحتجابه عن الأنظار من الأمور المسلّمة التي تَحْتَمُّ وقوعها وفقاً للأحاديث المتواترة، فلم تكن القواعد الشعبية الموالية له بعيدة عن هذا تصوّر، بل كانت تتوقّع ذلك في كلّ حين، ولمّا قربت وفاة السفير الرابع عام 329 للهجرة، أعلن الإمام (عليه السّلام) بتوقيعه الشريف عن بدء المرحلة الثانية من غيبته ودعوته قواعد لانتظاره و الدعاء له، راسماً لهم طريقاً واضحاً في التعامل بإرجاعهم إلي رواة أحاديث أهل البيت (عليهم السّلام) في الحوادث الواقعة وهم الفقهاء الجامعون لشرائط القيادة النائبة عنه، كلّ هذه أمور وقضايا مسلّمة لدي القواعد التي رُبِّيت خلال فترة طويلة امتدّت منذ أيام الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وإلي اليوم الذي وقعت فيه الغيبة الكبري. وقد ورد في الأحاديث أنّ علّة الغيبة هي، أن لا تكون في عنقه (عليه السّلام) بيعة لطاغية، وأنّها حصلت خشية القتل وتصفية القيادة المعصومة المتمثّلة في المهدي (عليه السّلام).

الأسئلة

1. إنَّ حدث الغيبة الكبري هل كان أمراً مفاجئاً للقواعد الشعبية؟ ولماذا؟
2. هل تدلّ أحاديث انتظار الفرج علي وقوع الغيبة؟ وكيف ذلك؟ 3. ما هي الدلالة في الأحاديث التي اعتبرت انتظار الفرج من أفضل العبادة؟
4. كيف تمّ الإعلان عن حدوث الغيبة الكبري؟
5. ما هي علل الغيبة الكبري حسب طوائف الأحاديث الواردة في هذا الصدد؟

ابتدأت الغيبة الكبرى بإعلان الإمام المهدي (عليه السلام) عن إنتهاء الغيبة الصغرى المتمثل بانتهاء السفارة وبدء الغيبة التامة وأنه لا ظهور إلا باذن الله عز وجلّ.

وتنتهي الغيبة الكبرى باليوم الموعود حيث يشرق فيه نور الإمام المهدي (عليه السلام) ويظهر لعامة الناس ظهوراً يتصدّي فيه لأخذ زمام الأمور في العالم الإسلامي والإنساني أجمع، وتسعد البشرية حينذاك بلقائه حيث يخرجها من الظلمات إلي النور ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وتتّصف هذه المرحلة من حياة الإمام بخصائص ومميّزات تجعلها من أرحح الفترات في تاريخ الإسلام عامّة والجماعة الصالحة خاصّة، وإن أهم هذه الخصائص هي:

1. أن أول ما تمتاز به هذه المرحلة هو انقطاع الناس عن القائد الإسلامي والموجّه الإلهي للتجربة الإسلامية، فهي علي عكس الفترات السابقة التي عاشتها الجماعة الصالحة في العصر النبوي المبارك وعهود الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، كما أنّها تختلف عن مرحلة الغيبة الصغرى والتي امتازت بالاتّصال غير المباشر بالإمام (عليه السلام) عن طريق السفراء الأربعة (رضوان الله تعالى عليهم).

2. انتشار الظلم والجور، و انحصار الإسلام عن الحياة السياسية، وبذلك تتميز هذه الفترة عن العصر الذي كان يسود فيه الإسلام و يسيطر علي حياة الإنسان و بطابع الرسالة الإسلامية، وبذا تكون هذه الفترة متميزة عن عهود سيادة و قيمومة الإسلام في الحياة العامة .

3. التشكيك في وجود الإمام (عليه السلام) لاحتجابه عن واقع الحياة و لطول زمان غيبته (عليه السلام) ، ثم طغيان التيارات الضالّة التي تُسبب في بروز ظاهرة التشكيك و اتّساعها في حياة الأمة الإسلامية.

ففي زمن الغيبة الصغرى نجد أنّ التواصل بين القواعد و الإمام (عليه السلام) كان حاصلًا عن طريق السفراء، وأنّ ما كان يطرح من إشكالات حول المسائل المختلفة كانت الأُمَّة تجد حلولها إمّا بمبادرة من الإمام و إخراج توقيع يتضمن ذلك أو عن طريق سؤال قواعده و مواليه بتوسّط سفرائه. فالإلزام متيقّن في التوقيعات الصادرة عنه (عليه السلام) حيث أنّ القواعد الموالية كانت تجهد و تجد في تطبيق ما يصدر عن الإمام (عليه السلام) أو سفرائه و الحال أنّ الغيبة الكبرى حيث لا واسطة بين الإمام و قواعده إذ هي فترة الاحتجاب التام و انقطاع الإمام عن الارتباط بالناس. فوسيلة الإفهام للقواعد الموالية و الجماعة الصالحة هي الرجوع إلي الفقهاء الرواة لنصوص أهل البيت (عليهم السلام) الأئمة علي الشريعة و علي الأُمَّة الإسلامية كما ورد ذلك في الحديث المعروف عنه (عليه السلام).

سيرة الإمام المهدي (عليه السلام) في عصر الغيبة الكبرى

إشارة

إنّ الإطار العام لسيرة الإمام (عليه السلام) في هذه الفترة هو التمهيد لظهوره. وهذا التمهيد يشمل رعاية الجماعة الصالحة و حفظها و حفظ الرسالة الخاتمة من التحريف إضافة إلي القيام بمهامٍ أُخري تتعلّق بسائر وظائف الإمام (عليه السلام) و إن كان ذلك بأساليب أكثر خفاءً ممّا كان عليه الحال في الغيبة الصغرى و بذلك يتحقّق الانتفاع بوجوده المبارك كما يُنتفع بالشمس إذا غيّبها السحاب كما ورد في مجموعة من الأحاديث الشريفة.

ويمكن تصوير تحرك ونشاط الإمام (عليه السلام) خلال احتجاجه في عصر الغيبة الكبرى بأحد شكلين:

1. أطروحة خفاء الشخص

وهي الأطروحة التقليدية المتعارفة المذكورة في ذهن عدد من الناس وتدلّ عليها ظواهر بعض الأدلة علي ما سنري، وهي أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) يختفي بجسمه عن الأنظار، فهو يري الناس ولا يرونه، وبالرغم من أنّه قد يكون موجوداً في مكان إلا أنّه يُري المكان خالياً منه.

أخرج الصدوق في إكمال الدين بإسناده عن الريّان بن الصلت، قال: سمعته يقول: سئل أبو الحسن الرضا (عليه السلام) عن القائم (عليه السلام) فقال: لا يري جسمه ولا يسمي باسمه.

وأخرج بإسناده عن الصادق جعفر بن محمّد (عليه السلام) في حديث قال: الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته (1).

وأخرج أيضاً بإسناده عن عبيد بن زرارة قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: يفقد الناس إمامهم فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه.

وهذه الأطروحة هي أسهل افتراض عملي لاحتجاب الإمام المهدي (عليه السلام) عن الناس ونجاته من ظلم الظالمين، فإنّه في اختفائه هذا يكون في مأمن قطعي حقيقي من أيّ مطاردة أو تنكيل حيثما كان علي وجه البسيطة.

وهذا الاختفاء يتم عن طريق الإعجاز الإلهي، كما تمّ طول عمره لمدي السنين المتطاولة بالإعجاز أيضاً، وكان كلا الأمرين لأجل حفظ الإمام المهدي (عليه السلام) عن الموت والأخطار، لكي يقوم بالمسؤولية الإسلامية الكبرى في اليوم الموعود.

وتضيف هذه الأطروحة: بأنّ هذا الاحتجاب قد يزول أحياناً عندما توجد مصلحة

ص: 516

في زواله: كما لو أراد الإمام المهدي (عليه السلام) أن يقابل شخصاً من البشر لأجل أن يقضي له حاجة أو يوجه له توجيهاً أو ينذره إنذاراً. فإنّ المقابلة تتوقّف علي رؤيته، ولا تتمّ مع الاختفاء.

وعلي ذلك تحمل كلّ أخبار مشاهدة الإمام المهدي (عليه السلام) خلال غيبته، حتي ما كان خلال الغيبة الصغرى، ويذكر التاريخ بأنّ الإمام المهدي (عليه السلام) ظهر لعمّه جعفر الكذاب مرتين ثمّ اختفي من دون أن يعلم أين ذهب، وهذا الشاهد يؤيّد صحّة هذه الأطروحة.

2. الأطروحة الثانية: أطروحة خفاء العنوان

2. الأطروحة الثانية: أطروحة خفاء العنوان (1)

ونريد بذلك أنّ الناس يرون الإمام المهدي (عليه السلام) بشخصه دون أن يكونوا عارفين أو ملتفتين إلي حقيقته.

لقد سبق أن عرفنا من تاريخ الغيبة الصغرى أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) قد ربّاه أبوه محتجباً عن أعين الناس، إلا القليل من الخاصّة الذين أراد أن يطلعهم علي وجوده ويثبت لهم إمامته من بعده، ثمّ ازداد الإمام المهدي (عليه السلام) احتجاباً بعد وفاة أبيه وأصبح لا يتّصل بالناس إلاّ عن طريق سفرائه الأربعة، غير عدد من الخاصّة المأمونين علي السرّ الذين كانوا يبحثون عن الخلف بعد الإمام العسكري (عليه السلام) كعلي بن مهزيار الأهوازي وغيره، وكان الإمام المهدي (عليه السلام) يؤكّد عليهم في كلّ مرّة الكتمان والحذر.

وكلمّا تقدّمت السنون في الغيبة الصغرى وتقدّمت الأجيال وقلّ الذين كانوا قد عاصروا الإمام العسكري (عليه السلام) وشاهدوا ابنه المهدي (عليه السلام) حتّي انقضوا بالتدريج، ووجدت أجيال جديدة لا تعلم أسلوب اتّصالها بالإمام إلاّ الإتيصال بسفيره علي أفضل تقدير.

وكان هذا الجيل - بشكل عام - جاهلاً بشكل إمامه المهدي (عليه السلام) بحيث لو واجهوه

ص: 217

لما عرفوه البتة إلا بإقامته الأدلة القطعية علي شخصيته.

ومن هنا تيسرت له - كما علمنا في ذلك التاريخ - فرصة السفر إلي مختلف أنحاء البلاد كمكة ومصر، من دون أن يكون ملفتاً لنظر أحد.

وهذا ما نعينه من خفاء العنوان، فإن أي شخص يراه يكون غافلاً بالمرّة عن كونه هو الإمام المهدي (عليه السلام)، وإنّما يري فيه شخصاً عادياً كسائر الناس لا يلفت النظر علي الإطلاق.

ويمكن للمهدي (عليه السلام) أن يعيش في أي مكان يختاره وفي أي بلد يفضلّه سنين متطاولة، من دون أن يُلفت إلي حقيقته نظر أحد، و تكون حياته في تلك الفترة كحياة أي شخص يكتسب لمعيشته من بعض الأعمال الحرّة كالتجارة أو الزراعة أو غيرها، ويبقي علي حاله هذه في مدينة واحدة أو عدّة مدن، حتي بأذن الله تعالي له بالفرج.

ويمكن الاستدلال علي هذه الأطروحة من زاويتين: -

الزاوية الأولى: الأخبار الواردة بهذا الصدد، منها: ما أخرجه الشيخ الطوسي في الغيبة عن السفير الثاني الشيخ محمّد بن عثمان العمري أنّه قال: «والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة، يري الناس و يعرفهم ويرونه ولا يعرفونه».

والمقصود بصاحب هذا الأمر: الإمام المهدي (عليه السلام)، والمراد بالموسم موسم الحجّ والرواية واضحة الدلالة علي عدم اختفاء الشخص و مقترنة بالقسم بالله تعالي تأكيداً وصادرة من سفير الإمام المهدي (عليه السلام) وهو أكثر الناس اطلاعاً علي حاله.

ومنها ما ورد عن السفير من قوله حول السؤال عن اسم الإمام المهدي (عليه السلام): وإذا وقع الاسم وقع الطلب (1).

فإنّه ليس في طلب الحكام للمهدي (عليه السلام) ومطاردتهم له، أي خطر ولا أي تأثير، لو كانت الأطروحة الأولى صادقة وكان جسم المهدي (عليه السلام) مختفياً، إذ يستحيل الوصول

ص: 218

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 219.

إليه، وإثما الخطر يكمن في إمكان كشفه فيما إذا لم يكن مخفياً بجسمه، والنهي عن الاسم إنما يكون تجنباً للمطاردة. وهذا ينسجم مع الأطروحة الثانية. فإنه ما دام عنوان المهدي (عليه السلام) واسمه مجهولين، يكون في مأمن عن المطاردة، وأما إذا «وقع الاسم» وعرف العنوان، لا يكون هذا الأيمن متحققاً ويكون احتمال المطاردة قوياً.

ومنها: ما ورد من التوقيع الذي خرج من المهدي (عليه السلام) إلى سفيره محمد بن عثمان (رضي الله عنه) يقول فيه: فإنهم إن وقفوا علي الاسم أذاعوه، وإن وقفوا علي المكان دلّوا عليه (1).

فإنه لو صدقت الأطروحة الأولى لم يكن رؤية المهدي (عليه السلام) في أي مكان علي الإطلاق ولم يكن في الدلالة علي أي مكان خطر أصلاً، وإنما يكون الخطر موجوداً طبقاً للأطروحة الثانية.

ومنها: ما قاله أبوسهل النوبختي حين سئل فقيل له: كيف صار هذا الأمر إلي الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم و ما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجّة علي مكانه لعلّي كنت أدلّ علي مكانه، وأبو القاسم فلو كان الحجّة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه (2).

ومن الواضح أنه لا معني لكل هذه الاحتياطات و التحفظات مع صحّة الأطروحة الأولى في اختفاء شخص المهدي (عليه السلام) ، وإنما ينبغي كلّ هذا التحفظ مع صحّة الأطروحة الثانية، فإنّ الدلالة علي المكان هي فرع انكشاف العنوان، والقائل لهذا الكلام هو أبوسهل النوبختي الذي كان من جلاله القدر والوثاقة بحيث كان من المحتمل أن يكون هو السفير عن الإمام (عليه السلام) ... ومن هنا سئل في هذه الرواية عن

ص: 219

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 222.

2- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 220.

سبب غضّ النظر عنه وإبداله بالشيخ ابن روح.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ هناك مجموعة من العوامل ساهمت في إبعاد الناس عن التصدي للبحث عن الإمام (عليه السّلام) وهي:

1. الجهل بشكله و هيئة جسمه جهلاً تامّاً، وهو عامل مشترك بين أعدائه و محبّيه.
2. إنكاره من قبل غير قواعده الشعبية بما فيهم سائر الحكّام الظالمين الذين يمثّل المهدي (عليه السّلام) رمز الثورة عليهم وإزالة نظمهم من الوجود، فهم في إنكارهم له مرتاحون عن مطاردته، وهو في راحة من مطاردتهم.
3. ارتكاز صحّة الأطروحة الأولى عند عدد من قواعده الشعبية، أخذاً بظواهر الأخبار التي سمعناها؛ إذ مع صحّتها لا يكون هناك سبيل إلى معرفته بل يستحيل الإحساس بوجوده إلاّ عن طريق المعجزة وهي لا تتحقّق إلاّ للأوحديّ من الناس.
4. الإيمان بعناية الله تعالى له وحفظه ليومه الموعود. فمتي تعلّقت المصلحة بالمقابلة مع الإمام المهدي (عليه السّلام) كان هو الذي يريدّها. ومتي لم تتعلّق المصلحة بالأصلح للإسلام والمسلمين ألاّ تتمّ المقابلة، وإن تحرّق الفرد المؤمن إليها شوقاً ومن هنا يكون الفرد الاعتيادي في حالة يأس من مقابلته والتعرّف إليه.

مهامّ الإمام المهدي (عليه السّلام) في الغيبة الكبرى

تتركّز مهامّ الإمام (عليه السّلام) - مع ملاحظة إنقياد الأُمّة وطاعتها له - في الأمور التالية:

1. وجوب تولّيه رئاسة الدولة وقيادة الأُمّة، بمعنى تطبيق الأطروحة الكاملة للعدل الإسلامي علي وجه الأرض، والأخذ بزمّام أمور المجتمع وإدارته لأجل ضمان هذا التطبيق.
2. وجوب الدعوة الإسلاميّة، بمعنى إدخال المجتمع الكافر في بلاد الإسلام، إمّا بالحرب أو بالصلح أو بغيرهما.
3. وجوب الحفاظ علي المجتمع المسلم ضدّ الغزو الخارجي ، والدفاع عن بيضة

4. وجوب صيانة المجتمع المسلم من الانحراف و شيوع الفساد في العقيدة أو السلوك بالتوجيه الصحيح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و تبليغ تعاليم الإسلام.

وهذه الأمور الأربعة، تجب وجوباً مطلقاً في أي مكان وزمان، ويجب أن يبذل الإمام والأئمة في سبيلها أقصى ما يستطيع و تستطيع.

5. وفي صورة عجز الإمام عن جملة من الأعمال السابقة؛ لكونه يعيش في مجتمع منحرف يطارده و يراقبه و يعزله عن الأعمال الاجتماعية والسياسية، كما كان عليه حال عامة أئمتنا (عليهم السّلام). ففي مثل ذلك يكون عمل الإمام (عليه السّلام) مكرّساً في الأغلب - علي الحفاظ علي قواعده الشعبية و مواليه، و علي حسن علاقتهم بالآخرين و حسن تلقّيهم تعاليم الدين و تطبيقهم أحكام الإسلام.

نعم إن وجد الإمام طريقاً إلي القيام ببعض الأعمال الإسلامية علي نطاق واسع، وكان المانع مرتفعاً عنه في ذلك العمل، وجب عليه إنجازه ولا سيّما إذا كان ذلك العمل أوسع من قواعده الشعبية وشاملاً لكلّ بلاد الإسلام.

6. وجوب إغاثة الملهوف وإعانة المضطرّ، وهو تكليف عامّ لا يختصّ بالإمام (عليه السّلام)، بل يعمّ كلّ مسلم، نعم قد يحول العجز عن الإغاثة أو يحول وجود عمل أو هدف إسلامي أهمّ عن الإغاثة، فيسقط وجوبها.

إنّ الإمام المهدي (عليه السّلام)، مذخور للقيام بتأسيس وإدارة دولة الحقّ العالمية في اليوم الموعود، و هو من أعظم الأهداف الإلهية التي ترتبط بأصل خلق البشرية ووجودها. وقد علمنا من القواعد العامة بما فيها قانون المعجزات بأنّ الأهداف الإلهية العليا تتقدّم علي أي شيء آخر، فكل ما تتوقّف هذه الأهداف العُليا علي حدوثه فإنّه يحدث لا محالة وكل ما تتوقّف علي انتفائه وانعدامه فإنّه ينتفي لا محالة سواء كان ذلك من أمور الكون أو من أحكام الشريعة.

فإذا نظرنا إلي هذا الهدف المهمّ الذي دُخِر الإمام المهدي (عليه السّلام) له، وجدنا أموراً

عديدة يتوقف هذا الهدف علي حدوثها كوجود المهدي (عليه السلام) وغيبته، والمعجزة التي تتكفل طول بقائه، والمعجزة التي تتكفل اختفائه الشخصي أحياناً لصيانته من الأخطار، كما نجد أموراً يتوقف اليوم الموعود علي انتفائها، فمن ذلك في جانب الأحكام:

أن كل حكم شرعي يكون تطبيقه متناًياً مع حفظ الإمام المهدي (عليه السلام) أو غيبته، وبالتالي يكون متناًياً مع تحقق اليوم الموعود فإنّ وجوب تطبيق هذا الحكم يكون ساقطاً شرعاً عن الإمام (عليه السلام)، ولا يجب عليه امتثال هذا الحكم و تنفيذه، وأما الأحكام الشرعية الإسلامية غير المنافية لهذه الأمور سواء كانت أحكاماً فردية كوجوب الصلاة والصوم أو أحكاماً اجتماعية عامة كوجوب الأمر بالمعروف - مثلاً. فلا موجب للالتزام بسقوطها، بل تكون شاملة له، و يجب عليه تنفيذها لاستطاعته، وعدم منافاتها مع غيبته والهدف من وجوده.

إذا علمنا ذلك، استطعنا أن نحكم بوضوح بسقوط التكليف بأي واحد من الأمور السابقة إذا كان مستلزماً لانكشاف أمره وزوال غيبته، وهذا واضح إلي حدّ كبير في الأمور الثلاثة الأولى، فإنّه مستلزم لذلك عادة، إلا أن يفترض كونه قائداً أو موجّهاً بشخصية ثانوية يُعرفُ بها غير صفته الحقيقية.

بدأت الغيبة الكبرى بانتهاء السفارة، وتنتهي عندما يأذن الله بظهور

الإمام (عليه السلام) لإقامة دولة الحق.

وللغيبة الكبرى خصائص، منها: انقطاع الارتباط بالإمام (عليه السلام)، و بروز ظاهرة التشكيك في وجوده، فضلاً عن انتشار الظلم والفساد في الأرض، وازدياد اضطهاد الجماعة الصالحة.

وهناك أطروحتان حول تحرك الإمام (عليه السلام) في هذه الفترة دون أن يخل ذلك باحتجابه وغيبته، وهناك مجموعة من العوامل ساعدت في اختفاء الإمام (عليه السلام) وجعلت البحث عنه من الاستحالة بمكان. سواء كان البحث من قواعده الشعبية أو من معاديه.

وللإمام (عليه السلام) مهام خلال فترة احتجابه و ظهوره يسعى لتحقيقها فيما إذا توفرت شروط معينة.

الأسئلة

1. ما هي خصائص الغيبة الكبرى؟
2. لماذا تبرز ظاهرة التشكيك في وجود الإمام (عليه السلام) حال الغيبة الكبرى؟
3. هناك أطروحتان لكيفية تحرك الإمام (عليه السلام) في الغيبة الكبرى، اذكر أدلة كل منهما؟
4. ما هي العوامل التي ساعدت في المنع عن البحث عن الإمام (عليه السلام)؟
5. كيف تأخذ الجماعة الصالحة معالم دينها وأحكامها في الغيبة الكبرى؟

الدرس 23: الإنتفاع بالإمام (عليه السّلام) في الغيبة الكبرى (1)

إذا كان الإمام الغائب لا يستطيع ممارسة واجباته السياسية والاجتماعية، إذن فما الفائدة في وجوده وإمامته.

وإذا وصلنا إلي روح هذا السؤال استطعنا أن نعمّمه علي سائر الأئمة الحاضرين قبل الغيبة في المجتمع الإسلامي ولكنّهم لم يكونوا قادرين علي ممارسة مهامهم الاجتماعية والسياسية وهي إدارة شؤون الدولة الإسلامية وقيادة الأمة الإسلامية قيادة علنية كما كان يمارسها الخلفاء والحكّام بعد عصر الرسول (صليّ الله عليه وآله وسلّم).

إذن ينسحب هذا السؤال الخطير علي إمامة جميع الأئمة المعصومين ما عدا فترة من حياة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وفترة قصيرة جدّاً من حياة الإمام الحسن المجتبي (عليه السّلام) وأخري من حياة الإمام الحسين (عليه السّلام).

ومن هنا انطلق بعض الكتاب المعاصرين للتشكيك في إمامة الأئمة الاثني عشر متجاوزاً بهذا الإشكال إمامة الإمام المهدي المنتظر من أهل البيت (عليهم السّلام).

ويندفع هذا الاعتراض من أساسه إذا استطعنا أن نتصوّر للإمام الغائب دوراً اجتماعياً أو سياسياً يقوم به في عصر غيبته. كما استطعنا أن نصوّر لسائر الأئمة من أهل البيت (عليه السّلام) أدواراً اجتماعية وسياسية كانوا يقومون بها في حياتهم بالرغم من

الحصار و الرقابة الشديدة عليهم ممّا أدّى هذا النوع من النشاط والدور إلي عدم تحمّل وجودهم أحياءً في أوساط الأمة الإسلاميّة. فبادر الحكّام إلي عزلهم بالكامل و محاصرتهم حتّي في داخل بيوتهم و حياتهم الشخصيّة، فكان الإمام الرضا (عليه السّلام) وليّاً للعهد ولكنه كان مراقباً علي الدوام من قِبَل المأمون العباسي. وكانت زوجة الإمام الجواد(عليه السّلام) بنت المأمون فهي خير رقيب عليه و سُجِنَ الإمام الهادي والعسكري (عليهما السّلام) في سامراء إلي جانب قصر الخليفة.

ولم تدم أعمار هؤلاء الأئمة طويلاً ولم تبلغ حتّي متوسط العمر الطبيعي لكل إنسان بالرغم من كونهم أصحّاء غير مبتلين بمرض يؤدّي بحياتهم.

إذن تاريخ أهل البيت (عليهم السّلام) الحافل بالجهاد والنشاط الاجتماعي والسياسي غير المباشر خير دليل علي أنّ أهل البيت (عليهم السّلام) هم أهل بيت الرسالة والأمناء عليها شاء الناس أم أبوا ذلك، وهم يمارسون واجباتهم كأئمة هداة علي أيّ حال وفي كلّ الظروف وإن انتهت ممارساتهم الجهادية إلي القتل والسبي والتشريد والاضطهاد والسجن حيث لا تأخذهم في الله لومة لائم، كما شهد تاريخهم المجيد بذلك.

إن تاريخ أهل البيت (عليهم السّلام) بدءاً بالإمام علي (عليه السّلام) وانتهاءً بالإمام العسكري (عليه السّلام) وهم يعيشون مختلف الظروف السياسية والاجتماعية القاسية حافلٌ بصور الجهاد التي لم نجد لها مثيلاً عند غيرهم من المسلمين و حينئذٍ ألا يكون جهاد أصحاب هذا الخط المؤرّر بالتضحيات دليلاً واضحاً ومنطقياً علي أنّهم أعرف بمهامهم وأنهم لا يتخلّون عنها بأي شكل.

ومن هنا سوف يولّد هذا الاستقرار لنا اطمئناناً نفسياً علي أنّ الإمام المهدي (عليه السّلام) كسائر آبائه الطاهرين يمارس مهامه و هو غائب عن الأنظار كما يمارسها و هو حاضر ولا يتلکأ في ذلك رغم حراجه الظروف وصعوبتها. بل لعلّه بغيبته يكون أقدر علي الممارسة و التحرك.

علي أنّ مهامّ الأئمة الأطهار لا تتلخّص في ممارسة العمل السياسي أو الجهادي

المكشوف بل إنها تستوعب كل أوجه النشاط الاجتماعي والسياسي والثقافي للأمة ولمجاهديها وعلمائها ورموزها بشكل مباشر أو غير مباشر إن تعدد التوجيه المباشر. ولا يبعد أن يكون نشاط الإمام (عليه السلام) الاجتماعي والسياسي في غيبته أكثر وأكبر حجماً من نشاطه ممّا لو كان ظاهراً يُعرف بشخصه في عصر الغيبة الذي نتكلم عنه.

وينبغي أن لا يغيب عنا أنّ النشاط السياسي أو الاجتماعي هو أحد مهام الإمام المعصوم (عليه السلام) التي تشمل الأمة المسلمة والرسالة الإسلامية وما يتعلّق بهما بل الإنسانية جمعاء وتبدأ هذه المهام بصيانة الرسالة والشريعة من التحريف وصيانة الأمة الإسلامية من الانهيار والاضمحلال وبالتالي صيانة وجودهم السياسي وكيانهم الدولي من الضعف إن أمكن ذلك ثم قيادته العلنية للأمة الإسلامية إن توفرت ظروفها وشروطها.

إذن هنا عدّة مهام مترتبة من حيث الأهمية.

وحين يعزل الإمام من مركز القيادة العلنية للأمة فإنه يضطرّ لممارسة دورة القيادي وسائر مهامه من وراء الستار.

ونحن لا نستطيع أن ننكر ممارسته لدوره بعد أن قام الدليل النقلي والعقلي علي وجوده واستمرار حياته وضرورة بقائه ولو كان ذلك بقدرة إلهية خاصّة.

ويشهد بقاء الأمة الإسلامية بالرغم من أنّها قد مرّت بظروف عصيبة جداً كانت من شأنها أن تضمحلّ بالكامل وبقاء مشعل الحقّ فيها متوهجاً علي مدي القرون، واستمرار روح الثورة والجهاد ضدّ الباطل بالرغم من شرارته وهيمته علي العالم أجمع، كلّ ذلك يشهد علي أنّ يداً غيبية ترعي هذه الأمة المسلمة وأنّ قلباً واعياً وهادياً يوقد مشعل الحقّ الهادي علي مدي العصور.

وقد أشارت جملة من النصوص الروائية الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) وبعضها عن الإمام المهدي (عليه السلام) بالذات إلي كيفية الانتفاع به في عصر الغيبة بحيث تتحقّق بعض الأغراض - إن لم تتحقّق جميعها قبل توفّر الشروط اللازمة لإقامة دولة العدل

الموعود. و حينئذٍ سوف لا يكون وجوده لغواً بل يكون ضرورياً إذا أخذنا كل الأهداف البعيدة و القريبة من وجوده بنظر الاعتبار.

فمن ذلك قوله المشهور: وأما وجه الانتفاع في غيبيتي، فكالاتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب(1). وأضاف(عليه السلام): وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء

فالسحاب كناية عن خفاء العنوان، والشمس كناية عن التأثير النافع المنتج في المجتمع بعد وضوح أن العمل الذي يمكن للمهدي (عليه السلام) تنفيذه مع جهل الناس بحقيقته و عنوانه - أي في غيبيته - أقل بكثير مما يستطيع القيام به حال ظهوره وإعلان أمره.

ومن ذلك: ما روي عن الإمام المهدي (عليه السلام) أيضاً في نص له بهذا الخصوص: إنّا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء و اصطلمكم الأعداء، فاتّقوا الله جلّ جلاله، وظاهرونا علي انتباشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حمّ أجله و يحمي عنها من أدرك أمه(2).

ونحن نعلم أن وقوفه(عليه السلام) ضدّ الأعداء ونزول اللأواء - وهي الشدائد لا يكون إلا بالعمل المثمر والجهاد الحقيقي علي الصعيدين العام والخاص. و خاصّة و هو يأمرنا بمظاهرتة أي معاونته و موافقته علي إخراجنا من الفتنة والنجاة من الهلكة. فإنّ علي كل فرد مسؤوليّة تامّة في ذلك، ولا تنحصر المسؤوليّة بالقائد كما هو واضح، بل أن شعوره بالمسؤولية لا يكاد يكون مثمراً من دون شعور شيعة و رعيتة بمسؤوليتهم تجاه قائدهم و مبدأهم أيضاً.

إذن فهو(عليه السلام) يحمل همّ شعبه و مواليه، يتدكّرهم دائماً ويعمل علي حفظهم و دره المخاطر عنهم باستمرار، بمقدار ما يمكنه أن يؤدّيه من عمل تماماً، كما عرفنا عن

ص: 227

1- الاحتجاج، ج 2، ص 284 وغيرها.

2- الاحتجاج، ج 2، ص 223.

آبائه (عليهم السّلام)، وكما عرفناه في خلال غيبته الصغري، غاية الفرق أن تلك الأعمال كانت منه و من آبائه (عليهم السّلام) بالصفة الحقيقية لهم، وأمّا عمله خلال هذه الفترة، فليست بهذه الصفة وإنّما بصفته فرداً اعتيادياً في المجتمع.

ولكن الإمام المهدي (عليه السّلام) يتوخّى في موارد عمله وجود شرطين أساسيين إن اجتمعا كان في إمكانه أن يتصدّى للعمل، وإن تخلف أحدهما ترك العمل لا محالة وأبقى الواقع علي واقعه.

الشرط الأوّل: أن لا يؤدي به عمله إلى انكشاف أمره وانتفاء غيبته، إذ من الواضح أن المهدي (عليه السّلام) حين يقوم بالأعمال العامة الإسلامية، بصفته فرداً عادياً في المجتمع يمكنه أن يستمر بها إلى حدّ معين ليس بالقليل. ولكنّه لو لمع اسمه واشتهر صيته ب(شخصيته الثانوية) لكان هناك احتمال كبير في انكشاف حقيقته وافتضاح سرّه. ولا أقلّ من أن ينتبه الناس إلى غموض نسبه وجهالة أصله، فيتوصّلموا بالفحص والسؤال إلى حقيقته، أو يحتملوا ذلك علي الأقل، وهو ما لا يريده الله تعالى أن يكون.

إذن فعمل الإمام المهدي (عليه السّلام) لابدّ أن يقتصر علي الحدود التي لا تؤدي إلى انكشاف أمره، فيدقّق في ذلك ويخطّط له، وهو الخبير الألمعي ويحسب لكل عمل حسابه، وأي عمل علم أن التدخّل فيه يوجب الانكشاف: انسحب عنه، مهما ترتبت عليه من نتائج لأنّ الحفاظ علي سرّه و ذخره لليوم الموعود، أهمّ من جميع ما يتركه من أعمال.

ولكن هذا لا ينافي تأثيره في الأعمال اليومية الخيرة التي نراها سائدة في المجتمع، وذلك لإمكان أن يكون هو المؤثر في تأسيسها حال صغرها وضآلة شأنها، وقد أودعها إلي المخلصين الذين يأخذون بها ويذكّون أوارها، بدون أن يلتفتوا أو يلتفت إلي حقيقة عمله، بقليل ولا بكثير.

الشرط الثاني: أن لا يؤدي عمله إلى التخلف والقصور في تربية الأمة أو اختلال شرائط يوم الظهور الموعود.

بيان ذلك، أننا أشرنا أن ليوم الظهور الموعود شروطاً سوف تتعرض لها تفصيلاً ولكل شرط من تلك الشروط أسبابه وعلله. تلك الأسباب التي تتولد و تنشأ في عصر ما قبل الظهور، حتى إذا أتت أكلها و أثرت تأثيرها بتحقيق تلك الشروط و إنجازها كان يوم الظهور قد آن أو انه و تحققت أركانها.

و المهدي (عليه السلام)، حيث يعلم الشرائط والأسباب، فهو مكلف - علي الأقل - بحماية تلك الأسباب عن التخلف أو الانحراف، لئلا يتأخر تأثيرها أو ينخفض عما هو المطلوب انتاجها، إن لم يكن مكلفاً بإذكاء أوارها و السير الحثيث في تقدم تأثيرها.

ومن أهم شرائط اليوم الموعود، أن تكون الأمة ساعة الظهور علي مستوي عالٍ من الشعور بالمسؤولية الإسلامية، والاستعداد

للتضحية في سبيل الله عزوجل. أو علي الأقل، أن يكون فيها العدد الكافي ممن يحمل هذا الشعور ليكون هو الجندي الصالح الذي يضرب بين يدي المهدي (عليه السلام) ضد الكفر والانحراف، و يكون الجيش المكوّن من مثل هذا الشخص هو الجيش الرائد الواعي الذي يملأ الأرض بقيادة المهدي (عليه السلام) قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وإذا كان ذلك من الشرائط، فلا بد من توفر أسبابه في زمن ما قبل الظهور في عصر الغيبة الكبرى والمحافظة علي هذه الأسباب. والسبب الرئيسي لتولد مثل هذا الوعي والشعور بالمسؤولية الإسلامية و الإقدام علي التضحية لدي الأمة بالمستوي المطلوب، هو مرورها بعدد مهم من التجارب القاسية والظروف الصعبة وإحساسها بمرارة الظلم والتعسف ردياً كبيراً من الزمن؛ حتى تستطيع أن تعي نفسها وأن تشخص واقعها و تشعر بمسؤوليتها، فان هذه الصعوبات كالمبرد الذي يجلو الذهب و يجعل السكين نافذاً، فإن الأمة - في مثل ذلك - لاتخلد إلي الهدوء والسكون بل تضطر إلي التفكير بأمرها وبلورة أفكارها، و تشخيص آلامها وآمالها، و تشعر بنحو وجداني عميق بسهولة التضحية في سبيل الأهداف الكبيرة ووجوبها إذا لزم الأمر و نادي منادي الجهاد في سبيل الله.

وتلك الأمة الواعية هي التي تستطيع أن تصول بين يدي الإمام المهدي (عليه السلام) وأن تؤسس العدل المنتظر في اليوم الموعود، دون الأمة المنحرفة المتداعية، أو الأمة المنعزلة أو المنصهرة المنهارة، فإذا كان مرور الأمة بظروف الظلم والتعسف ضرورياً لتحقيق شرط اليوم الموعود، فمثل هذا الشرط يجب رعايته والمحافظة عليه.

إذن فالمهدي (عليه السلام) بالرغم من أنه يشعر بالأسى لمرور شعبه وقواعده بمثل هذه الظروف القاسية، إلا أنه لا يتصدى لإزالتها ولا يعمل علي تغييرها، تقديماً لمصلحة اليوم الموعود علي أهل هذا اليوم الموجود.

وأما ما لا يكون من الظلم دخيلاً في تحقيق ذلك الشرط، وكان الشرط الأول لعمل المهدي (عليه السلام) متوقفاً فيه -أيضاً- فإن الإمام (عليه السلام) يتدخل لإزالته ويعمل علي رفعه، بموجب التكليف الشرعي الإسلامي المتوجه إليه.

ونحن الذين لا نعيش هموم الإمام المهدي (عليه السلام) وأهدافه ورؤاه - نكاد نكون في جهل مطبق، من حيث تشخيص أن هذا الظلم هل له دخل في تحقيق شرط الظهور أو لا. ما عدا بعض موارد التخمين. فإنه يحتاج إلي نظر بعيد يمتد خلال السنين إلي يوم الظهور. وهذا النظر منعدم لدي أي فرد في العالم ما عدا المهدي (عليه السلام) نفسه، فيعود تشخيص ذلك إليه، بما وهبه الله من ملكات وقابليات علي تشخيص الداء وتوفير الدواء(1).

ص: 230

الدرس 24: الإنتفاع بالإمام (عليه السّلام) في الغيبة الكبرى (2)

إشارة

ول«رونلدسن»: عدم التفات الإمام المهدي (عليه السّلام) إلي أصحابه وقواعده الشعبية و عدم رفع الظلم عنهم، وهو بذلك يريد أن يستنتج عدم وجوده زاعماً أنّه لو كان موجوداً، فهو شخص يشعر بالمسؤولية والعطف تجاه أصحابه، فهو لا محالة رافع للظلم عنهم. مع أنّه لم يعمل ذلك، بالرغم من أنّ المظالم في التاريخ كثيرة وشديدة. فهو غير موجود.

وهو وإن لم يصرّح بهذه النتيجة، ولكنّه يوحي بها إيحاءً واضحاً، حين يقول:

«وفي القرن التالي الغيبة الإمام استلم البُويهيّون زمام السلطة الزمنية فبدلوا جهوداً كبيرة لتوحيد الطائفة الشيعية و تقويتها، كبناء مشاهدها وجمع أحاديثها و تشجيع علمائها و مجتهدتها.

ومع ذلك فلم يظهر الإمام المنتظر في هذا القرن الذي كانت الطائفة الشيعية تتمتع فيه بحسن الحال».

و مرّ قرن آخر دالت فيه دولة حماة الشيعة من البُويهيّين، ولكنّ

الإمام في (غيبته الكبرى).

و مرّ قرن ثالث يمتاز بالظلم والثورات و تحكّم المماليك، ولكنّ الإمام الذي كانوا

يرتجون ظهوره لم يظهر.

وجاء دور الحروب الصليبية التي اشترك (آل البيت) فيها دون أن يكون لهم إمام، فمن الجانب الإسلامي، كانت السلطة لإعلان الجهاد تنحصر بيد بني العباس والفاطميين المارقين في مقاومة الجيوش الغازية للشعوب المسيحية بالاسم في أوروبا ولكن الإمام أآخر ظهوره.

وبعد مرور أربعة قرون علي وفاة آخر الوكلاء في القرن الثالث عشر الميلادي- اجتاح الغزاة المغول بلاد ايران يقتلون ويهدمون بقساوة لا مثيل لها.

وبالرغم من التخريب والآلام فإنّ (صاحب الزمان) المنتظر بفارغ الصبر لم يظهر.

وحتى في ابتداء القرن السادس علي زمن شيوخ آذربيجان والدولة الصفوية الجديدة، لم يتصل الإمام الغائب بشيعته إلا بالحلم فكان يظهر لهؤلاء الملوك كما يدعون!!⁽¹⁾.

وبالرغم من أنّ في هذا الكلام توجد عدّة نقاط تحتاج إلي إعادة النظر، إلا أنّ المهم مناقشة الاشكال الرئيسي الذي يثيره روندسن، وهو استبعاد وجود الإمام من خلال عدم ظهوره عند الحاجة لأجل رفع الظلم عن قواعده الشعبية خاصّة، والمسلمين عامّة.

وقد اتّضح الجواب علي ذلك ممّا قلناه متمثلاً في عدّة وجوه:

أولاً: إنّنا يجب أن لا نتوقّع من الإمام المهدي (عليه السّلام) الظهور الكامل، في أيّ ظرف من الظروف، باعتباره مذخوراً لنشر العدل الكامل في العالم كلّ، لا لرفع المظالم الوقتية أو الاتّصال بأشخاص معيّنين.

وقد عرفنا أنّ الإسراع بالظهور قبل أوانه يوجب جزءاً فُشل التخطيط الإلهي لليوم الموعود، لأنّ نجاحه منوط بشروط معيّنة وظروف خاصّة لا تتوفّر قبل اليوم الموعود.

ص: 232

1- عقيدة الشيعة، لرونلدسن، ص 349.348 .

وقد عرفنا أنّ كلّ ما أعاق نجاحه لا يمكن وجوده بحسب إرادة الله تعالى وإرادة المهدي (عليه السّلام) نفسه، مهما كان الظرف مهمّاً وصعباً.

ثانياً: إنّنا نحتمل - علي الأقل - أنّ المهدي (عليه السّلام) يري أنّ بعض الظلم الذي كان ساري المفعول خلال التاريخ، كالحروب

الصليبية مثلاً، غير قابلة للإزالة من قبله حال الغيبة بحال، ولا ينفع التخطيط السريّ أو العمل الاعتيادي، بصفته فرداً عادياً، في إزالتها؛ لقوّة تأثيرها وضرارة اندفاعها. ومعها يصبح الإمام المهدي (عليه السّلام) حال غيبته عاجزاً عن رفع هذا الظلم، فيكون معذوراً بالنسبة لعدم التصدّي لرفعه طبقاً للقواعد الإسلاميّة و لوظيفته الصحيحة.

ثالثاً: إنّ جملة من موارد الظلم الساري في المجتمع لا- يتوفّر فيه الشرط الأوّل من الشرطين السابقين اللّذين ذكرناهما لعمل الإمام المهدي (عليه السّلام)، فلا يعمل المهدي لإزالته بطبيعة الحال، وهو ما إذا كان العمل ملازماً لانكشاف أمره وانتفاء غيبته.

رابعاً: إنّ جملة من موارد الظلم، لا يتوفّر فيه الشرط الثاني من الشرطين السابقين، باعتبار أنّ وجوده سبب لانتشار الوعي في الأمة وشعورها بالمسؤولية الّذي هو أحد الشروط الكبرى ليوم الظهور. وقد قلنا بأنّ مثل هذا الظلم وإن وجب علي الأمة الكفاح لإزالته إلا أنّ الإمام المهدي (عليه السّلام) لا يتسبّب لرفعه، لأنّ في رفعه إزالة للشرط الأساسي لليوم الموعود، وهو ما لا يمكن تحقّقه في نظر الإسلام.

إذن سائر أنحاء الظلم الساري المفعول في التاريخ لا محالة مندرجة تحت أحد هذه الأمور، فإذا كان الإمام المهدي (عليه السّلام) قد عمل لإزالتها فقد خالف وظيفته الإسلاميّة ومسؤوليّته الحقيقيّة، ولا أقل من احتمال ذلك.

إذن فليس هناك أي تلازم بين وجود المهدي (عليه السّلام) وبين وقوفه ضدّ هذه الأنحاء من الظلم حتّي يمكن لرونلدسن أن يستنتج من عدم وقوفه ضدّ الظلم، عدم وجوده.

وأما الأنحاء الأخرى من الظلم، فقد قلنا بأنّ تكليفه الشرعي ووظيفته الإسلاميّة، تقتضي وقوفه ضدّه و حيلولته دونه بصفته فرداً عادياً في المجتمع كما أوضحناه. إذن

فهو يقف ضد الظلم في حدود الشروط الخاصة الإسلامية، كيف و هو علي طول الخط يمثل المعارضة الصامدة ضدّ الظلم والطغيان(1).

موطن الإمام (عليه السلام) في الغيبة الكبرى

تعدّدت النصوص الواردة حول موطن الإمام المهدي(عليه السلام) وإليك جملة منها:

1. قال الإمام المهدي (عليه السلام) لمحمد بن إبراهيم بن مهزيار حين قابله:

يا ابن المازيار! أبي محمد عهد إليّ أن لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم ولهم الخزي في الدنيا والآخرة ولهم عذاب أليم. وأمرني أن لا أسكن من الجبال إلا وعرها، و من البلاد إلا عفرها.. 2. وهناك روايتان تشيران إلي أنّ المهدي(عليه السلام) يسكن الجزر المجهولة في البحر الأبيض المتوسط(2).

(3) ورد عن أبي بصير عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال: لا بدّ لصاحب هذا الأمر من عزلة، ولا بدّ في عزلته من قوّة، وما بثلاثين من وحشة ونعم المنزل طيبة(3).

زواج الإمام المهدي(عليه السلام) وأولاده

وردت بعض النصوص المشيرة إلي قضية زواج الإمام المهدي(عليه السلام) وأولاده وهي:

1. روي الشيخ النعماني تلميذ ثقة الإسلام الكليني في كتاب الغيبة، والشيخ الطوسي في كتاب الغيبة بسندين معتبرين عن المفصّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:

ص: 234

1- السيد محمّد الصدر، تاريخ الغيبة الكبرى، ص 57 - 59.

2- النجم الثاقب، ج 2، ص 182 و مابعدھا.

3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 102.

إن لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتّى يقول بعضهم مات ويقول بعضهم قتل، ويقول بعضهم ذهب، حتّى لا يبقى علي أمره من أصحابه إلا نفر يسير لا يطّلع علي موضعه أحد من ولده ولا غيره إلا الذي يلي أمره(1).

2. روي الشيخ الطوسي وجماعة بأسانيد متعدّدة عن يعقوب بن يوسف الضراب الإصفهاني أنّه حجّ في سنة إحدى وثمانين ومائتين، فنزل بمكة في سوق الليل بدار تسمّى دار خديجة، وفيها عجوز كانت واسطة بين الشيعة وإمام العصر(عليه السلام). والقصة طويلة وذكر في آخرها أنّه(عليه السلام) أرسل إليه دفتراً وكان مكتوب فيه: صلوات الله علي رسول الله صلّي الله عليه وآله وسلّم وباقي الأئمة وعليه صلوات الله عليه، وأمره إذا أردت أن تصلّي عليهم فصلّ عليهم هكذا وهو طويل، وفي موضع منه:

«اللهم اغطه في نفسه وذريّته وشيعته ورعيّته وخاصّته وعامّته وعدوّه وجميع أهل الدنيا ما تقرّ به عينه...».

وفي آخره هكذا:

«اللهم صلّ علي محمّد المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء والحسن الرضا، والحسين المصنّف، وجميع الأوصياء مصابيح الدّجى، وأعلام الهدى، ومنار التقي والعروة الوثقى، والحبل المتين، والصراط المستقيم وصلّ علي وليّك وولاه عهده والأئمة من ولده، و مدّ في أعمارهم وزد في آجالهم، وبلغهم

آمالهم ديناً ودينياً، و آخره أنّك علي كلّ شيء قدير»(2).

3. وجاء في زيارته المنصوصة التي تقرأ في يوم الجمعة، ونقلها السيد رضي الدين علي بن طاووس في كتاب (جمال الأسبوع):

«صلّي الله عليك وعلي آل بيتك الطيّبين الطاهرين».

ص: 235

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 162.

2- المصدر نفسه، ص 275.

وفي موضع آخر منها: «صلوات الله عليك وعلي آل بيتك هذا يوم الجمعة».

وفي آخرها قال: «صلوات الله عليك وعلي أهل بيتك الطاهرين». 4. نقل السيد ابن طاووس (رحمه الله) وغيره زيارة له (عليه السلام) وإحدى فقراتها هو الدعاء بعد صلاة تلك الزيارة كما يلي:

«اللهم اغْطِهِ في نفسه وذريّته وشيعته ورعيّته وخاصّته وعامّته وجميع أهل الدنيا ما تقرّ به عينه، و تسرّ به نفسه»(1).

5. روي السيد الجليل علي بن طاووس في كتاب (عمل شهر رمضان) عن ابن أبي قرّة دعاءً لا يبدّ أن يقرأ في جميع الأيام لحفظ وجود الإمام الحجّة (عليه السلام)، ومن فقرات هذا الدعاء: «وتجعله وذريّته من الأئمّة الوارثين»؟(2).

ص: 236

1- البحار، ج 102، ص 100-101.

2- النجم الثاقب، ج 2، ص 71.

إنّ الاستفادة من الإمام (عليه السّلام) حال غيبته الكبرى حاصلة دون أدنى شكّ سواء حصل لنا العلم بالكيفية التي تتمّ بها أم لم يحصل ذلك، فإنّ التشبيه الوارد في الروايات بحمل الانتفاع به (عليه السّلام) كما ينتفع بالشمس حين تحجبها السحاب، وأنّه (عليه السّلام) أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء. وقد وردت تشكيكات حول سبب عدم ظهوره مع ازدياد الظلم والجور، كما أنّه قد قامت دول موالية أو شيعية في فترات من التاريخ.

وقد وردت مجموعة من الروايات تشير إلي مكان وجوده المبارك (عليه السّلام) وتشير إلي زواج الإمام (عليه السّلام) وأنّ له عددًا من الأولاد.

الأسئلة

1. كيف يتمّ الاستفادة والانتفاع من الإمام (عليه السّلام) خلال الغيبة الكبرى؟
2. هل أشار الإمام (عليه السّلام) إلي كيفية الانتفاع به؟ وكيف؟ 3. ماهي الشروط التي لتوقّرت لأمكن للإمام أن يتحرّك؟
4. ماهي الشبهة التي أثارها رونلديسن؟ وما هو جوابها؟
5. اذكر نصّاً يحدّد موطن و مسكن الإمام (عليه السّلام) في غيبته الكبرى؟
6. ضهل وردت روايات حول وجود أولاد للإمام (عليه السّلام) اذكر نصّاً منها؟

الدرس 25: تكاليف الأمة الإسلامية في عصر الغيبة الكبرى (1)

1. الإيمان بالإمام المهدي المنتظر (عليه السلام)

من التكاليف المطلوبة إسلامياً حال الغيبة: الاعتراف بالمهدي (عليه السلام) كإمام مفترض الطاعة وقائد فعلي للأمة، وإن لم يكن عمله ظاهراً للعيان، ولا شخصه معروفاً لدى الناس.

وهذا من الضروريات الواضحة، علي المستوي الإمامي للعقيدة الإسلامية وقد اعتبرناها في هذا التأريخ أصلاً مسلماً.

فإنه الإمام الثاني عشر الموجه لقواعده الشعبية، وهو المعصوم المفترض الطاعة الحي منذ ولادته إلي زمان ظهوره.

وحسب الفرد المسلم أن يعلم أن إمامه وقائده مطلع علي أعماله وملم بأقواله، يفرح للتصرف الصالح ويأسف للسلوك المنحرف، ويعضد الفرد عند الملمات... حسب الفرد ذلك لكي يعي موقفه ويحدّد سلوكه تجاه إمامه، وهو يعلم أنه يمثل العدل المحض وأن رضاه رضاء الله ورسوله، وأن غضبه غضب الله ورسوله.

كما أن حسب الفرد أن يعرف أن عمله الصالح و تصعيد درجة إخلاصه و تعميق شعوره بالمسؤولية تجاه الإسلام والمسلمين، يشارك في تحقيق شرط الظهور

إذن ف(الجهاد الأكبر) لكل فرد تجاه نفسه يحتل الفرد المسؤولية الكبرى تجاه العالم كلّه، ويدعوه إلي ملئه قسطاً وعدلاً كما ملئ ظلماً و جوراً.

فكيف لا ينطلق الفرد مجاهداً مضحياً عاملاً في سبيل إصلاح نفسه وإرضاء ربّه؟!!

ومن ثمّ نرى النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) يؤسّس أساس هذا الشعور في الفرد المسلم ويقرن طاعة الإمام المهدي(عليه السّلام) بطاعته و معرفته - عليّ المستوي العملي التطبيقي - بمعرفته، فإنّ معرفة النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) بصفته حامل مشعل العدل إليّ القائم، والاعتراف به لا يكون بالاعتراف التاريخي المجرد بوجوده و وجود شريعته، بل بالمواظبة التامّة عليّ الالتزام بتطبيق تعاليمه والأخذ بإرشاداته وتوجيهاته، وإلاّ كان الفرد منكراً للنبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) كنبّيّ عليّ الحقيقة، وإن كان معترفاً بوجوده التاريخي.

وحيث أنّ أفضل سلوك إسلامي وأعدله إنّما يتحقّق تحت إشراف القائد الكبير وهو الإمام المهدي (عليه السّلام) إذن تكون الطاعة الحسني لنبيّ الإسلام وأفضل تطبيقات شريعته، هي ما كانت بقيادة المهدي(عليه السّلام) إذن صحّ أنّ معرفة المهدي (عليه السّلام) - عليّ المستوي السلوكي التطبيقي - معرفة النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم)، وإنكاره عليّ مستوي إنكاره له، ومن هنا نفهم مغزي ما ورد عن النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) بقوله: من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني(1).

وقوله (صليّ الله عليه وآله وسلّم): القائم من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، وشماله شمالي وسنّته سنّتي، يقيم الناس عليّ ملّتي و شريعتي، ويدعوهم إليّ كتاب ربّي عزّ وجلّ. من أطاعه فقد أطاعني، و من عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، و من كذّبه فقد كذّبني، و من صدّقه فقد صدّقني، الحديث(2). إليّ غير ذلك من الأخبار الواردة بهذا المضمون عنه (صليّ الله عليه وآله وسلّم) وعن أنمة الهدي (عليهم السّلام).

ص: 239

1- آية الله لطفي الصاني، منتخب الأثر، ص 492.

2- كمال الدين، ج 2، ص 411.

وهذا الكلام من النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وإن كان منطبقاً علي المعتقد الإمامي في المهدي (عليه السّلام) إلا أنّه بنفسه قابل للتطبيق علي المعتقد العام لأهل السنّة والجماعة في المهدي إذا استطعنا إلغاء فكرة الغيبة عن كلامه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فإنّهم عندئذ يتفقون مع الإمامية في مضمون الحديث جملةً وتفصيلاً، إذ من المقطوع به والمتسالم عليه بين سائر المسلمين أنّ المهدي (عليه السّلام) هو الرائد الأكبر في عصره لتطبيق الإسلام، فهو يقيم الناس علي ملّة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ويدعوهم إلي كتاب الله عزّ وجلّ.

ومن الطبيعي مع اتّحاد الاتجاه والأطروحة، أن تكون طاعة المهدي (عليه السّلام) ولا طاعة للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) و عصيانه عصياناً له، و تكذيبه تكذيباً له، و تصديقه تصديقاً له.

كما أنّ من المحتمّ أن يكون إنكار ظهور المهدي (عليه السّلام) وقيامه بالسيف لإصلاح العالم، إنكاراً لرسالة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ورفضاً لجهوده الجبّارة في بناء الإسلام، كيف لا؟ و ظهور المهدي (عليه السّلام) هو الأمل لرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في أن تسود شريعته في العالم، و تتكامل مساعيه و تضحياته بالنصر المبين، بعد أن لم تكن الشروط وافية والظروف مؤاتية لحصول هذا النصر في عصره.

بل يكون إنكار المهدي (عليه السّلام) في الحقيقة إنكاراً للغرض الأساسي من خلق البشرية والحكمة الإلهية من وراء ذلك، كما قد يؤدّي إلي التعطيل الباطل في الإسلام.2.

2. الانتظار

إشارة

الانتظار هو التوقّع الدائم لتنفيذ الغرض الإلهي الكبير و حصول اليوم الموعود الذي تعيش فيه البشرية العدل الكامل بقيادة الإمام المهدي (عليه السّلام) .

وهذا التوقّع الدائم لا يرفع التكاليف الإلهية بالنسبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والدفاع عن شعائر الله ودفع الفساد الاجتماعي والفردية.

بل إنّّه يدلّ علي تأكّد الواجبات والتكاليف ولزوم الاستعداد التام للوقوف إلي جنب

الإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته و ظهوره.

وينسجم الانتظار في بعض مستوياته مع الإعداد والتمهيد لظهور الإمام المنتظر القائم بالقسط والعدل.

يا تري ما هي مستويات الانتظار؟

مستويات الانتظار

إشارة

ويوضح لنا مغزي هذا التكليف بالانتظار من خلال المستويات التالية:

1. المستوى العقائدي

... ويتكوّن برهانياً من ثلاثة أمور: -

الأمر الأول: الاعتقاد بتعلّق الغرض الإلهي بإصلاح البشرية جميعاً وتنفيذ العدل المطلق فيها في مستقبل الدهر، وأنّ ما تعلّق به الغرض الإلهي والوعد الربّاني في القرآن لا يمكن أن يتخلّف.

الأمر الثاني: الاعتقاد بأنّ القائد المظفّر الرائد في ذلك اليوم الموعود، هو الإمام المهدي (عليه السلام) كما تواترت بذلك الأخبار عند الفريقين، ومن هنا أصبح ذلك ضروريّ الثبوت.

الأمر الثالث: الاعتقاد بأنّ المهدي القائد هو محمد بن الحسن العسكري (عليه السلام) ... الأمر الذي قامت ضرورة المذهب الإمامي. وقامت عليه الأعداد الضخمة من أخبارهم... ووافقهم عليه جملة من مفكّري العاظمة وعلمائهم كابن عربي في الفتوحات المكية، والقندوزي في ينابيع المودّة والحموي في فراند السمطين والكنجي في البيان وغيرهم.

2. المستوى النفسي للانتظار

ويتكوّن من أمرين رئيسيين: -

الأمر الأول: الاستعداد الكامل لتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة، كواحد من البشر علي أقلّ تقدير، إن لم يكن من الدعاة إليها والمضحّين في سبيلها.

ص: 241

الأمر الثاني: توقّع البدء بتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة أو شروق الظهور في أيّ وقت؛ لما قلناه من أنّه منوط بإرادة الله تعالى، بشكل لا يمكن لغيره التعيين أو التوقيت. و من المحتمل أن يشاء الله تعالى ذلك في أيّ وقت؛ مضافاً إليّ الأخبار الدالة علي حصوله فجأة أو بغتة.

3. المستوى السلوكي للإنتظار

إشارة

ويتمثّل بالالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الإلهية السارية في كلّ عصر، علي سائر علاقات الفرد وأفعاله وأقواله، حتّي يكون متّبعاً للحقّ الكامل والهادي الصحيح، فيكسب الإرادة القويّة والإخلاص الحقيقي الذي يؤهّله للتشرفّ بتحمّل طرف من مسؤوليات اليوم الموعود.

وهذا السلوك ضروري و ملزم لكلّ من يؤمن باليوم الموعود، علي أي من المستويات السابقة فضلاً عن مجموعها، وبخاصة المسلمين الذين قام البرهان لديهم بأنّ المهدي (عليه السّلام) يطبق أطروحته العادلة الكاملة متمثلةً في أحكام دينهم الحنيف.

وأما المسلم الأمامي الذي يعلم بأنّ قائده معاصر له، يراقب أعماله ويعرف أقواله، و يأسف لسوء تصرّفه، فهو مضافاً إليّ وجوب إعداد نفسه لليوم الموعود، يجب أن يكون علي مستوى المسؤولية في حاضره أيضاً. وفي كلّ أيام حياته، لكي لا يكون عاصياً لقائده متمرداً علي تعاليمه، وهذا الإحساس نفسه يسرع بالفرد إلي النتيجة المطلوبة، وهو النجاح في التمحيص، والإعداد لليوم الموعود.

وإذا كان الفرد علي هذا المستوى الرفيع استطاع أن يحرز الخير علي مستويات أربعة:

المستوي الأوّل

إحراز الخير لنفسه في دنياه وآخرته، أمّا في آخرته، فباعتبار رضا الله عزّوجلّ، وأمّا في دنياه فباعتبار أمرين:

أحدهما: السلوك العادل الذي يتّخذه الفرد والمعاملة الصالحة والعلاقات الجيّدة

التي يعامل بها الآخرين.

وثانيهما: أنه يصبح علي مستوى المسؤولية إذ يأمل بقاء القيادة في اليوم الموعود إذا أشرق فجره.

المستوي الثاني

إحراز الخير لأُمَّته باعتبار أنه إذ يعدّ نفسه الإعداد الصالح، فإنه يشارك في تهيئة شرط اليوم الموعود، بمقدار تكليفه وقدرته، فيكون قد تسبّب إلي الخير كلّ الخير بلأُمَّته.

المستوي الثالث

إحراز الخير، لا لأُمَّته فحسب، بل للبشرية جمعاء، فإنّ الخير الناتج من إيجاد شرط الظهور، عامّ لكلّ البشر، والمشاركة في إيجاد مشاركة في إيجاد العدل الكامل السائد في اليوم الموعود.

وهذه المستويات الثلاثة، ممّا تقتضيه العقائد الإسلامية العامّة المشتركة بين سائر المذاهب، بل ممّا يقتضيه الاعتراف باليوم الموعود، في أيّ دين من الأديان.

المستوي الرابع

إنّ الفرد بمساهمته في إيجاد شرط الظهور، يساهم في إرضاء إمامه المهدي (عليه السّلام) و جلب توجّهه فيما يخصّ الشعور بزيادة المؤمنين وقلّة العاصين والمشاركة الحقيقية في الإعداد للمدن الكبير.

وهذا المستوي خاصّ بالأطروحة الإمامية لفهم المهدي (عليه السّلام).

فهذه هي الجهات الأساسية التي يجب أن يتّخذها الفرد، لكي يكون علي المستوي الإسلامي المطلوب للانتظار.

3. أهمية العمل الإسلامي ما قبل الظهور

إن الفرد الذي يهرب بنفسه من ظروف الظلم، وهكذا المجتمع الذي يعيش في الرفاه النسبي بعيداً عن هذه الظروف، فإنه لن يعمل ولن يستطيع الوصول إلي حد الوعي والإخلاص المطلوب، ولو وصل إلي شيء، فإنما يصل إليه ببطء شديد، و يكون ضحلاً و قليلاً.

كما أن الأمة إذا شاع بين ظهرانيها الظلم والتعسف، وكانت راضية به مستسلمة تجاهه، لا يوجد فيها عمل ضده، ولا تفكير لرفعه أو تخفيف منه، إذن فسوف تكون أمة خائنة يتضاءل إخلاصها، وينمحي شعورها بالمسؤولية، وتحتاج في ولادة ذلك الشعور عندها من جديد إلي زمان مضاعف و دهر طويل. قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (1).

وليت شعري كيف يكون هؤلاء علي مستوي إصلاح البشرية كلها في اليوم الموعود، و هم قاصرون عن إصلاح مجتمعهم الصغير و أنفسهم؟

لهذا فالتفكير الجدّي والعمل الصالح الجهادي هو الأساس لتصعيد درجة الإخلاص والشعور بالمسؤولية والمران علي الصمود والتضحية هو الشرط الأساسي لتكفل مهمة اليوم الموعود.

ثم إن تصعيد درجة الإخلاص، قد يكون قائماً علي أساس الاضطرار، وقد يكون قائماً علي أساس الاختيار.

أما قيامه علي أساس الاضطرار فهو الأمر العام الذي يقتضيه التمحيص الإلهي، بشكل رئيسي، فإن الأفراد في حبهم لذاتهم وتفضيلهم للراحة، لا يميلون - عادة - إلي العمل الاجتماعي العام، لما فيه من شعور بالجهد والمسؤولية، ومن ثم فهم لا ينطلقون نحوه إلا تحت وطأة من الاضطرار والشعور بالضغط والإحراج، ومن ثم كان لا بد في

ص: 244

حملهم علي العمل العام إيكالهم إلي الظروف الصعبة الظالمة.

ومن ثمّ انعقد التخطيط الإلهي علي حمل الأمة علي العمل الاضطراري بهذا المعني، لأجل تحقيق مصالحها الكبرى في يوم الظهور.

وأما قيام الإخلاص والوعي علي أساس الاختيار، فباندفاع المكلف إلي العمل أكثر من مقدار الاضطرار والإحراج، أي بمجرد شعوره بالمطلوبية الإسلامية له، إلزاماً أو استحباباً... بأن يكون علي الدوام معارضاً للظلم داعياً إلي الحقّ هادياً إلي سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.

فإنّ الاندفاع إلي ذلك يحتاج إلي درجة كبيرة من الوعي والإخلاص وقوة الإرادة، ولا يتوفّر ذلك إلّا للقليل، إلّا أنّه علي أي حال - ليس هو المستوي المطلوب توفّره في المشاركة في قيادة العالم كلّ في يوم الظهور وإنّما يكون العمل الاختياري أو ما نسّميه بالتمحيص الاختياري مضافاً إلي التمحيص الاضطراري سبباً لإيجاد مثل هذا المستوي الرفيع.

ومن الواضح أيضاً ما لهذا التمحيص الاختياري، من أثر بليغ في التصعيد السريع، بشكل أعظم بكثير ممّا ينتجه التمحيص الاضطراري، و في التعجيل بإيجاد شرط الظهور، بمقدار ما تقتضيه الظروف الثقافية والفكرية التي يعيشها الفكر الإسلامي، في أيّ عصر.

إذن فما قيمة هذه الشبهة التي تقول بأنّ الاعتقاد بالمهدي(عليه السّلام) يمنع عن العمل الاجتماعي الإصلاحي.

إنّ شرط الظهور، هو هذا المستوي الإيماني، وليس هو كثرة الظلم وامتلاء الأرض جوراً، كما يريد البعض أن يفكّروا، لوضوح أنّ الأرض لو امتلأت تماماً بالظلم وانعدم منها عنصر الإيمان لما أمكن إصلاحها عن طريق القيادة العامة، بل يكون منحصراً بالمعجزة التي برهنّا علي عدم وقوعها، أو إرسال نبوة جديدة، وهو خلاف ضرورة الدين من أنّه لا نبيّ بعد رسول الإسلام.

وإنّما تتضمّن فكرة اليوم الموعود، سيطرة الإيمان علي الكفر، بعد سيطرة الكفر علي الإيمان، مع وجود كلا الجانبين، وهو قوله تعالى بالنسبة للمؤمنين: « لَيْسَتْخُلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أُمَّتًا » وقوله (صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كما ملئت ظلماً وجوراً.

ص: 246

الدرس 26 : تكاليف الأمة الإسلامية في عصر الغيبة الكبرى (2)

مدلول الانتظار

سبق أن أشرنا إلي أنّ إيجاد اليوم الموعود، هو الغرض الأساسي من إيجاد البشرية، وقد خطط الله تعالى لإيجاده منذ فجر الخليقة ولازال هذا التخطيط سارياً إلي حين تحقق نتيجه النهائية و غرضه الأصيل.

وقد كان انتظار البشرية لليوم الموعود، موجودة، منذ بلّغ الأنبياء السابقون (عليه السّلام) البشرية عن وجوده، إلا أنّ الانتظار اكتسب صيغاً متعدّدة بتعدّد أزمنة تطوّر البشريّة نحو ذلك الغد المنشود، فإنّ البشريّة قد مرّت بهذا الاعتبار - بأربعة عهود أو مراحل.

مراحل الانتظار

المرحلة الأولى

فترة ما قبل الإسلام. وقد كان الناس خلالها يفهمون من كلّ نبيّ يبلغهم عن اليوم الموعود، أمرين مقترنين:

أولهما: الإهمال من التاريخ وإيكاله إلي إرادة الله تعالى محضاً.

ص: 247

وثانيهما: أنّ هذا النبي الذي يبلغهم عنه، ليس هو القائد المذكور لهذه المهمة. وإنما سيوجد في المستقبل البعيد شخص آخر يكون مضطرباً بها وقائداً للبشرية من خلالها.

والناس في تلك العهود، وإن لم يكونوا ملتفتين إلي سرّ ذلك، إلا أننا عرفنا سرّ ذلك بسبب اطلاعنا علي تفاصيل التخطيط الإلهي، حيث عرفنا أنّ كلا شرطي اليوم الموعود لم يكونا متوفّرين في تلك الفترة. فلم تكن البشرية علي مستوي فهم الأطروحة العادلة من ناحية، ولم تكن علي مستوي الإخلاص وقوّة الإرادة المطلوب توفّرها في قيادة اليوم الموعود من ناحية أُخري.

المرحلة الثانية

فترة ما بعد الإسلام إلي بدء الغيبة الصغري. حيث كانت البشرية قد تلّقت عن الله عزّوجلّ أطروحته العادلة الكاملة، وبذلك توفّر أحد الشرطين السابقين.

إلا أنّ معني الانتظار لم يكن يختلف - مع ذلك - اختلافاً جوهرياً كما سبق، بمعني أنّ الأمل في ذلك الحين لم يكن منعقدّاً علي حدوث اليوم الموعود بغتةً وفي أيّ وقت. بل كان المفهوم هو تحقّقه في المستقبل البعيد أيضاً.

ولكنّ الفرق بينه وبين الانتظار في المرحلة السابقة هو إحراز المسلمين أنّ اليوم الموعود سوف يكون طبقاً لأطروحتهم ودينهم، دون غيره.

وهذا واضح جدّاً، لو لاحظنا طرق التبليغ عن ذلك اليوم من قبل النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) والأئمّة المعصومين (عليهم السّلام) بعده. أمّا بالنسبة إلي النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) فيكفينا إخباره عن المهدي (عليه السّلام) وأنّه من ولده وعترة وأنّه من ذريّة فاطمة (عليها السّلام). وأنّه سيولد فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً وأنّه من ولد الحسين (عليه السّلام) وأنّ صفاته هي صفات النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم). إذن فقائد اليوم الموعود ليس هو شخص النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم). ولن يقوم النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) بهذه المهمة الكبرى، خلال حياته، كما عرفنا فلسفة ذلك. فالانتظار في عهد النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) كان مقترناً باليقين بعدم حدوثه الفوري في ذلك الحين.

ويبقى الانتظار في عصر الأئمّة (عليهم السّلام) حاملاً لنفس هذا المفهوم ويمكن أن نستفيد

ذلك من عدة أقسام من الأحاديث التي كانوا (عليهم السّلام) يعلنون بها فكرة المهدي (عليه السّلام) أمام الناس. كقولهم (عليهم السّلام):
أنّ المهدي هو السابع من ولد الخامس منهم(1). أو قول الإمام الباقر (عليه السّلام): والله ما أنا بصاحبكم. قال الراوي: فمن صاحبنا؟ قال
انظروا من تخفي علي الناس ولادته فهو صاحبكم.

فهو إذ ينفي عن نفسه أنّه المهدي (عليه السّلام) يعرف شيعته أنّ اليوم الموعود لن يتحقّق ما دام في الحياة علي أقلّ تقدير.

وكقولهم: «كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدي ولا علم، يبرأ بعضكم من بعض»!؟

فما دام أئمة الهدى (عليهم السّلام) معروفين و متّصلين بالناس فالمهدي الموعود (عليه السّلام) غير موجود، و من ثمّ فليس هو الذي يقوم
بالسيف لإنجاز اليوم الموعود.

وكذلك إذا لاحظنا أخبار التمحيص، التي تنفي الظهور قبل مرور الناس بهذا القانون، كقوله (عليه السّلام): إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد
يأس، ولا- والله حتّي تُميّزوا، ولا- والله حتّي تُمحصّوا، ولا والله لا يأتيكم حتّي يشقي من يشقي ويسعد من يسعد في اليوم الموعود لن
يتحقّق ما دام الناس غير ممحصّين.

وكذلك إذا لاحظنا الأخبار الدالّة علي حدوث علامات الظهور، ممّا لم يتحقّق في عصر الأئمة (عليهم السّلام) السابقين، كالصيحة
والخسف، وغيرها فإنّه ما لم توجد هذه العلامات، لا يظهر المهدي (عليه السّلام).

فالمسلمون في زمن النبي (صلّي الله عليه وآله وسلّم) والأئمة (عليهم السّلام) لم يكونوا ينتظرون ظهور المهدي (عليه السّلام) علي الفور،
وإن كانوا قد بلّغوا بشكل أكيد و شديد عن ظهوره في مستقبل الزمان.

والإماميون، فقد دلّت الأخبار علي هذا التوقّع فيهم، بما فيها أخبار التمحيص نفسها حيث يقول الإمام (عليه السّلام) فيها: إنّ هذا الأمر لا
يأتيكم إلا بعد يأس، أو يقول: هيهات

ص: 249

1- منتخب الأثر، ص 212.

هيهات... لا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتّى تمحصوا(1).

المرحلة الثالثة

الانتظار في عصر الغيبة الصغرى، لمن يؤمن بها، وهم القواعد الشعبية الإمامية.

وفي هذه المرحلة كان الإمام المهدي (عليه السلام) موجوداً يقود قواعده الشعبية في الخفاء ولا شك أنّ الناس كانوا ينتظرون ظهوره في أي وقت، باعتبار ما يشعرون به من ظلم ومطاردة وتعسف من قبل الحاكمين، وهم يعلمون علم اليقين بوجوده واطّلاعه علي الأوضاع الشاذّة التي يعيشها المجتمع، ويعلمون أنّه المدخور لإزالة الظلم من العالم كلّه غافلين - بطبيعة الحال - عن اقتضاء التخطيط الإلهي تأجيل ذلك، لعدم توقّر أحد شرائط اليوم الموعود.

ولو دقّقنا النظر، لم نجد في رفع هذا الجو الفكري من الناس مصلحة، بل كانت المصلحة تقتضي إيكالهم إلي انتظارهم التلقائي الارتكازي وعدم التعرّض إلي تصحيحه أو تكذيبه، لأنّه، يزيد من الربط العاطفي للقواعد الشعبية المؤمنة بالمهدوية، بإمامها وقائدها، لوضوح أنّ الأمل فيه كلّما كان أقوى كان هذا الارتباط أبلغ وأكبر.

بل إنّ هناك من الأخبار ما يدلّ علي أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه كان يدكّي هذه العاطفة ويؤكّد قرب الظهور.

المرحلة الرابعة

فترة الغيبة الكبرى، التي لازلنا نعيشها.

وقد قلنا إنّ الانتظار فيها يحمل معني توقّع الظهور، وقيام اليوم الموعود في أيّ وقت وفي كلّ يوم؛ لكونه منوطاً بإرادة الله تعالي لا غير، كما ورد في بيان

ص: 250

1- غيبة النعماني ص 111.

المهدي(عليه السّلام) الذي أعلن به انتهاء السفارة وبدء الغيبة الكبرى حيث قال: فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره.

ولما ورد من أنّ يوم الظهور يحدث فجأة أو بغتة، كما سمعنا من مكاتبة المهدي(عليه السّلام) للشيخ المفيد. وغيرها من الروايات.

نعم يمكن أن نلاحظ أنّه في فترة بدء الغيبة الكبرى، كانت هناك بعض الدلائل علي عدم فوريّة الظهور، حيث نسمع من بيان انتهاء السفارة نفسه قوله(عليه السّلام) :

فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور، إلا بإذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب(1).

وطول الأمد يستدعي مضيّ عدّة سنوات، بل عشرات السنين، لا بدّ من انتظار انتهائها، قبل توقّع الظهور الفوري.

إلا أنّ مفهوم طول الأمد يختلف باختلاف تصوّر الأفراد ومقدار وعيهم العقلي والثقافي والإيماني، فقد لا يحتاج حين يسمعه الفرد العادي لأول مرة أكثر من عدّة سنوات، وبخاصة مع إناطة الظهور بإذن الله تعالى مع ما يراه الفرد من قسوة القلوب فعلاً وامتلاء الأرض جوراً، فكان في الإمكان - بحسب الجو النفسي السائد يومئذ - أن يبدأ مفهوم الانتظار الفوري بعد عدّة سنوات من تاريخ هذا البيان، ولم يكن أهل ذلك العصر بحاجة إلي أن يدركوا أنّ المراد من طول الأمد ما يزيد علي الألف عام بقليل أو كثير، كما ندركه الآن من التكاليف المطلوبة في عصر الغيبة الكبرى ألا وهي: الالتزام بالتعاليم الإسلامية الحقة النافذة فيما قبل الظهور.

وهذا من واضحات الشريعة، فإنّ مقتضى شمول تعاليمها هو عمومها لكل الأجيال، ووجوب إطاعتها وتطبيقها علي واقع الحياة في كلّ الأجيال، سواء ما كان منها علي مستوي العقائد والمفاهيم، أو ما كان علي مستوي الأحكام.

ص: 251

1- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 243.

إذن، تكون الأحكام الإسلامية الصادرة المعلنة، منذ عصر الرسالة، نافذة المفعول، بكل تفاصيلها وخصائصها، من دون معارض ولا ناسخ و يجب علي الفرد إطاعتها وامثالها، و هو واضح من وجهة نظر إسلامية.

وهذا هو المراد من عدد من الأخبار علي اختلاف مضامينها، إذ تأمر المسلم بالبقاء علي ما كان عليه من عقيدة و تشريع، بالرغم من وجود تيار الفتن و شبهات المنحرفين.

أخرج ابن ماجة(1) عن رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) ما يفيد ذكر التكليف في عصر الفتن قوله (صلي الله عليه وآله وسلم):
تأخذون بما تعرفون وتعدون ما تنكرون، و تُقبلون علي خاصتكم وتذرون فمنا أمر عامتكم.

والمراد بهذا الحديث الشريف، بعد فهمه علي أساس القواعد الإسلامية العامة.. هو وجوب الأخذ بما قامت عليه الحجّة من أحكام الإسلام أو عقائده.

بمعني أنّه متي دلّ الدليل الصحيح علي كون شيء معين هو حكم إسلامي أو عقيدة إسلامية، و يجب الأخذ به، بمعني لزوم العمل عليه إن كان حكماً ووجوب الاعتقاد به إن كان عقيدة، وأما ما كان مخالفاً لذلك، فيجب رفضه واعتباره انحرافاً و فساداً.

وأخرج الكليني في الكافي والصدوق في إكمال الدين والنعماني في الغيبة عن المفصل بن عمر عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) حين سأله الراوي عن تكليفه في زمان الغيبة حين تكثر الفتن ودعاوي الضلال و تنتشر الشبهات قال الراوي، فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلي شمس داخله في الصفة. فقال: يا أبا عبدالله تري هذه الشمس؟ قلت: نعم، قال: والله لأمرنا أئين من هذه الشمس(2).

فالمطلوب إسلامياً، هو متابعة خط الأئمة(عليهم السلام) الذين هم البقاء الأمثل للنبوّة

ص: 252

1- سنن ابن ماجة، ج 2، ص 308.

2- بحار الأنوار، ج 1، ص 147.

والإسلام باعتبار وضوح ما هم عليه من الحق، كوضوح الشمس المشرقة، وقيام الحجة فيه علي الخلق، فلا بدّ من التمسك به والسير عليه خلال الغيبة الكبرى، لكي ينجو به المسلم من الفتن ويتعد عن مزالق الانحراف.

ولئن كان هذا الحديث ممّا لا يؤمن به إلا القواعد الشعبية الإمامية، فإنّ الأخبار المتقدّمة تعمّمهم وغيرهم من أبناء الإسلام.

وهل من التكاليف اتّخاذ مسلك السلبية والعزلة أو المبادرة إليّ الجهاد؟

لقد دلّنا الوجدان والأخبار الخاصّة والقواعد العامّة، علي ما سمعنا، علي أنّ زمان الغيبة الكبرى، مستغرق بموجات الظلم والانحراف والفساد فهل من وظيفة الفرد المسلم هو السلبية والانعزال عن الأحداث وعدم وجوب إعلان المعارضة ومحاولة تقويم المعوج من الأفراد والأوضاع، أو أنّ وظيفة الفرد في نظر الإسلام هو العمل الاجتماعي الفعّال، والجهاد الناجز في سبيل الله ضد الظلم والطغيان؟

دلّت الآيات الكريمة بعمومها علي وجوب الجهاد كقوله عزّ من قائل: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» (1) وقوله تعالى: « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ » (2).

ص: 253

1- الأنفال / 60.

2- التوبة / 120.

إن من القضايا الضرورية الواضحة، الاعتقاد بوجود الإمام المهدي (عليه السلام) .

ولقد ورد عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَنَّ الْمُنْكَرَ لِلْمَهْدِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَام) مُنْكَرٌ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). و من سياق البحث اتضح أَنَّ الله سبحانه قد كان من حكمته أن يحتجب الإمام (عليه السلام)، وانه المؤمل لإقامة الكتاب والسنّة يوم يأذن الله بخروجه (عليه السلام) .

و من هنا ولضرورة الاتّصال الدائم والارتباط به (عليه السلام) وجبت علي الأُمَّة مجموعة من التكاليف لا بدّ أن تلتزمها الأُمَّة و تقوم بها تعبيراً عن ذلك الاتّصال والارتباط به (عليه السلام) من أجل التمهيد والإعداد لظهوره.

وليس الانتظار هو الابتعاد عن أداء مهمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما قوام صلاح المجتمع الإسلامي و ضمان سيره تجاه الحقّ والعدل.

لقد أكّدت كثير من الروايات أهميّة الانتظار و وصفته بأنّه أفضل العبادة.

لانتظار مفهوم خاص وإنّ البشارة بالمنقذ المصلح مسألة مشتركة بين الأديان، وقد كانت البشرية قبل الإسلام منتظرة قدومه طلباً للخلاص من الظلم والجور.

ثمّ جاءت الرسالة الخاتمة وأعطت هذه المسألة أبعادها الحقيقية علي المستويات كافة.

1. ما هو دور الإخلاص والشعور بالمسؤولية في رفع الظلم و الجور؟
2. هل يتعارض العمل والتحرّك ضد المفسد والظالمين مع مضمون الحديث أنّ خروجه (عليه السّلام) بعدما تُملأ الأرض ظلماً و جوراً؟
3. هل الاعتقاد بالإمام المهدي (عليه السّلام) يمنع العمل الاجتماعي والإصلاحي؟
4. ما هي دلالة مفهوم الانتظار؟
5. عدّد المراحل التي مرّت بها البشرية من حيث فهم الانتظار؟
6. هل يعني الانتظار توقّع الظهور والتهيؤ له حسب الفهم الإمامي؟

إنّ معني الانتظار لغة هو: الترقّب والتوقّع. وعليه فقد يتوهّم أنّ علينا أن نعيش في فترة الغيبة مترقّبين فقط لليوم الموعود الذي يبدأه الإمام المنتظر (عليه السّلام) بالقضاء علي الكفر، وبالقيام بتطبيق الإسلام لنعيش الحياة تحت ظلاله في دعة وأمان، غير متوقّرين علي القيام بمسؤوليّة تحكيم الإسلام في حياتنا وفي كلّ مجالاتها، وبخاصة مجالها السياسي بدافع من إيماننا بأن مسؤولية تحكيم الإسلام في كلّ مجالات الحياة هي وظيفة الإمام المنتظر (عليه السّلام)، فلسنا بمكلّفين بها الآن.

إلا أنّنا متي حاولنا تجلية واقع الأمر بما يرفع أمثال هذه الألوان من التوهّمات، نجد أنّ منشأ هذه المفارقة هو محاولة عدم الفهم، أو سوء الفهم في الواقع.

وذلك لأنّ ما يُستفاد من الانتظار في إطار واقعه كلازم من لوازم الاعتقاد بالإمام المنتظر (عليه السّلام) يتنافي وهذه الألوان من التوهّم تمام المنافاة، لأنّه يتنافي وواقع العقيدة الإسلاميّة التي تضمّ عقيدة الإمامة كجزء مهم من أجزائها.

يقول الشيخ المظفر (رحمه الله): «ومّا يجدر أن نعرفه في هذا الصدد: ليس معني انتظار هذا المصلح المنقذ (المهدي)، أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلي الحقّ من دينهم، وما يجب عليهم من نصرته، والجهاد في سبيله، والأخذ بأحكامه، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر.

بل المسلم أبداً مكلف بالعمل بما أنزل من الأحكام الشرعية، وواجب عليه السعي لمعرفة علي وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة، وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ما تمكّن من ذلك وبلغت إليه قدرته (كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته).

ويقول الصافي الكلبايكاني: «وليعلم أنّ معنى الانتظار ليس تخلية سبيل الكفار والأشرار، و تسليم الأمور إليهم، والمراهنة معهم، و ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإقدامات الإصلاحية.

فإنّه كيف يجوز إكمال الأمور إلى الأشرار مع التمكن من دفعهم عن ذلك، والمراهنة معهم، و ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من المعاصي التي دلّ عليها العقل والنقل وإجماع المسلمين.

ولم يقل أحد من العلماء وغيرهم بإسقاط التكاليف قبل ظهوره (عليه السلام)، ولا يُرى منه عين ولا أثر في الأخبار.

نعم، تدلّ الآيات والأحاديث الكثيرة علي خلاف ذلك، بل تدلّ علي تأكّد الواجبات والتكاليف و الترغيب إلي مزيد الاهتمام في العمل بالوظائف الدينية كلها في عصر الغيبة.

فهذا توهم لا يتوهمه إلا من لم يكن له قليل من البصيرة والعلم بالأحاديث والروايات» (1).

إنّ الذي يستفاد من الروايات في هذا المجال، هو أنّ المراد من الانتظار هو: وجوب التمهيد و التوطئة لظهور الإمام المنتظر (عليه السلام) ويدلّ علي ذلك ما يلي:

1. ما روي عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلّم): «يخرج رجل يوطيء (أو قال: يمكّن) لآل محمّد، كما

ص: 257

1- منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر (عليه السلام)، ص 499-500، هامش.

مكّنت قريش لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وجب علي كل مؤمن نصره (أوقال: إجابته)«...».

2. ما روي عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أيضاً: «يخرج ناس من المشرق فيوطّون للمهدي».

3. ما روي عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أيضاً: «يأتي قوم من قِبَل المشرق، ومعهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فيُنصرون، فيعطون ما سألوه، فلا يقبلونه حتّي يدفعوها إلي رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً، كما ملأوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم؛ ولو حَبَا علي الثلج»(1).

ضرورة الحكم الإسلامي في زمن الغيبة

يعتبر وجوب قيام حكم إسلامي في زمن الغيبة من ضروريات الدين التي لا تحتاج إلي محاولة إثبات أو تجشّم استدلال.

يقول الفيض الكاشاني: «فوجوب الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون علي البرّ والتقوي، والإفتاء، والحكم بين الناس بالحق، وإقامة الحدود والتعزيرات، وسائر السياسات الدينية، من ضروريات الدين، وهو القطب الأعظم في الدين، والمهم الذي ابتعث الله له النبيين، ولو تركت لعطلت النبوة، واضمحلت الديانة وعمت الفتنة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، وخربت البلاد، وهلك العباد، نعوذ بالله من ذلك»(2).

ويقول صاحب الجواهر: «وبالجملة، فالمسألة من الواضحات التي لا تحتاج إلي أدلة»(3).

ويقول السيد البروجردي: «اتفقت الخاصّة والعامّة علي أنّه يلزم في محيط الإسلام وجود سانس وزعيم يدير أمور المسلمين، بل هو من ضروريات الإسلام»(4).

ص: 258

1- النعماني، كتاب الغيبة، ص 174.

2- مفاتيح الشرائع، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص 617.

4- البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر، ص 52.

ولعلّ ما يترتّب علي ترك امثال هذا الوجوب من محاذير شرعية، يكفي في لفت النظر إلي ضروريته الدينية.

وربّما كان أهمّها ما يلي:

1. تعطيل التشريع الإسلامي في أهمّ جوانبه، الجانب السياسي - و حرّمته من الوضوح بمكان؛ نظراً إلي أنّه تشريع عطل؛ وإلي ما ينجم عن تعطيله من ارتكاب المحارم، وانتشار الجرائم، و شيوع الموبقات وأمثالها.

يقول العلامة الحلّي، في تعطيل الحدود وهي فرع من فروع التشريع السياسي: «إن تعطيل الحدود يفضي إلي ارتكاب المحارم، وانتشار المفساد؛ و ذلك مطلوب الترك في نظر الشرع»⁽¹⁾.

ويقول الشهيد الثاني: «فإنّ إقامة الحدود ضرب من الحكم، وفيه مصلحة كليّة و لطف في ترك المحارم، و حسم لانتشار المفساد»⁽²⁾.

2. الخضوع لحكم الكافر - وهو ممّا ينجم عن تعطيل التشريع السياسي الإسلامي أيضاً، و أفرد بالذكر هنا نظراً لأهميته و لوضوحه.. ولأنّه ليس وراء عدم الخضوع للحكم الإسلامي ممّن يعيش في بقعة جغرافية سياسية، إلا الخضوع للحكم الكافر،

لأنه لا ثالث للإسلام والكفر؛ إذ الحكم حكمان: حكم الله و حكم الجاهلية.

الكيان الشيعي في عصر الغيبة الكبرى

1. الشيعة في القرن الرابع للهجرة

ظهرت عوامل في القرن الرابع الهجري، ساعدت علي انتشار مذهب التشيع و تقويته، منها ضعف الخلافة العباسية، و ظهور ملوك آل بويه.

لقد كان لملوك آل بويه - وهم شيعة - التأثير البالغ في مركز الخلافة ببغداد، وكذا

ص: 259

1- مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- مسالك الأفهام إلي شرح شرائع الإسلام، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في الخليفة، وهذه القدرة جعلت الشيعة قادرة علي أن تقف أمام المخالفين، الذين طالما حاربوا الشيعة لما كان لهم من قدرة خلال خلافتهم، وتمكّن الشيعة حينذاك أن ينشروا عقائدهم بكلّ حرية.

والمؤرّخون متفقون علي أنّ الجزيرة العربية، أو معظمها كانت تعتنق مذهب الشيعة، سوي المدن الكبيرة منها، علماً بأنّ بعض المدن مثل، هجر وعمان وصعدة كانت شيعية، ومدينة البصرة كانت تعتبر مركزاً لأهل السنة، وكانت في صراع ديني مع الكوفة باعتبارها مركز التشيع، وكذا كانت الشيعة تتواجد في كلّ من طرابلس ونابلس وطبريّة و حلب و هراة، وكذلك في الأهواز وسواحل الخليج الفارسي من إيران(1).

وفي أوائل القرن الرابع - استولي ناصر الأطروش علي شمال ايران، بعد كفاح دام سنوات، فاستقرّ في ناحية طبرستان و أسّس دولته، واستمرّت لأولاده من بعده، وكان الحسن بن زيد العلوي قد حكم هذه المنطقة قبل الأطروش(2).

وفي هذا القرن استولي الفاطميّون وهم من الفرقة الإسماعيلية علي مصر، و أسّسوا حكومتهم التي استمرّت أكثر من قرنين (296 - 527).

وقد كان يظهر صراع بين الشيعة والسنة أحياناً في بعض الحواضر كبغداد والبصرة و نيسابور.

2. الشيعة في القرن الخامس و حتّي القرن التاسع الهجري

توسّعت رقعة تواجد الشيعة خلال القرن الخامس حتّي أواخر القرن التاسع وظهر ملوك اعتنقوا مذهب التشيع، فصاروا يدعون له.

ورسخت الدعوة الإسماعيلية في «قلاع الموت»، واستقلّت في دعوتها قرناً

ص: 260

1- الحضارة الإسلاميّة، ج 1، ص 97.

2- مروج الذهب، ج 4، ص 373؛ الملل والنحل، ج 1، ص 254.

و نصف قرن في وسط إيران(1). وحكم السادة المرعشيون سنين متمادية في مازندارن(2).

واختار الملك «خدابنده» وهو أحد ملوك المغول مذهب الشيعة، وخلفه في الحكم ملوك من هذه الطائفة لأعوام متعاقبة، وساهموا في نشر وترويج المذهب الشيعي، وكذا سلاطين «آق قويونلو»، إذ كانت مدينة تبريز(3) مركز حكومتهم، وكانت تنبسط سيطرتهم حتى فارس و كرمان، و حكمت الدولة الفاطمية في مصر لسنوات متعاقبة كما أشرنا.

و من الطبيعي أن القدرة الدينية لأهل السنّة مع الملوك كانت متغيّرة و متفاوتة، وبعد سقوط الدولة الفاطمية و مجيء دولة الأيوبيين، تغيّرت الظروف، و فقد الشيعة في مصر والشام الحرّيّة علي الإطلاق، و قتل الكثير منهم(4).

و ممّن قُتل من كبار علماء الشيعة بعد سيطرة أهل السنّة علي مقاليد الحكم: الشهيد الأوّل «محمد بن محمد المكي» أحد نوابغ الفقه الشيعي سنة 786 للهجرة في دمشق بتهمة التشيع(5).

وقتل أيضاً الشيخ «شهاب الدين السهروردي» في حلب بتهمة الفلسفة(6).

فالشيعة خلال هذه القرون الخمسة، كانوا في ازدياد من حيث النفوس والعدد، وكانت الزيادة تابعة لمدي موافقة ومخالفة السلاطين للتشيع من حيث إعطائهم القدرة والحرّيّة الفكرية. ولم تعلن في هذه الفترة أيّة دولة إسلاميّة مذهب التشيع مذهباً رسمياً لها.

ص: 261

1- يراجع كتاب الكامل وروضة الصفا وحبیب السیر.

2- الكامل وأبي الفداء، ج 3.

3- تاريخ حبیب السیر.

4- تاريخ حبیب السیر و أبي الفداء وغيرهما.

5- روضات الجنّات ورياض العلماء نقلاً عن ريحانة الأدب، ج 2، ص 365.

6- الروضات وكتاب المجالس ووفيات الأعيان.

3. الشيعة في القرن العاشر و الحادي عشر للهجرة

نهض شاب في سنة 906 للهجرة، و هو في الثالثة عشرة من عمره، من عائلة «الشيخ صفى الدين الأردبيلي» المتوفى سنة 735هـ وكان أحد مشايخ الطريقة علي المذهب الشيعي مع ثلاثمائة من الدراويش الذين كانوا من مريدي آبائه، و تحرك لإيجاد دولة شيعية مستقلة مقتدر، فسار من مدينة «أردبيل» وشرع بفتح البقاع وإخضاعها لسيطرته مزيلاً بذلك نظام ملوك الطوائف في إيران، وبعد حروب دامية مع الملوك المحليين و خاصة مع ملوك «آل عثمان» الذين كانوا ينوبون عن الإمبراطورية العثمانية، استطاع أن يجعل من إيران دولة موحدة بعد أن كانت ممزقة، يحكم كل بقعة منها فئة خاصة، وجعل المذهب الشيعي، مذهباً رسمياً لها(1).

وبعد وفاة الملك «إسماعيل الصفوي» أعقبه ملوك آخرون من السلالة ذاتها، منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وكل واحد من هؤلاء الملوك كان يؤيد المذهب الشيعي، ففي زمن «الشاه عباس الكبير» والذي كان يعتبر ذروة القدرة لهذه السلالة، استطاع أن يوسع بقعتهم، فازدادت نفوسهم، فبلغت ضعف(2) ما عليه الآن في إيران (سنة 1384 هـ). و الفرقة الشيعية، في القرنين ونصف القرن الأخير تقريباً، بقيت علي حالتها في سائر البقاع الإسلامية مع استمرار الازدياد الطبيعي لها.

4. الشيعة في القرن الثاني عشر وحتى القرن الرابع عشر للهجرة

إنّ الازدياد و التطور لأتباع المذهب الشيعي خلال القرون الثلاثة الأخيرة كان يتحقق في الوقت الحاضر الذي هو مطلع القرن الخامس عشر الهجري، و يعتبر التشيع مذهباً رسمياً في إيران، و معظم سكّان اليمن والعراق هم من الشيعة، كما تتواجد الشيعة في كلّ الدول الإسلامية في العالم.

ص: 262

1- روضة الصفا وحبیب السیر و غیرها.

2- روضة الصفا وحبیب السیر.

كان لعوامل كثيرة، الأثر في الحدّ من انتشار التشيع في أرجاء الوطن الإسلامي؛ فللاضطهاد والتشريد والتكيل من قبل السلطات الأمويّة أولاً ومن ثمّ العباسيّة الدور الأكبر في الحدّ من نشاط الأئمة (عليهم السلام) من جهة و شيعتهم ومواليهم من ناحية أخرى، غير أنّ هناك فترات ضعف ووهن بسبب الصراع داخل الأسرة المالكة والحروب الخارجية، قد ساهمت في انتشار و توسّع حركة الجماعة الصالحة في كثير من بلدان العالم الإسلامي، كما قامت لهم دول في فارس و عراق و مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي. وكانت تلك الدول تتّصف بالتسامح في تعاملها مع أصحاب المناصب الإسلامية الأخرى وإن لم تخل بعض المراحل من صراع كان يصل إلي حدّ شهر السيف بين المتصارعين.

ولقد شهدت الفترات المختلفة التطوّر العلمي والفلسفي و الأدبي لرجال وعلماء الشيعة علي امتداد التاريخ الإسلامي.

الأسئلة

1. اذكر بعض العوامل التي ساعدت علي انتشار التشيع في القرن الرابع الهجري؟
2. هل هناك دور لعلماء الشيعة في قيام بعض الدول الشيعية، وضح ذلك؟
3. كيف شهدت القرون (4 إلي 9) هجرية انتشار المذهب الشيعي؟
4. ما هو سبب قتل بعض العلماء الشيعة في الشام أو مصر؟

1. الأحاديث الدالة على الرؤية

تفيد الأحاديث الشريفة المتحدثة عن غيبة الإمام المهدي - عجل الله فرجه - أن غيبته هي «غيبة عنوان» وليست «غيبة شخص» بمعنى أنه: «حيّ موجود يُحلّ ويرتحل ويطوف في الأرض»⁽¹⁾، وقد صرّحت بذلك طائفة من الأحاديث الشريفة نذكر فيما يلي نماذج منها:

1. ما رواه الشيخ النعماني في كتاب البيعة عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال ضمن حديث طويل عن غيبة المهدي الموعود: «... فوربّ عليّ: إن حجّتها قائمة، ماشية في طرقاتها، داخلية في دورها وقصورها، جوّالة في شرق الأرض وغربها تسمع الكلام وتسلّم علي الجماعة»⁽²⁾.

2. ما رواه الشيخ الصدوق في كمال الدين عن الإمام الصادق

(عليه السلام) أنه قال ضمن حديث عمّا في المهدي المنتظر عجل الله فرجه . من سنن الأنبياء (عليهم السلام): «... وأما

ص: 264

1- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة للشيخ علي بن عيسى الأربلي، ج 2، ص 493.

2- غيبة النعماني، ص 142؛ بحار الأنوار، ج 28، ص 70 عنه.

سنة يوسف، فإن إخوته كانوا يبايعونه ويخاطبونه ولا يعرفونه...»(1).

3. ما في دلائل الإمامة عن الإمام الصادق (عليه السلام) في الموضوع نفسه قال: «... وأما سنة من يوسف فالستر، جعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه...»(2).

4. ما في غيبة النعماني بسنده عن الإمام علي (عليه السلام)

قال في ضمن حديث: «... ولكن الحجة تعرف الناس ولا يعرفونها، كما كانوا يعرف الناس وهم له منكرون»(3).

5. ما روي الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «للقائم غيبتان إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه» وفي رواية النعماني: «.. إلا خاصة مواليه في دينه» ورواه من عدة طرق(4).

6. ما روي الشيخ الطوسي في غيبته بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «لابد لصاحب هذا الأمر من عزلة، ولا بد في عزلته من قوة، وما بثلاثين من وحشة ونعم المنزل طيبة»(5). وواضح من الحديث أن الإمام يستقوي بهؤلاء «الثلاثين» في غيبته.

7. ما روي الكليني في الكافي والنعماني في الغيبة بأسانيدهم عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولا بد له في غيبته من عزلة ونعم المنزل طيبة وما بثلاثين من وحشة»(6).

ص: 265

1- كمال الدين، للشيخ الصدوق، ج 1، ص 28: إثبات الهداة، ج 3، ص 458.

2- دلائل الإمامة، للشيخ أبو جعفر الطبري الإمامي، ص 251 و مثله في كمال الدين، ج 2، ص 350.

3- غيبة النعماني، ص 141؛ إثبات الهداة، ج 3، ص 532.

4- الكافي، ج 1، ص 350؛ تقريب المعارف، للشيخ تقي الدين أبي الصلاح الحلبي، ص 190؛ غيبة النعماني، ص 170؛ بحار الأنوار، ج 52، ص 155؛ إثبات الهداة، ج 2، ص 445.

5- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 102؛ بحار الأنوار، ج 52، ص 153.

6- الكافي، ج 1، ص 340؛ غيبة النعماني، ص 188؛ تقريب المعارف، ص 190؛ إثبات الهداة ج 3 م 445.

8. ما روي الشيخ الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه عن محمد بن عثمان العمري (رحمه الله) قال: «والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، يري الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه» (1).

إذن الأحاديث الشريفة: «متنصرة بأنه لا بد للقائم المنتظر من غيبتين إحداهما أطول من الأخرى يعرف خبره الخاص في القصوي، ولا يعرف العام له مستقراً في الطولي إلا من تولّى خدمته من ثقات أوليائه ولم يقطع عنه إلي الاشتغال بغيره.» كما يقول الشيخ المفيد - رضوان الله عليه (2)، كما أنها صريحة في تأكيد رؤية الناس له (عليه السلام) دون معرفة هويته؛ وأنه يتعامل معهم ويحدثهم ويلتقي بهم وإن كانوا غير عارفين بهويته، وهذا معني (غيبة العنوان)»

وعليه يتضح أنه (عليه السلام) يلتقي بالعباد ويهديهم ويقضي حوائجهم في غيبته ويقوم بمهام إمامته في غيبته، مثلما كان يفعل يوسف (عليه السلام) مع إخوته علي ما حكاه القرآن الكريم.

ومع اتّضح هذه الحقيقة؛ يتّضح أيضاً أنّ من الطبيعي أن يتنبّه بعض الملتزمين به (عليه السلام) إلي هويته بعد انتهاء النقائهم به لصدور بعض الأمور والكرامات التي لا يمكن أن تصدر عن غيره (عليه السلام). وقد تواتر نقل وقوع ذلك في الروايات المنقولة في المصادر المعتمدة بشأن الذين التقوا به في غيبته.

بل وليس ثمة مانع من أن يكشف لبعضهم عن هويته حتّي أثناء اللقاء كما كشف يوسف عن هويته لأخيه «بنيامين» حسب ما نقله القرآن الكريم، بل قد لاحظنا في الأحاديث الشريفة تصريحاً بما هو أبعد من ذلك وأهمّ وهو معرفة بعض الأولياء من «خاصّة مواليه في دينه» حتّي بمكانه في الغيبة الكبرى، وقد صرّحت بعض الروايات

ص: 266

1- من لا يحضره الفقيه، ص 279 من الطبعة القديمة.

2- الفصول العشرة في الغيبة للشيخ المفيد، ص 82.

بمعرفة بعض ثقات الأولياء بهويته - عجّل الله فرجه - أثناء اللقاء كما ورد بالنسبة للسيد الجليل علي بن طاووس و السيد بحر العلوم و غيرهم كما سنري لاحقاً.

2. دليل نفي الرؤية و تفسيره

أجل تردد البعض تجاه إمكانية الالتقاء به (عليه السلام) في غيبته الكبرى بالخصوص استناداً إلي ما ورد في التوقيع الشريف الذي بعثه الإمام (عليه السلام) إلي آخر سفرائه في الغيبة الصغرى و هو الشيخ علي بن محمّد السمري - رضوان الله عليه -، حيث جاء فيه: «ألا فمن ادّعي المشاهدة قبل خروج السفيناني و الصيحة فهو كذاب مفترٍ» (1).

بيد أنّ هذا الفهم لا ينسجم مع هدف التوقيع الشريف و هو إعلان انتهاء الغيبة الصغرى و نظام الوكلاء المنصوبين من قبل الإمام المهدي (عليه السلام) مباشرة، فالمقصود منه تكذيب من يدّعي المشاهدة بمعني الوكالة الظاهرية العامة و تشكيل حلقة الارتباط بين الإمام و الأمة حيث أمر الإمام الشيخ السمري بأن لا ينصب بعده أحدا لانتفاء الحاجة إلي ذلك بانتهاء عصر الغيبة الصغرى، وكذلك تكذيب مدّعي المشاهدة بمعني الظهور العلني العام و بدء التحرك العسكري العلني للإمام - عجّل الله فرجه - كما يشير إلي ذلك قوله (عليه السلام): «قبل خروج السفيناني و الصيحة» و هما من العلامات الحتمية التي تسبق خروجه - عجّل الله فرجه - بشهور قليلة، فالهدف هو تحذير المؤمنين من الأدعاء المنحرفين الذين يسعون لخداع الأمة بادّعاء الارتباط بالإمام.

علي أنّ هذا الفهم لا ينفي أن يلتقي الإمام بالمؤمنين في غيبته الكبرى دون أن يعرفهم بهويته أو يشرط عليهم الكتمان و عدم إخبار أحد إلا عدد قليل ثقات المؤمنين و لا يصدق علي ذلك عنوان «الادّعاء» .

وقد تصدّي عدد من العلماء الأعلام لدحض الاستدلال بهذا التوقيع علي نفي الالتقاء بالإمام (عليه السلام) في غيبته الكبرى ولعلّ أجمع ردّ هو ما أورده السيد محمّد الصدر

ص: 267

1- راجع نفس التوقيع الشريف كاملاً في كمال الدين، ج 2، ص 516.

وقد صرّح بالحقيقة المتقدّمة عدد من كبار العلماء من المتقدّمين والمتأخّرين، فمثلاً يقول السيد المرتضى علم الهدى (قدّس سرّه): «... إنّه غير ممّتنع أن يكون الإمام (عليه السّلام) يظهر لبعض أوليائه ممّن لا يخشي من جهته أسباب الخوف، فإنّ هذا ممّا لا يمكن القطع على ارتفاعه وامتناعه وإنّما يعلم كلّ واحد من شيعته من حال نفسه ولا سبيل له إلى العلم بحال غيره» (2)، ويقول الشيخ الطوسي (قدّس سرّه): «نحن نجوّز أن يصل إليه كثيرٌ من أوليائه والقائلون بإمامته فينتفعون به» (3)، ويقول السيد علي بن طاووس: «و الطريق مفتوحة إلى إمامك (عليه السّلام) لمن يريد الله جلّ شأنه عنايته به و تمام إحسانه إليه» (4)، ويقول رضوان الله عليه في مقام آخر: «و إذا كان (عليه السّلام) غير ظاهر الآن لجميع شيعته فلا يمتنع أن يكون جماعة منهم يلقونه وينتفعون بقاله وفعاله ويكتمونه كما جري الأمر في جماعة من الأنبياء والأوصياء والملوك حيث غابوا عن كثير من الأُمّة لمصالح دينيّة أو دنيويّة أوجب ذلك» (5).

ويقول المولي الخراساني في كفاية الأصول ضمن مبحث الإجماع: «... بل لا يكاد يتفق العلم بدخولها (عليه السّلام) علي نحو الإجمال في الجماعة في زمن الغيبة وإن احتمل تشرف بعض الأوحديّ بخدمته ومعرفته أحياناً» (6)، ويقول المحقّق النائيني: «... قد يتفق في زمان الغيبة للأوحدي التشرف بخدمته وأخذ الحكم

ص: 268

-
- 1- تاريخ الغيبة الصغرى، ص 639 - 654: جنة المأوي، لآية الله الميرزا النوري المطبوع مع بحار الأنوار، ج 53، ص 318 - 325 وغيرهما.
 - 2- تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى، ص 184.
 - 3- الغيبة، للشيخ الطوسي، ص 184.
 - 4- كشف المحجّة، ص 213.
 - 5- الطرائف، للسيد ابن طاووس، ص 185.
 - 6- كفاية الأصول، ج 2، ص 291.

منه (عليه السلام) (1)، ويقول السيد الكلبيكاني في جواب علي استفتاء بشأن الأعمال التي تؤدي إلي التشرف بلقاء الإمام المهدي -عجل الله فرجه - : «إجمالاً لا يمكن تحديد سبيل تمكّن أي أحد من الالتقاء بالإمام (عليه السلام) إلا أن العمل بالتكاليف الشرعية والسعي لمرضاته و سروره (عليه السلام) والقيام ببعض الأعمال كالاعتكاف لأربعين ليلة في مسجد السهلة أو غيره قد تؤدي إلي تشرف البعض برؤيته حسب ما تقتضي المصلحة» (2)، والشهادات والتصريحات المماثلة كثيرة يصعب إحصاؤها.

يُضاف إلي كل ذلك أن الواقع التاريخي قد صدّق هذه الحقيقة عملياً باستمرار هذه اللقاءات إلي عصرنا الحاضر والأخبار التي تناقلها العلماء الأعلام والثقات كثيرة، يفوق عددها حدّ التواتر بكثير بحيث يحصل العلم لدي مراجعتها واستقراءها بعدم الكذب والخطأ فيها في الجملة (3)، وقد نقل الميرزا النوري مائة منها في كتابه «النجم الثاقب»، وفي المصادر الأخرى ما يزيد علي ذلك بكثير وأكثر منها ما لم يتمّ تدوينه في المصنّفات، يُضاف إلي ذلك العدد الجَم من المقابلات التي لم يصرّح بها أصحابها إلا العدد محدود.

3. فوائد و آثار الرؤية

ويُستفاد من هذه الروايات أنه (عليه السلام) يقوم في معظم هذه اللقاءات بقضاء حوائج المؤمنين اقتفاء بسنة آبائه الطاهرين (عليهم السلام)، وتوضيح بعض القضايا العقائدية المهمة وإبلاغ التوجيهات التربوية المهمة والأدعية المسنونة وما يقوي ارتباطهم بالله عزّ وجلّ وسبب التقرب منه، يُضاف إلي ذلك أن إظهاره (عليه السلام) المعجزات والكرامات في هذه اللقاءات يساهم في إثبات وجوده (عليه السلام) وإمامته بهدف ترسيخ الإيمان بذلك وقطع

ص: 269

1- فوائد الأصول، الجزء الأول.

2- استفتاء مخطوط منه رضوان الله عليه نقله الشيخ كريمي جهرمي أحد أفراد مكتبه في كتاب رعاية الإمام المهدي للمراجع والعلماء الأعلام، ص 18 من الترجمة العربية المطبوعة في بيروت - دار ياسين.

3- تاريخ الغيبة الصغرى، ص 639.

الشكوك المثارة في كل عصر من المشككين بشأن وجوده، الأمر الذي يعزز مسيرة المؤمنين في التمهيد لظهوره - عجل الله فرجه -، و عليه يتضح أنّ هذه اللقاءات تشكّل في الواقع أحد وسائل الإمام للقيام بمهام إمامته في غيبته.

كما يُلاحظ أنّ معظم هذه اللقاءات تكون عادة بمبادرة من الإمام نفسه وبصورة لا يتوقّعها الفائز بلقياه عادةً وواضح أنّ للعامل الأمني تأثيراً واضحاً في ذلك، كما أنّ هذه اللقاءات تكون بعد مدّة . قد تطول أحياناً - من صدق المؤمن في طلب مقابله - عجل الله فرجه - والإخلاص لله عز وجل في القيام بالأعمال الصالحة والفوز برضا(عليه السّلام) قبل الفوز بلقياه كما يشير إلي ذلك السيد الكلبايكاني في النصّ الذي نقلناه عنه آنفاً.

ويُلاحظ أيضاً أنّ الذين فازوا بلقائه (عليه السّلام) هم من الذين أخلصوا في العمل الصالح وأنهم ينتمون إلي شرائح اجتماعية مختلفة من العلماء والعبّاد والصالحين حتّى المؤمنين العاديين الذين ينقطعون إليه(عليه السّلام) عن الاشتغال بغيره.

كما يُلاحظ أنّ هذه اللقاءات عادة ما تكون بالمقدار اللازم لقضاء ما يطلبه المؤمن الطالب للقاء أو تحقيق الإمام (عليه السّلام) لغايته المرّجوة منها، وغالباً ما ينتبه المؤمن إلي أنّ من التقاه هو الإمام المهدي (عليه السّلام) بعد انتهاء المقابلة طبعاً وذلك حفظاً لمبدأ الاستار في هذه الفترة، إلا أنّ ذلك لا يمنع أن نري في هذه اللقاءات أنّ العديد من الفائزين بلقياه كانوا يعرفون هويته - عجل الله فرجه -، وهؤلاء عادةً ما يكونون من ذوي المراتب الإيمانية السامية.

كما نلاحظ في هذه الروايات أنّ المقابلات حصلت في أماكن متعدّدة، منها المراقد المقدّسة والمساجد المباركة وفي موسم الحجّ الذي صرّحت الأحاديث الشريفة بأنّ الإمام (عليه السّلام) يحضره كلّ عام، وهو يمثّل فرصة ثمينة للالتقاء بالمؤمنين الذين يأتون من جميع أقطار المعمورة، وإيصال التوجيهات إليهم حتّى دون التعريف بنفسه بصراحة.

ويمكن أن يكون بعض هذه اللقاءات مع أولياء الإمام (عليه السّلام) الثقات الذين رأينا في الأحاديث الشريفة المتقدّمة تصرّيحاً بأنّهم يعلمون بمكان الإمام ويشكّلون جهاز أمن

المعاونين له يستقوي بهم للقيام بمهام الإمامة، فيمكن أن يتصوّر بعض المؤمنين الذين يطلبون من الإمام شيئاً ويقضيه لهم علي أيدي أحد هؤلاء الثقات، بأنّ من التقوه هو الإمام نفسه، إلّا أنّ من الثابت أنّ الكثير من الروايات تشتمل علي دلائل و شواهد كثيرة تصرّح بأنّ الالتقاء كان بالإمام المهدي نفسه (عليه السّلام) .

بعد التوضيحات العامّة المتقدّمة ننتخب مجموعة قليلة من روايات الالتقاء بالإمام المهدي - عجلّ الله فرجه - في غيبته الكبرى منذ بدايتها و إلي القرون الأخيرة.

الخلاصة

1. غيبة الإمام المهدي (عليه السّلام) غيبة عنوان وليست غيبة شخص.
2. وهو في عصر الغيبة يلتقي مع العباد ويهديهم ويقضي حوائجهم في غيبته و يقوم بمهامّ إمامته في غيبته.
3. وصرّحت بعض النصوص بمعرفة بعض الأولياء من خاصّة مواليه في دينه بهويّته، بالرغم من صدور التوقيع الشريف بأنّ من ادّعي المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفترٍ.
4. وقد فسّرت المشاهدة في هذا النصّ بدعوي الوكالة الظاهرية العامّة التي تعتبر حلقة وصل بين الإمام والأمة كما كان للإمام (عليه السّلام) سفراء معيّنون في عصر غيبته الصغري.
5. والهدف من هذا التحذير هو تحذير المؤمنين ممن يستغل هذا العنوان للمتاجرة به وخداع المسلمين بذلك.

1. ما معنى غيبة الشخص؟ وما هو الفرق بينها وبين غيبة العنوان؟
2. اذكر بعض النصوص الدالّة علي أنّ الإمام المهدي يلتقي بالمؤمنين في غيبته؟
3. ما هي الأهداف التي تتضمّنها النصوص الدالّة علي التقاء الإمام المهدي في عصر الغيبة ببعض مواليه وثقاته والمؤمنين.
4. ما هو المراد من تكذيب مدّعي الرؤية؟ وما المراد من دعوي الرؤية؟

1. روي الشيخ الثقة سعيد بن هبة الله المعروف بالقطب الراوندي «و هو الشيخ الإمام الفقيه الآذي وصف بأنه عين صالح ثقة له تصانيف (1) كما جاء في كتابه المعروف بالخرائج و الجرائح، ما ملخصه أنه روي عن جعفر بن محمد بن قولويه قال: لما وصلت بغداد سنة سبع وثلاثين عزمت الحج وهي السنة التي ردّ القرامطة فيها الحجر الأسود إلي مكانه كان أكثر همي النظر إلي من ينصب الحجر، فإنه يمضي في أثناء الكتب قصة أخذه، فإنه لا يضعه في مكانه إلا الحجّة في الزمان، فاعتلت علة صعبة فكتبت رقعة مختومة أسأل فيها من مدة عمري فهل تكون الموتة في هذه العلة أم لا، وقلت للرسول: همي في إيصال هذه الرقعة إلي واضع الحجر في مكانه، فذكر أنه رأي واضع الحجر فالتفت إليه، وقال: هات ما معك، فناولته الرقية فقال من قبل أن ينظر إليها: قل له: لا خوف عليك في هذه العلة و يكون ما لا بد منه بعد ثلاثين سنة، فكان كما قال والحديث طويل

ص: 273

أخذنا منه موضع الحاجة(1).

والشيخ ابن قولويه المذكور وصفه النجاشي بأنه «من ثقات أصحابنا وأجلاًتهم في الحديث والفقهاء» وقال عنه الشيخ الطوسي: «ثقة له تصانيف كثيرة علي عدد أبواب الفقه» و مات (رحمه الله) سنة (368هـ)، وهو أستاذ الشيخ المفيد. فالمقصود من سنة (37) المذكورة في الرواية هي سنة (337) وقد توفي الشيخ ابن قولويه بالفعل بعد ثلاثين سنة من الحادثة المذكورة.

والحادثة وقعت بعد ثمان سنوات من بدء الغيبة الكبرى بوفاة آخر السفراء الأربعة الشيخ علي بن محمد السمري سنة (329) والملاحظ في الرواية أنّ الالتزام بمبدأ الاستتار في الغيبة الكبرى لم يمنع الإمام (عليه السلام) من الإقدام علي وضع الحجر الأسود في مكانه ليستقرّ فيه وهذا من خصائص الحجّة كماجري مع الإمام زين العابدين (عليه السلام) وغيره، و من المعلوم أنّ وضع الحجر يُمثّل حادثة مهمّة تستقطب اهتمام الناس والاحتشاد لمشاهدة من يضعه لذا فهي فرصة مناسبة لإثبات الإمام - عجل الله فرجه - لوجوده وإمامته في الوقت نفسه، وهذه غاية مهمة جديرة بالملاحظة.

ويلاحظ في الرواية أنّ ابن هشام رسول الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه يصف الإمام (عليه السلام) بأنه: «غلام أسمر اللون حسن الوجه»، وهذا الوصف متكرّر في الروايات الأخرى وإن اختلفت التعبيرات، وفيه تصديق لما صرّحت به الأحاديث الشريفة بأنّ الإمام المهدي (عليه السلام) لا يهرم بمرور الأعوام ويظهر لهم شاباً وهم يتصوّرونه بهيئة الشيخ(2).

2. وقال الشيخ الفقيه الثقة العالم والمحدث الفاضل والحافظ الصدوق أبو الحسن

ص: 274

1- راجع الخرائج، ج 1، ص 475: إثبات الهداة، ج 2، ص 694 والتلخيص منه وتجده أيضاً في كشف الغمّة، ج 2، ص 502 و بحار الأنوار، ج 52، ص 58.

2- راجع مثلاً كمال الدين، ج 2، ص 376، حديث الإمام الرضا(عليه السلام).

علي بن عبيدالله المشهور بمنتجب الدين (504 - 585) شيخ الأصحاب في كتابه الرجالي «الفهرست» الذي ترجم فيه علماء الإمامية منذ عصر الشيخ الطوسي إلي عصره فكان بمثابة تذييل لفهرست الشيخ الطوسي(1) قال في عدد التراجم: «الثائر بالله المهديّ ابن الثائر بالله الحسيني الجيليّ كان زيدياً وأدّعي إمامة الزيدية وخرج بجيلاًن ثمّ استبصر وصار إمامياً و له رواية الأحاديث، وأدّعي أنّه شاهد صاحب الأمر وكان يروي عنه أشياء.

وقال: أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ ابن أبي القاسم العلويّ الشعرائي عالم صالح، شاهد الإمام صاحب الأمر، ويروي عنه أحاديث، عليه وعلي آباءه السلام.

وقال: أبو الفرج المظفر بن عليّ بن الحسين الحمداني ثقة عين و هو من سفراء الإمام صاحب الزّمان (عليه السّلام) أدرك الشيخ المفيد و جلس مجلس درس السيّد المرتضي و الشيخ أبي جعفر الطوسي قدّس الله أرواحهم»(2).

و الثلاثة الذين ذكرهم الشيخ منتجب الدين هم من العلماء الأجلّاء، ورواة الأحاديث عنه(عليه السّلام) ، ويظهر أنّ رؤية الثائر الحسيني الجيلي المذكور للمهدي -عجلّ الله فرجه . قد تضمّنت ظهور معجزات و كرامات إلهية علي يد الإمام (عليه السّلام) جعلته يؤمن به وبإمامته و يترك دعواه إمامة الزيدية ويستبصر ويؤمن بإمامة المهدي و آباءه(عليهم السّلام) .

ويظهر من جملة من الروايات أن الإمام المهدي - عجلّ الله فرجه - أولي الزيدية اهتماماً خاصاً لهدايتهم إلي المذهب الحقّ لقربهم من الإمامية وإخلاص الكثيرين منهم في طلب الحقّ ورفض الظلم. وستأتي لاحقاً رواية هدايته السيد عطوة الحسيني من مشايخ الزيدية في القرن الهجري السابع كما لاحظنا في غيبته الصغري هدايته

ص: 275

1- راجع هديّة الأحاب، للشيخ القمي، ص 266 - 267.

2- بحار الأنوار، ج52، ص 77.

لأبي سورة الزيدي وهو أيضاً من مشايخهم كما نقله الشيخ الطوسي وغيره.

ويلاحظ أيضاً أنّ الشيخ منتجب الدين قد صرّح بأنّ العالم الصالح أبا الحسن علي العلوي الشعراني يروي عن الإمام المهدي - عجل الله فرجه - أحاديث، دون أن ينكر ذلك الأمر الذي يشير إلي تلقي هذه الظاهرة بالقبول.

كما تنبغي الإشارة إلي ما وصّفه به أبو الفرج المظفر الحمداني وهو من تلامذة المفيد والمرتضي و الطوسي أي من علماء القرن الخامس الهجري بأنّه «من سفراء الإمام صاحب الزمان» لا يعني السفارة الخاصة التي انتهت بوفاة السمرى - رضوان الله عليه - سنة (329هـ) والتي كانت مألوفة في الغيبة الصغرى، بل المقصود أنّه حمل شيئاً إلي بعض موالى الإمام (عليه السلام) وشيعته من خلال التقائه به، فلعلّ حاله مثل حال الذي حمل رسائل الإمام للشيخ المفيد - رضوان الله عليه - ، أو الذي حمل رسالة الإمام السيد ابن طاووس (قدّس سرّه) التي ذكرها السيد ابن طاووس في كتابه غياث سلطان الوري(1).

3. ومنها ما رواه الفقيه الزاهد والمحدث الجليل أبو الحسين ورام بن أبي فراس المتوفّي سنة 605 للهجرة وهو من أحفاد مالك الأشتر وجدّ السيد ابن طاووس لأّمّه المعاصر للشيخ منتجب الدين وقد وصفه بقوله: فقيه صالح شاهده بحلّة وافق الخبر الخبر، ووصفه سبطه السيد ابن طاووس بأنّه «متمنّ يقتدي بفعله» وأطراء الشهيد في شرح الإرشاد ببناء بليغ علي زهده وعلمه(2)، فقد قال (رحمه الله) في كتابه المشهور: «تنبيه الخواطر ونزهة النواظر» المعروف باسم «مجموعة ورام»: «حدّثني السيّد الأجلّ عليّ بن إبراهيم العريضي العلوي الحسيني، عن علي بن علي بن نما، قال: حدّثنا الحسن بن علي بن حمزة الأقساسيّ في دار الشريف عليّ بن جعفر بن عليّ المدائني العلوي قال:

ص: 276

1- بحار الأنوار، ج 53، ص 208، رسالة جنة المأوي، الحكاية الثانية.

2- راجع مقدّمة كتابه تنبيه الخواطر، ص (د . ه).

كان بالكوفة شيخ قصّار، كان موسوماً بالزهد منخرطاً في سلك السياحة متبتلاً للعبادة مقتضياً للآثار الصالحة فاتفق يوماً أنني كنت بمجلس والدي، وكان هذا الشيخ يحدثه وهو مقبل عليه.

قال: كنت ذات ليلة بمسجد جعفي وهو مسجد قديم في ظاهر الكوفة وقد انتصف الليل وأنا بمفردي فيه للخلوة والعبادة إذا أقبل عليّ ثلاثة أشخاص، فدخلوا المسجد فلما توسّطوا صدّ رحته، جلس أحدهم ثم مسح الأرض بيده اليمنى ويسرة وخصخص الماء، ونبع فأسبغ الوضوء منه، ثم أشار إليّ الشخصين الآخرين بإسبغ الوضوء فتوضّنا ثم تقدّم فصلّي بهما إماماً فصلّيت معهم مؤتماً به.

فلما سلّم وقضي صلاته بهرني حاله، واستعظمت فعله من إنباع الماء، فسألت الشخص الذي كان منهما عليّ يميني عن الرجل فقلت له: من هذا؟ فقال لي: هذا صاحب الأمر ولد الحسن، فدنوت منه وقبّلت يديه، وقلت له: يا ابن رسول الله ما تقول في الشريف عمر بن حمزة هل هو عليّ الحقّ؟ فقال: لا، وربّما اهتدي إلاّ أنّه لا يموت حتّي يراني. فاستطرفنا هذا الحديث.

فمضت برهة طويلة فتوفّي الشريف عمر ولم يسمع أنّه لقيه فلما اجتمعت بالشيخ الزاهد ابن بادية ذكرته بالحكاية التي كان ذكرها، وقلت له مثل الرادّ عليه أليس كنت ذكرت أنّ هذا الشريف لا يموت حتّي يري صاحب الأمر الذي أشرت إليه؟ فقال لي: ومن أين علمت أنّه لم يره؟

ثمّ إنّي اجتمعت فيما بعد بالشريف أبي المناقب ولد الشريف عمر بن حمزة و تفاوضنا أحاديث والده فقال: إنّنا كنا ذات ليلة في آخر الليل عند والدي وهو في مرضه الذي مات فيه، وقد سقطت قوّته وخفت صوته، والأبواب مغلّقة علينا إذ دخل علينا شخص هبناه، واستطرفنا دخوله، وذهلنا عن سؤاله، فجلس إليّ جنب والدي وجعل يحدثه ملياً ووالدي يبكي ثمّ نهض.

فلما غاب عن أعيننا تحامل والدي وقال: أجلسوني فأجلسناه وفتح عينيه وقال:

أين الشخص الذي كان عندي؟ فقلنا: خرج من حيث أتى فقال: اطلبوه فذهبنا في أثره فوجدنا الأبواب مغلقة ولم نجد له أثراً فعدنا إليه فأخبرناه بحاله وأنا لم نجد، وسألناه عنه، فقال: هذا صاحب الأمر ثم عاد إلي ثقله في المرض وأغمي عليه(1).

يُستفاد من سند الرواية أنّ الحادثة وقعت في بدايات القرن الهجري السادس.

ويبدو أنّ الشيخ الكوفي الزاهد كان يطلب لقاء الإمام - عجل الله فرجه - وأنّ الإقبال علي صالحات الأعمال من الوسائل المهمة للفوز برضا الإمام - وفيه رضا الله تعالى - وبالتالي الفوز ببقائه. أمّا الشريف عمر بن حمزة فيظهر أنّه كانت له مكانة مرموقة بين الإمامية إلا أنّ فيه إعوجاجاً ليس عن عناد أو إصرار بل عن جهل أزاله الإمام ببقائه به وأثر فيه ذلك كما هو واضح من بكائه عند حديث الإمام (عليه السلام)، وواضح أنّ لاهتداء مثل هذا الشخص ذي المكانة المرموقة أثراً مهمّة علي الآخرين.

4. وللشيخ الفقيه الزاهد ورام نفسه رواية مع صاحب الزمان

عجل الله فرجه - تكشف عن أنّه - رضوان الله عليه - كان علي اتصال بالإمام (عليه السلام)، فقد نقل سبطه السيد الجليل علي بن طاووس المجمع علي جلالته وثاقته وصدور الكرامات عنه في كتابه الموسوم بـ«فرج المهموم» وضمن حديثه عن طائفة ممن شاهدوا المهدي - عجل الله فرجه - من معاصريه، قال (رحمه الله): ومن ذلك ما حدّثني به الرشيد أبو العباس بن ميمون الواسطي ونحن مصعدون إلي سامراء قال: لما توجه الشيخ يعني جدّي ورام بن أبي فراس قدس الله روحه من الحلة متألماً من المغازي وأقام بالمشهد المقدس بمقابر قريش شهرين إلا سبعة أيام قال: فتوجهت من واسط إلي سرّ من رأي وكان البرد شديداً فاجتمعت مع الشيخ بالمشهد الكاظمي وعرفته عزمي علي الزيارة فقال لي: أريد أنفذ إليك رقعة تشدها في تكّة لباسك - فشدتها أنا في لباسي - فإذا وصلت إلي القبة الشريفة، ويكون دخولك في أول الليل ولم يبق عندك أحد، وكنت آخر من

ص: 278

1- بحار الأنوار، ج 52، ص 55.

يخرج فاجعل الرُقعة عند القبة فإذا جئت بكرة ولم تجد الرُقعة فلا تقل لأحد شيئاً.

قال: ففعلت ما أمرني وجئت بكرة فلم أجد الرُقعة وانحدرت إلي أهلي وكان الشيخ قد سبقني إلي أهله علي اختياره فلما جئت في أوان الزّيارة ولقيته في منزله بالحلة قال لي: تلك الحاجة انقضت.

قال أبو العباس: ولم أحدث بهذا الحديث قبلك أحداً منذ توفي الشيخ إلي الآن وكان له منذ مات ثلاثون سنة تقريباً(1).

وأسلوب الاتّصال بالإمام (عليه السّلام) بواسطة «الرقع» والرسائل ماثور عن الأئمة الأطهار وقد رويت في ذلك عدّة أحاديث شريفة وقد رواها السيد ابن طاووس في كشف المحجّة(2) والرواية المتقدمة أحد موارد تصديق نجاح هذه الوسيلة الارتباطية.

5. وقد نصّ بعض العلماء(3) علي أنّ الطريق كانت مفتوحة أمام السيد ابن طاووس للالتقاء بالإمام - عبّجّل الله فرجه - استناداً إلي إشارات وردت في كتبه خاصّة كتابه القيم «كشف المحجّة لثمرة المهجّة» وهو عبارة عن وصيّة طويلة كتبها لولده في أواخر عمره الشريف وقد اشتملت علي الكثير من الفوائد العقائدية والأخلاقية القيّمة.

قال - رضوان الله عليه - في أواخر كتابه مهج الدعوات: «كنت أنا بسرّ من رأي فسمعت سحراً دعاء القائم (عليه السّلام) فحفظت من دعائه لمن ذكره الأحياء والأموات وأبهم أو قال: وأحيهم في عزّنا وملكنا أو سلطاننا و دولتنا وكان ذلك في ليلة الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وستّمائة»(4).

والدعاء للمؤمنين من مظاهر رافة الإمام(عليه السّلام) بهم، وقد وردت عدّة روايات علّم

ص: 279

1- المصدر السابق، ج 52، ص 54.

2- كشف المحجّة، ص 211.

3- آية الله الميرزا حسين النوري خاتمة المحدثين في رسالة جنة المأوي المطبوعة مع بحار الأنوار، ج 53، ص 304.

4- مهج الدعوات، للسيد ابن طاووس، ص 296.

فيها المؤمنين طائفةً من الأدعية للخلاص من المحن.

6. وروي الشيخ التقي الثقة علي بن عيسى الأربلي الذي وصفه الحرّ العاملي في كتابه «أمل الآمل» بأنه كان «عالمًا فاضلاً محدثاً ثقة شاعراً أديباً، منشئاً، جامعاً الفضائل والمحاسن» و«كان وزيراً لبعض الملوك وكان ذا ثروة وشوكة عظيمة فترك الوزارة واشتغل بالتأليف والتصنيف والعبادة والرياضة في آخر أمره» وكتابه «كشف الغمّة في معرفة الأئمة (عليهم السّلام)» من المصادر الموثقة بين الفريقين وقد وصف بأنه «خير كتاب في خير موضوع فائق علي كثير ما ألف في هذا الموضوع». وهو من أعلام القرن الهجري السابع وقد توفي سنة (693هـ) (1).

قال (رحمه الله) في هذا الكتاب: وحكي لي السيّد باقي بن عطوة الحسني أنّ أباه عطوة كان، آدر، وكان زيديّ المذهب وكان ينكر علي بنه الميل إلي مذهب الإماميّة ويقول: لا أصدّقكم ولا أقول بمذهبكم، حتّي يجيء صاحبكم، يعني المهدي (عليه السّلام) فيبروني من هذا المرض، وتكرّر هذا القول منه.

فبينما نحن مجتمعون عند وقت العشاء الآخرة إذا أبونا يصيح ويستغيث بنا فأتيناه سراعاً فقال: الحقوا صاحبكم الساعة خرج من عندي، فخرجنا فلم نر أحداً فعدنا إليه وسألناه فقال: إنّه دخل إليّ شخص وقال: يا عطوة فقلت: من أنت؟ فقال: أنا صاحب بنك قد جئت لأبرئك ممّا بك ثمّ مدّ يده فعصر (قروتي) و مشي ومددت يدي فلم أر لها أثراً.

قال لي ولده: وبقي مثل الغزال ليس به (آدر)، واشتهرت هذه القصة وسألت عنها غير ابنه فأخبر عنها.

والأخبار عنه (عليه السّلام) في هذا الباب كثيرة وأنّه رآه جماعة قد انقطعوا في طريق الحجاز وغيرها، فخلّصهم وأوصلهم إلي حيث أرادوا، ولولا التطويل لذكرت منها

ص: 280

1- راجع ملخص ترجمته في تبصرة الولي، ص 234، الهامش.

جملة، ولكن هذا القدر الذي قرب عهده من زماني كاف(1).

والآدر: هو من به الأدره، وهي حالة مرضية تنتج من إنفتاح الصفاق ويحدث إنفخاخ في الصفن نتيجة لذلك. وواضح أن مجيء الإمام(عليه السلام) لهذا السيد وإذهاب مرضه عنه باذن الله، هو انتصار للمذهب الحق في هذا التحدي المتكرر من السيد عطوة الحسني؛ وإضافة لآثار المحموده لهذا الانتصار علي الآخرين، فإن فيه أيضاً هداية للسيد عطوة إلي الصراط المستقيم.

وأما ما أشار إليه الشيخ علي بن عيسى من كثرة الأخبار بشأن إغاثة(عليه السلام) للمنقطعين في الصحاري والطرق، فهو من الأمور المشهورة التي اشتملت عليها الكثير من الأدلة المصرحة بقيام الإمام بنفسه - سلام الله عليه - بمهمة الإغاثة، وقد تحدث آية الله الميرزا حسين النوري خاتم المحدثين في كتابه القيم «النجم الثاقب» عن طائفة من الأدلة الروائية المؤيدة لهذه الحقيقة.

7. والعلامة الحلبي الحسن بن يوسف بن المطهر هو أحد أبرز علماء الإمامية علي الإطلاق وعلم أعلامهم في القرن الهجري الثامن، وقد رويت بشأن نشاطه العلمي حادثان كان للإمام المهدي - عجل الله فرجه به حضوراً فيهما، نذكرهما معاً لأهمية

دلالاتهما.

الأولي نقلها الشيخ الفاضل علي بن إبراهيم المازندراني المعاصر للشيخ البهائي والسيد الشهيد الثالث القاضي التستري صاحب إحقاق الحق في مجالس المؤمنين، قال ما ملخصه أنه اشتهر بين أهل الإيمان أن بعض علماء العامة ألف كتاباً اشتمل علي شبهات بشأن عقائد الإمامية وكان يقرأه علي الناس في مجالسه ويضللهم به، فسعي العلامة الحلبي أن يأخذه منه ليردّ عليه لكن الرجل كان يرفض إعارته لأحد من الإمامية خشية من الردّ عليه، فاتخذ العلامة تلمذه علي الرجل في بعض الفنون وسيلة

ص: 281

1- كشف الغمة، ج 2، ص 497؛ بحار الأنوار، ج 52، ص 65.

لاستعارته منه، فاستحيي الرجل من رده لكنه قال: إني آليت علي نفسي أن لا أعطيه أحداً أزيد من ليلة، فأخذه العلامة واشتغل باستنساخ الكتاب حتي تعب و غلبه النوم فحضر الإمام الحجة عجل الله فرجه . وقال للعلامة: ولني الكتاب وخذ في نومك، فلما انتبه العلامة وجد الكتاب وقد تم استنساخه بإعجاز الإمام (عليه السلام) (1).

أما الحادثة الثانية فقد نقلها المرحوم الميرزا التنكابني في كتابه «قصص العلماء» نقلاً عن صاحب المناهل الفقيه الجليل السيد محمد المجاهد، و ملخصها أنّ العلامة الحلّي النقي صاحب الزمان عجل الله فرجه - في طريقه لزيارة سيّد الشهداء (عليه السلام) وهو لا يعرفه ولكن لما وجد سعة علمه أخذ يسأله جملة من المسائل الفقهيّة، فأفتي فيها بما أنكره العلامة وقال - مع سعة اطلاعه علي الأحاديث .: ليس لدينا حديث يطابق هذه الفتوي، فأخبره الإمام (عليه السلام) بوجود الحديث في تهذيب الشيخ الطوسي وذكر له الصفحة والسطر، ثمّ سأله عن رؤية المهدي - عجل الله فرجه - في غيبته الكبرى فقال الإمام (عليه السلام) وكان قد وضع يده في يد العلامة - : كيف لا يمكن رؤية صاحب الأمر في حين أنّ يده في يدك!، فهوي العلامة يريد تقبيل أقدام الإمام، فأغمي عليه فلما أفاق لم ير أحداً، ثمّ عاد إلي منزله و بحث عن الحديث في كتاب التهذيب فوجده في المكان الذي حدّده الإمام فكتب علي حاشية الكتاب: «هذا الحديث الذي أشار إليه صاحب الأمر (عليه السلام) بذكر الصفحة والسطر». ونقل المرحوم التنكابني عن الآخوند المولي اللاهيجي تلميذ السيد المجاهد أنّه رأي نسخة كتاب التهذيب المذكورة وفي حاشيته خطّ العلامة الحلّي وعبارته المذكورة (2).

و دلالة الروايتين واضحة في تسديد الإمام المهدي - عجل الله فرجه - للعلماء العاملين في نشاطهم لترويج المذهب الحقّ والإسلام النقي والدفاع عنه، وكذلك في

ص: 282

1- مجالس المؤمنين، ج 1، ص 573؛ جنة المأوي، ج 53، ص 252 و هامشها.

2- قصص العلماء، ص 359 (الطبعة الفارسية).

نشاطهم العلمي لمعرفة أحكامه، وهذا من المهام الأساسية للإمام المعصوم في عصر.

علي أن في الرواية الثانية تصريحاً من الإمام - عجل الله فرجه - بشأن إمكانية رؤيته (عليه السلام) في غيبته.

8. العلامة المولي أحمد الأردبيلي الشهير بالمقدس الأردبيلي صاحب كتاب «مجمع الفائدة والبرهان» المتوفى سنة (993هـ) و هو من كبار العلماء و أحد أعلام الإمامية في غزارة علمه و شدة تقواه و رسوخ ورعه، وقد اشتهرت قصة لقائه بالإمام المهدي - عجل الله فرجه - المعروفة في مسجد الكوفة واستفساره منه عن إحدى المسائل العلمية الدينية التي اشتبه عليه واقع الأمر فيها، وقد نقلها المحدث الجزائري في الأنوار النعمانية عمّن وصفه بأنه: «أوثق مشايخي علماً وعملاً» عن أحد تلامذة السيد الأردبيلي اسمه مير غلام من أهل تفرش، كان علي مرتبة سامية من العلم و الورع.

والحادثة واضحة الدلالة في تسديد صاحب الزمان (عليه السلام) للعلماء العاملين و ثقات الأتقياء في نشاطهم العلمي لمعرفة حقائق الدين وإيصالها للناس (1).

9. كتب المحدث التقى الشيخ عباس القمي - رضوان الله عليه - في كتاب الفوائد الرضوية في تراجم علماء الإمامية في ترجمة الفقيه الجليل السيد مهدي بحر العلوم (1155 - 1212 هـ) الموصوف في كتب التراجم بكلّ جميل قائلاً: «ما تواتر نقله عنه

رضوان الله عليه - أنه تشرف مراراً برؤية صاحب العصر - عجل الله فرجه -، [و] نقل عنه كرامات باهرة إلي الحدّ الذي جعل صاحب الجواهر يقول عنه: صاحب الكرامات الباهرة والمعجزات القاهرة...» (2).

وقد نقل الميرزا النوري في جنّة المأوي طائفة من روايات التقاء السيد بحر العلوم

ص: 283

1- راجع تفصيل الحادثة في الأنوار النعمانية، للسيد نعمة الله الجزائري، ج 2، ص 303.

2- الفوائد الرضوية، ص 676.

بالإمام (عليه السلام)، نكتفي بالإشارة إلى واحدة منها ترتبط بالسنين التي قضها السيد بحر العلوم في مكة المكرمة لأمر يرتبط بإعمار المسجد الحرام وحفظ معالمه الأصيلة وتشتمل هذه الرواية علي تقديم دعم مالي وفير من الإمام - سلام الله عليه - للسيد بعد أن نفذت نفقته، وفيها دلالة علي تنوع الدعم الذي يقدمه الإمام لثقاة العلماء العاملين في نشاطاتهم لحفظ الدين ومعالمه(1).

10. وثمة روايات أخرى تدلّ علي الأمر نفسه، منها ما يرتبط بالدعم المالي الذي يسره (عليه السلام) لآية الله العظمي الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي في تأسيس حوزة قم العلمية وحفظها عن طريق جهود الفقيه الورع آية الله الشيخ محمد تقي الباقفي اليزدي وهو من أعلام العلماء المجاهدين في القرن الأخير الذي تحلّي بدرجة عالية من الشجاعة والثبات في حفظ الدين وقيمه في مواجهة الطاغية رضا بهلوي لتميع القيم الدينية وكان الإمام الخميني يُكرِّم له احتراماً خاصاً ورويت عنه عدّة روايات بشأن فوزه بلقاء صاحب الزمان عجل الله فرجه - لا يسع المقام لذكرها وبعضها يرتبط بتوفير الدعم المالي بهدف حفظ حوزة قم المقدّسة(2).

ص: 284

1- رسالة جنّة المأوي المطبوعة مع البحار، ج 53، ص 237.

2- راجع في تفصيل كلّ ذلك الكتاب الذي كتبه عن حياته تلميذه المؤرّخ آية الله الشيخ محمد الرازي والكتاب يحمل اسم «الشيخ محمد تقي الباقفي - المجاهد في سبيل الله في القرن الرابع عشر، وهو بالفارسية.

دلّت الوقائع التاريخية المتعدّدة والمتواترة إجمالاً علي مدي القرون

المتطاوله في عصر الغيبة الكبرى علي إمكان الرؤية و الالتقاء بالإمام (عليه السلام)

بل قد تحقّق ذلك لأصنافٍ من المؤمنين وقضاء حوائجهم وإبلاغهم التوجيهات التي كان يري الإمام (عليه السلام) لزوم إيصالها إلي المؤمنين.

الأسئلة

1. هل هناك أدلة تاريخية علي تحقّق رؤية المذنبين للإمام (عليه السلام) في عصر الغيبة الكبرى؟ اذكر بعضها، ثمّ بين أهداف ونتائج هذه الرؤية؟

2. كيف توفّق (تجمع) بين النصّ الدالّ علي تكذيب مدّعي الرؤية وبين الأدلة التاريخية الدالّة علي تحقّق الرؤية في عصر الغيبة الكبرى؟

الدرس 30 : تراث الإمام (عليه السلام) في عصر الغيبة الكبرى

رسالته (عليه السلام) إلي الشيخ المفيد

رسالته (عليه السلام) إلي الشيخ المفيد(1)

للأخ السديد و الولي الرشيد الشيخ المفيد أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله إعزازه، من مستودع العهد المأخوذ علي العباد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَا بَعْدُ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْمُخْلِصُ فِي الدِّينِ الْمَخْصُوصُ فِينَا بِالْيَقِينِ فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ نَسْأَلُهُ الصَّلَاةَ عَلَي سَيِّدِنَا وَ مَوْلَانَا وَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

وَ نُعَلِّمُكَ - أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكَ لِنَصْرِهِ الْحَقِّ وَ أَجْزَلَ مَثُوبَتِكَ عَلَي نُطْقِكَ عَنَّا بِالصَّدْقِ - أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَنَا فِي تَشْرِيفِكَ بِالْمُكَاتَبَةِ وَ تَكْلِيفِكَ مَا تُؤَدِّيهِ عَنَّا إِلَي مَوَالِينَا قَبْلَكَ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ وَ كَفَاهُمُ الْمُهِمَّ بِرِعَايَتِهِ لَهُمْ وَ حِرَاسَتِهِ.

فَقَدْ أَمَدَكَ اللَّهُ بِعَوْنِهِ عَلَي أَعْدَائِهِ الْمَارِقِينَ مِنْ دِينِهِ - عَلَي مَا تَذَكَّرُهُ وَ أَعْمَلُ فِي تَأْدِيبَتِهِ إِلَي مَنْ تَسْكُنُ إِلَيْهِ بِمَا تَرْسُمُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

نَحْنُ وَ إِنْ كُنَّا نَائِبِينَ بِمَكَانِنَا النَّائِي عَنْ مَسَاكِنِ الظَّالِمِينَ - حَسَبَ الَّذِي أَرَانَاهُ اللَّهُ

ص: 286

1- أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، الاحتجاج، ج 2، ص 322، طبع النجف، 1386 هـ

تَعَالَى لَنَا مِنَ الصَّلَاحِ وَ لِيُشِيعَتَنَا الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ مَا دَامَتْ دَوْلَةُ الدُّنْيَا لِلْفَاسِقِينَ - فَإِنَّا نُحِيطُ عِلْمًا بِأَنْبَاءِكُمْ. وَ لَا يَعْزُبُ عَنَّا شَيْءٌ مِنْ أَحْبَابِكُمْ- وَ مَعْرِفَتَنَا بِالذُّلِّ الَّذِي أَصَابَكُمْ مُذْجَحَ كَثِيرٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ مَا كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِدًا عَمَّا، وَ تَبَدُّوا الْعَهْدَ الْمَأْخُوذَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

إِنَّا غَيْرُ مُهْمَلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ، وَ لَا نَاسِيْنَ لِدِكْرِكُمْ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمْ اللَّأْوَاءُ(1) وَ اصْطَلَمَكُمُ(2) الْأَعْدَاءُ فَاتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ وَ ظَاهِرُونَا عَلَيَّ انْتِيَاشِكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ(3) قَدْ أَنَا فِتْنَتٌ عَلَيْكُمْ(4)، يَهْلِكُ فِيهَا مَنْ حَمَّ أَجْلُهُ(5) وَ يُحْمَى عَنْهَا مَنْ أَدْرَكَ أَمَلُهُ وَ هِيَ أَمَارَةٌ لِأَرْوْفِ(6) حَرَكَتِنَا بِأَمْرِنَا وَ نَهْيِنَا وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

اعْتَصِمُوا بِالتَّقِيَّةِ، مِنْ شَبِّ نَارِ الْجَاهِلِيَّةِ يُحْسِشُهَا(7) عَصَبًا أَمْوِيَّةً، يَهْوُلُ بِهَا فِرْقَةٌ مَهْدِيَّةً.

أَنَا زَعِيمٌ بِنَجَاحِهِ مَنْ لَمْ يَزِمْ فِيهَا الْمَوَاطِنَ الْخَفِيَّةَ، وَ سَلَكَ فِي الطَّعْنِ مِنْهَا السُّبُلَ الْمَرَضِيَّةَ.

إِذَا حَلَّ جُمَادِي الْأُولَى مِنْ سَنَتِكُمْ هَذِهِ، فَاعْتَبِرُوا بِمَا يَحْدُثُ فِيهِ وَ اسْتَيْقِظُوا مِنْ رُقَدَتِكُمْ لِمَا يَكُونُ فِي الَّذِي يَلِيهَا، سَتَظْهَرُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ جَلِيلَةٌ- وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهَا بِالسَّوِيَّةِ وَ يَحْدُثُ فِي أَرْضِ الْمَسْدَرِ مَا يَحْزُنُ وَ يُفْلِقُ وَ يَغْلِبُ مِنْ بَعْدِ عَلِيِّ الْعِرَاقِ طَوَائِفُ عَنِ الْإِسْلَامِ مُرَاقٌ تَصْبِيحُ بِسُوءِ فِعَالِهِمْ عَلَيَّ أَهْلِهِ الْأَرْزَاقُ ثُمَّ تَنْفَرُجُ الْعُغْمَةُ مِنْ

ص: 287

1- الأوراء: الشدة وضيق المعيشة.

2- اصطلمه: استأصله.

3- انتاشه من الهلكة: أنقذه.

4- أناف علي الشيء: طال وارتفع عليه.

5- حمَّ أجله: قرب.

6- الأروف: الاقتراب.

7- حشي النار: ارقدها و هيجهها.

بَعْدَ بَيَّوَارِ طَاعُوتٍ مِنَ الْأَشْدِّ رَارٍ ثُمَّ يُسَرُّ بِهَلَاكِهِ الْمُتَّقُونَ الْأَخْيَارُ وَيَتَّفِقُ لِمُرِيدِي الْحَجِّ مِنَ الْأَفَاقِ مَا يُؤْمَلُونَهُ مِنْهُ عَلَيَّ تَوْفِيرٍ عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَاتِّفَاقٍ،
وَ لَنَا فِي تَبْيِيرِ حَجَّهِمْ عَلَيَّ الْإِخْتِيَارِ مِنْهُمْ وَالْوَفَاقِ شَأْنٌ يَظْهَرُ عَلَيَّ نِظَامٌ وَاتِّسَاقٌ فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بِمَا يَقْرُبُ بِهِ مِنْ مَحَبَّتِنَا، وَيَتَجَنَّبُ
مَا يُؤْذِنِيهِ مِنْ كِرَاهَتِنَا وَسَخَطِنَا، فَإِنَّ أَمْرَنَا بَعْتَهُ فُجَاءَةً حِينَ لَا تَنْفَعُهُ تَوْبَهُ وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عِقَابِنَا نَدَمٌ عَلَيَّ حَوْبِهِ، وَاللَّهُ يُلْهِمُكُمْ الرُّشْدَ وَيَلْطَفُ
لَكُمْ فِي التَّوْفِيقِ بِرَحْمَتِهِ.

نُسَخَهُ التَّوْفِيقِ بِالْيَدِ الْعُلْيَا عَلَيَّ صَاحِبِهَا السَّلَامِ

رسالة ثانية للشيخ المفيد

رسالة ثانية للشيخ المفيد (1)

من عبدالله المرابط في سبيله إلي ملهم الحق و دليله (2).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّاصِرُ لِلْحَقِّ ، الدَّاعِي إِلَيْهِ بِكَلِمَةِ الصِّدْقِ .

فَإِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إلهنا وإله آبائنا الأولين ، ونسأله الصلاة وسدِّدنا ومولانا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَعَلَيَّ أَهْلَ بَيْتِهِ
الطَّاهِرِينَ .

وَبَعْدُ ، فَقَدْ كُنَّا نَنْظُرُنا مُنَاجَاتِكَ عَصَمَكَ اللَّهُ بِالسَّبَبِ الَّذِي وَهَبَهُ اللَّهُ لَكَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ، وَحَرَسَكَ بِهِ مِنْ كَيْدِ أَعْدَائِهِ ، وَشَفَعْنَا ذَلِكَ (3) الْآنَ مِنْ
مُسْتَقَرِّ لَنَا يُنْصَبُ فِي شِمْرَاخٍ ، مِنْ بَهْمَاءَ (4) صِرْنَا إِلَيْهِ أَنْفَاءً مِنْ غَمَالِيلَ (5) ، أَلْجَأْنَا إِلَيْهِ السَّبَارِيثُ (6) مِنَ الْإِيمَانِ (7) ، وَيُوشِكُ أَنْ

ص: 288

1- الاحتجاج، ج 2، ص 324 - 325.

2- الإمام يقصد نفسه من (عبدالله المرابط في سبيله) كما يقصد المفيد من (ملهم الحق و دليله).

3- أي شفَعْنَا مُنَاجَاتِكَ ، فدَعَمْنَاها من الموقع الَّذِي نحن فيه.

4- شِمْرَاخٍ: هو العذق عليه بسر أو عنب. رأس الجبل. أعالي السحاب. والبهماء: المشكلة المبهمة. الصحراء. وإذا فسَّرنا اليهماء بالصحراء
وفسَّرنا الشِمْرَاخِ بِرَأْسِ الْجَبَلِ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ الْإِمَامَ اخْتَارَ مَسْكَنَهُ فِي قِمَّةِ جَبَلٍ فِي صَحْرَاءٍ وَمِنْ هُنَاكَ دَعَمَ مُنَاجَاةَ الْمَفِيدِ.

5- الغماليل: الأمور المستورة المترابكة.

6- السباريت: المساكين.

7- وهذا النص قد يدل علي أن سلبات بعض الشيعة تنعكس علي الإمام فيضطر إلي تغيير بعض أوضاعه السكنية والاجتماعية.

يَكُونُ هُبُوطُنَا إِلَى ضَحْضَحٍ (1) مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مِنَ الدَّهْرِ وَلَا تَطَاوُلٍ مِنَ الزَّمَانِ ، وَيَأْتِيكَ نَبَأٌ مِمَّا يَتَجَدَّدُ لَنَا مِنْ حَالٍ (2) ، فَتَعْرِفُ بِذَلِكَ مَا يَعْتَمِدُ (نَعْتِمِدُهُ) مِنَ الرُّلْفَةِ إِلَيْنَا بِالْأَعْمَالِ ، وَاللَّهُ مُوَفِّقُكَ لِذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ .

فلتكن - حرسك الله بعينه التي لا- تمام - أن تقابل بذلك فتنة تُبْسِلُ نفوسَ قومٍ حرثت باطلاً لاسترهاب المبطلين (3) يتتهج لدمارها المؤمنون، ويحزن لذلك المجرمون.

و آية حركتنا من هذه اللوثة (4) حادثة بالحرم المعظم، من رجس منافق مذمم ستحلّ للدم المحرّم، يعمد بكيده أهل الإيمان، ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان، لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء (5) فلتطمئن بذلك من أولياتنا القلوب، وليتقوا بالكفاية منه وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة - بجميل صنع الله سبحانه - تكون حميدة ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب.

ص: 289

1- الضحضح: الماء اليسير.

2- وهذا النص يدلّ علي أنّ الشيخ المفيد سبقي علي اتصال بالإمام بعد تأريخ هذه الرسالة.

3- تبسل نفوس قوم: توردها الهلكة، واسترهاب المبطلين: تخويفهم، وربّما المعني أنّ جانبي الفتنة من أهل الباطل، فتترك دماراً يفرح به المؤمنون ويحزن المجرمون.

4- اللوثة - بالضم - الاسترخاء والبطؤ، ومنه (التأثت راحلته): أبطأت في سيرها، وفي الحديث (إنّ النفس قد تلتأت علي صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه) المعني قد تضطرب ولم تبعث مع صاحبها - مجمع البحرين. ولعل المقصود من (اللوثة): الغيبة، و من (حركتنا): الظهور، والحرم المعظم هو المسجد الحرام، فتكون حادثة المسجد الحرام من علامات الظهور.

5- الحوادث التي وقعت في المسجد الحرام عديدة، فلا نستطيع التأكّد من الحادثة التي يعنيها الإمام هنا.

ونحن نعهد إليك أيها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين أيّدك الله بنصره الذي أيّد به السلف من أوليائنا الصالحين: إنّه من اتقى ربّه من إخوانك في الدين، وأخرج ممّا عليه إلي مستحقّيه، كان آمناً في الفتنة المبطلّة، و محنها المظلمة المضلّة، و من بخل منهم بما أعاده الله من نعمته علي من أمره بصلته، فإنّه يكون خاسراً بذلك لأولاه و آخرته(1).

ولو أنّ أشياعنا وقّهم الله لطاعته علي اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لمّا تأخّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعبّلت لهم السعادة بمشاهدتنا علي حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحسبنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم(2) والله المستعان، و هو حسبنا ونعم الوكيل، وصلواته علي سيّدنا البشير النذير محمّد وآله الطاهرين وسلّم.

وكتب في غرّة شوّال من سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

نسخة التوقيع باليد العليا صلوات الله علي صاحبها

ص: 290

1- هذا النصّ عهد من الإمام المهدي(عليه السلام) بأنّ دفع الحقوق الشرعيّة ضماناً للأمن من المحنة في الدنيا والفتنة في الدين، وأنّ البخل بها يُعرّض الدنيا والآخرة للوبار. ولعلّ سبب تشديد الإمام المهدي في هذه الرسالة، وفي التوقيع الذي رواه أبو الحسن الأسدي، وفي أجوبته علي أسئلة الحميري وغيره: أنّ العنصر الاقتصادي أهمّ العناصر في استمرار الحركة الدينية - في غيبته - بعد العنصر البشري.

2- المعني الظاهر لهذه العبارة: أنّ عدم اجتماع قلوب الشيعة علي الوفاء بالعهد الذي أخذه الله عليهم هو الذي يؤدي إلي تأخير الظهور، ولو اجتمعت قلوب العدد الكافي منهم علي التضحية المخلصة في سبيل الله بما لا يقلّ عن ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً يظهر الإمام المهدي(عليه السلام)، ولكن عدم توقّر مثل هذا العدد حتّي الآن في المستوي المطلوب - هو الذي أدّي إلي بقاء الإمام المهدي(عليه السلام) رهن الغيبة. ويحتمل أن يكون المعني: أنّ مشاهدة الإمام علي حقّ المعرفة يتوقّف علي إخلاص القلب للوفاء بالعهد و طهارته من الذنوب.

هذا كتابنا إليك أيها الوليُّ المُلهِمُ للحقِّ العليِّ (1) بإملائنا وخطِّ ثقتنا، فأخفه عن كلِّ أحد، واطوه واجعل له نسخة عليها من تسكن إلي أمانته من أوليائنا، شملهم الله ببركاتنا إن شاء الله.

الحمد لله والصلاة على سيِّدنا محمَّد النبيِّ وآله الطاهرين.

دعاء الفرج

إلهي عَظُمَ البلاءُ وَبَرِحَ الخِفاءُ، وَانْكَشَفَ العِطاءُ، وَانْقَطَعَ الرَّجاءُ، وَضاقَتِ الأرضُ وَمُنِعَتِ السَّماءُ، وَأَنْتَ المُسْتَتَعانُ وَإِيكَ المُسْتَتَكِي وَعَلَيْكَ المُعَوَّلُ فِي السِّدَّةِ وَالرِّخاءِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَي مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أُولِي الْأَمْرِ الَّذِينَ فَرَضْتَ عَلَيْنَا طاعتَهُمْ وَعَرَفْتَنَا بِذَلِكَ مَنْزِلَتَهُمْ، فَفَرِّجْ عَنَّا بِحَقِّهِمْ فَرَجاً عاجِلاً قَرِيباً كَلِمَحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ. يا مُحَمَّدُ يا عَلِيُّ يا عَلِيُّ يا مُحَمَّدُ اكْفِيانِي فَانْكَمُا كافيانِ، وَانصُرانِي فَانْكَمُا ناصرانِ، يا مَوْلانا يا صاحِبَ الزَّمانِ، العَوْثُ العَوْثُ العَوْثُ، أَدْرِكْنِي أَدْرِكْنِي، السَّاعَةَ السَّاعَةَ السَّاعَةَ، العَجَلَ العَجَلَ العَجَلَ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ (2)

ص: 291

1- يظهر من هاتين الرسالتين مدي تعظيم الإمام المهدي (عليه السلام) للمخلصين من أوليائه. وقد كان دأب آبائه المهديين، كما قال ضرار لمعاوية ابن أبي سفيان - في وصف الإمام علي (عليه السلام): «... يعظم أهل الدين، ويحب المساكين».. ولعلَّ الإمام المهدي كان يؤدِّي عملاً تربوياً من خلال مدحه للشيخ المفيد، ليشعره بأنَّه في هذا المستوي فعليه أن يحرص علي أن يرتفع لا أن ينحدر، والتعظيم يصعد النابيين كما يعرّ التافهين.

2- مفاتيح الجنان، ص 112.

تدلّ الرسالتان اللتان صدرتا من الناحية المقدّسة علي مدّعي اهتمام الإمام المهدي (عليه السّلام) 3 بنوابه و شيعته وأنّه يتدخّل لحلّ معضلاتهم وتأييدهم وتسديدهم وتكامل مسيرتهم - إذا اقتضت المصلحة الإلهية ذلك.

والاهتمام بدعاء الفرج تعبیر آخر عن توجيههم الوجهة المطلوبة بتعجيل الفرج والانتظار المستمر حتي يتحقّق النصر الإلهي علي يديه.

الأسئلة

1. ما هي أهمّ المحاور في رسالة الإمام (عليه السّلام) الأولي للشيخ المفيد؟
2. ما هي أهمّ المحاور في رسالته الثانية؟
3. قارن بين موضوعات الرسالتين.
4. ما هي دلالة الرسالتين في مجال رعاية الإمام (عليه السّلام) للجماعة الصالحة؟
5. ما هي المفاهيم الأساسية التي جاءت في دعاء الفرج؟

الدرس 31: شرائط الظهور وعلاماته (1)

الظروف الموضوعية لانتهاء الغيبة الكبرى

إشارة

وفي هذا الموضوع يتم البحث في عدّة جهات:

الجهة الأولى

في الفرق بين شرائط الظهور وعلاماته:

فمن شرائط الظهور وجود العدد الكافي من المخلصين الممحصين الغزو العالم بالحق والهدي.

وسنعرف من علائم الظهور وجود الدجال والخسف وغيرها.

ويشترك هذان المفهومان - الشرائط والعلائم - بأنهما معاً ممّا يجب تحقّقه قبل الظهور، ولا يمكن أن يوجد قبل تحقّق كلّ الشرائط والعلامات. فان تحقّقه قبل ذلك، مستلزم لتحقّق المشروط قبل وجود شرطه أو الغاية قبل الوسيلة؛ كما أنّه مستلزم الكذب العلامات التي أحرز صدقها و توافرها.

فلا بد أن يوجد معاً قبل الظهور، خلال عصر الغيبة الكبرى. وبالرغم من نقاط الاشتراك هذه، فإنّ بينهما من نقاط الاختلاف ما لا بدّ لنا من بيانها بشكل يتّضح الفرق

ص: 293

بين المفهومين بشكل أساسي.

الفرق الأول: إنّ إناطة الظهور بالشرائط إناطة واقعية وبتمام تحقّقها يتحقّق الظهور. وهذا هو الفرق الأساسي المستفاد من نفس مفهوم اللفظين، الشرط والعلامة - فان معني الشرط في الفلسفة، ما كان له بالنتيجة علامة عليّة و سببيّة لزوميّة بحيث

يستحيل وجوده بدونه.

وهذا هو الذي نجده علي وجه التعيين في شرائط الظهور، فإننا سنري إنّ انعدام بعض الشرائط يقتضي انعدام الظهور أساساً بحيث لا يعقل تحقّقه، وانعدام بعضها الآخر يقتضي فشله و من ثمّ عدم إمكان نشر العدل الكامل المستهدف في التخطيط الإلهي الكبير. فلا بدّ أولاً من اجتماع الشرائط لكي يمكن تحقّق الظهور ونجاحه.

أمّا العلامة، فليس لها دخل سوي الدلالة والإعلام والكشف عن وقوع الظهور بعدها، ومثالها هيجان الطيور الدالّ علي وقوع المطر أو العاصفة بعده من دون إمكان أن يقال: إنّ العاصفة لا يمكن أن تقع بدون هيجان الطيور.

بل يمكن وقوعها، بطبيعة الحال، وإن كانت قد لا تنفك عن ذلك في كلّ عاصفة.

ومعه فتنبثق ضرورة وجود العلامة قبل الظهور، بصفتها دليلاً كاشفاً عن وقوعه لا بصفتها ذات ارتباط واقعي لزومي، كما كان الحال في شرائط الظهور.

نعم، ينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار، نقطة واحدة، وهي أنّ بعض العلامات، كوجود الدجّال، وقتل النفس الزكيّة، مربوطة ارتباطاً عضوياً بالشرائط.

بمعني أنّ هذه العلامات من مسبّبات ونتائج عصر الفتن والانحراف الذي هو سبب التمهيص الذي هو سبب إيجاد أحد شرائط الظهور.

الفرق الثاني: إنّ علامات الظهور عبارة عن عدّة أحداث، قد تكون مبعثرة، ولا بدّ من وجود ترابط واقعي بينها، سوي كونها سابقة علي الظهور، الأمر الذي برّر جعلها علامة للظهور في الأدلّة الإسلاميّة.

وأمّا شرائط الظهور، فلها - باعتبار التخطيط الإلهي الطويل - ترابط سببي و مسببي

واقعي، سواء نظرنا إلي ظرف وجودها قبل الظهور، أو نظرنا إلي ظرف إنتاجها قبل الظهور.

الفرق الثالث: إنّ العلامات قد لا تجتمع أصلاً في أيّ زمان بل يحدث أحدها وينتهي، ثم يبدأ الآخر في زمان متأخر.. وهكذا. كما أنّها قد تجتمع صدفةً أحياناً، فهي حوادث مبعثرة في الزمان كما أنّها مبعثرة بحسب الربط الواقعي.

وأما الشروط، فلا بدّ أن تجتمع في نهاية المطاف، فإنّها توجد تدريجاً، إلّا أنّ الشرط الذي يحدث يستمر في البقاء، ولا يمكن - في منطق التخطيط الإلهي - أن يزول، فعندما يحدث الشرط الآخر، يبقى مواكباً للشرط الأول، وهكذا تتجمع الشروط و تتجمع في نهاية المطاف، في اللحظة الأخيرة من عصر الغيبة.

الفرق الرابع: إن العلامات تحدث و تنفذ بأجمعها قبل الظهور. في حين أنّ الشروط لا توجد بشكل متكامل إلّا قبيل الظهور أو عند الظهور. ولا يمكن أن تنفذ، وإلّا لزم انفصال الشرط عن مشروطه و النتائج عن المقدمات، و هو مستحيل.

والسرّ في ذلك كما من في الفرق بين النتائج المتوخّاة من وراء كلا المفهومين. فإنّ العلامات بصفتها دلالات وكواشف عن الظهور، فإنّ وظيفتها سوف تنتهي عند حدوثه، ولا يبقى لها أي معنى بعده، وأما الشروط فحيث أنّها دخيلة في التسبّب إلي وجود يوم الظهور وإلي تحقّق النصر فيه.

الفرق الخامس: إنّ شرائط الظهور دخيلة في التخطيط الإلهي، ومأخوذة بنظر الاعتبار فيه؛ باعتبار توقّف اليوم الموعود عليه. بل إنّنا عرفنا: أنّ البشرية كلّها من أوّل ولادتها إلي يوم الظهور، كرّسها التخطيط الإلهي، لإيجاد يوم الظهور.

وأما العلامات، فليس لها أيّ دخل من هذا القبيل؛ بل كلّ إنتاجها هو إعلام المسلمين و تهيئة الذهنية عندهم لاستقبال يوم الظهور و جعلهم مسبوقين بحدوثه في المستقبل أو بقرب حدوثه.

الفرق السادس: إنّ علامات الظهور، يمكن الانتباه أو الفحص والتدقيق، والتأكّد

مما وجد منها وما لم يوجد، باعتبارها حوادث يمكن تحديدها، والإشارة إليها، و من هنا انبثقت دلالتها للمسلمين علي قرب الظهور.

وأما الشرائط، فقد قلنا إجمالاً أنه من المتعذر تماماً التأكد من اجتماعها.

وذلك، لأنّ منها: حصول العدد الكافي من المخلصين الممحصين في العالم، وهذا ممّا لا يكاد يمكن التأكد منه لأحد من الناس الاعتياديين.

الجهة الثانية

ونحن إذ نتكلم عن شرائط الظهور، إنّما نريد بها الشرائط التي يتوقف عليها تنفيذ اليوم الموعود، ونشر العدل الكامل في العالم كلّ فيه، و ذلك اليوم الذي يعتبر ظهور المهدي (عليه السلام) الركن الأساسي لوجوده، و من ثمّ يتحدّد ظهوره (عليه السلام) بنفس تلك الشرائط، بالرغم من أنّ فكرة الغيبة والظهور إذا لاحظناها مجردة، لن نجد لها منوطاً بغير إرادة الله عزّوجلّ مباشرة ولكنّ الله تعالى أراد أن يتحدّد الظهور بنفس هذه الشرائط، لأجل إنجاح اليوم الموعود. لأنّ المهدي (عليه السلام) مذكور لذلك، فيكون بين الأمرين ترابط عضوي وثيق.

وإذا نظرنا إلي هذا المستوي الشامل ارتفعت الشرائط إلي ثلاثة:

الشرط الأوّل: وجود الأطروحة العادلة الكاملة التي تمثّل العدل المحض الواقعي، والقابلة للتطبيق في كلّ الأمكنة والأزمنة، والتي تضمن للبشرية جمعاء السعادة والرفاه في العاجل، والكمال البشري المنشود في الآجل.

بدون مثل هذه الأطروحة يكون العدل الكامل منتفياً، وغير ممكن التطبيق.

وعليه فإنّ الهدف في الحقيقة هو تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة التي لا تحتوي علي ظلم أو نقص.

وأن تكون هذه الأطروحة ناجزة عند الظهور، إذن مع عدمها يومئذ، ينتفي التطبيق بانتفائها ويتعذر العدل المنشود في اليوم الموعود.

ولابدّ أن تكون هذه الأطروحة معروفة ولو بمعالمها الرئيسية قبل البدء بتطبيقها، لما عرفنا في الحديث عن التخطيط الإلهي من أنّ تطبيقها يتوقّف علي مرور الناس بخطّ طويل من التجربة والتمحيص عليها ليكونوا مُمرّتين علي تقبّلها وتطبيقها، ولا يفاجؤهم أمرها، ويهولهم مضمونها ويصعب عليهم امتثالها فيفسد أمرها ويتعذّر نجاحها كما هو واضح.

الشرط الثاني: وجود القائد المحنّك الكبير الذي له القابلية الكاملة لقيادة العالم كلّه ويتمّ الكلام حول هذا الشرط ضمن نقطتين:

النقطة الأولى: يرجع هذا الشرط بالتحليل إلي شرطين:

أحدهما: اشتراط وجود القائد للثورة العالمية، حيث لا يمكن تحقّقها من دون وجود قائد

ثانيهما: أن يكون لهذا القائد قابلية القيادة العالمية.

إلّا أنّنا يجب أن نلاحظ أنّ قيادة العالم و تطبيق الأطروحة الكاملة من الدقّة والأهميّة بحيث تفوق بأضعاف مضاعفة قيادة أيّ دولة في العالم مهما كانت واسعة وكبيرة. ومن هنا كان للرأي العام - لأجل أن يكون كاملاً وقابلاً لهذه القيادة - أن يكون كلّ فرد من مكّونه بالرغم من نقصانه، ذو درجة عليا من الوعي والشعور بالمسؤولية والتدقيق في الأمور، بحيث يحصل بانضمامه إلي غيره ذلك الرأي العام المتّفق عليه، القابل للقيادة، وهذه الصفة لم تصبح غالبية في الأفراد علي طول الخطّ التاريخي الطويل لعمر البشرية تجاه أيّ مبدأ من المبادئ فضلاً عن العدل الكامل، وفي دولة محدودة، فضلاً عن أفراد البشريّة في دولة عالميّة.

وهذا أمر وجداني يعيشه كلّ فرد منّا بالنسبة إلي ملاحظة أنحاء الفشل والاضطرار إلي التعديلات المتتالية في الدول والسياسات العامّة، مهما كانت قيادتها شخصية أو جماعية، ولم تنجح أي ديمقراطيّة جماعيّة لحدّ الآن من الخطأ والزلل، بل العمد في أكثر الأحيان. وعلي أيّ حال، يستحيل عليّ عصر الفتن والانحراف، أن يوجد رأياً

عاماً كاملاً عادلاً، يمكنه أن يقود العالم قيادة جماعية في اليوم الموعود.

الشرط الثالث: وجود الناصرين المؤازرين المنفذين بين يدي ذلك القائد الواحد ويتعيّن القول به، بعد نفي فرضيتين:

الفرضية الأولى: أن يفترض أنّ هذا الفرد الواحد، يغزو العالم بمفرده.

وهو واضح الامتناع والبطلان، مهما أوتي الفرد من كمال عقلي و جسمي، بعد التجاوز عن الفرضية الآتية، وهو ايجاد المعجزة من أجل تحقيق النصر.

الفرضية الثانية: إنّ هذا القائد يغزو العالم عن طريق المعجزة، ويتلخّص ذلك فيما يلي:

1. أنّه لو كانت الدعوة الإلهية علي طول التاريخ، قائمة علي إيجاد المعجزات من أجل النصر، لما وجد علي وجه الأرض منذ خلقت أيّ انحراف أو ضلال، ولما احتاج الأمر إلي قتال وجهاد، في حين أنّ الدعوة الإلهية قدّمت آلاف الأنبياء والعاملين بهديهم كشهداء في طريق الحقّ، بما فيهم الأئمّة المعصومون (عليهم السّلام).

2. إنّ الدعوة الإلهية علي طول الخط قد ارتكزت علي التربية الاختيارية للفرد والأئمّة، علي السواء.

وذلك، أنّه بعد أن وهب الله تعالي للإنسان السمع والبصر والفؤاد يعني العقل والاختيار، وهده النجدين: طريق الحقّ وطريق الباطل، وحملّه مسؤوليّة أعماله والأمانة الكبرى التي رفضت السماوات والأرض أن تحملها، وحملها الإنسان وبها تبدأ فكرة التمحيص.

ومن المعلوم أنّ الإيمان الممحصّ، ولو بشكله البسيط يكون أئمن و أرسخ من الإيمان القهري؛ فإنّه يتّصف بالضحالة والضعف وفي قلّة الاستجابات الصالحة المطلوبة من قبل الإنسان، وهذا الإيمان القهري يمكن أن ينتج من جوّ المعجزات.

إذن، فحيث تنتفي هاتان الفرضيتان، يتعيّن المطلوب، وهو احتياج القائد في تطبيق العدل علي العالم إلي الناصرين والمؤيدين لكي ينتشر الجهاد انتشاراً طبيعياً.

وتندرج في هذا الشرط، الصفات الأساسية التي يجب أن يتّصف بها هؤلاء المریدون، ليكون هذا الشرط في واقعه: وجود المؤيدين علي النحو المعين لا المؤيدين كيف كان.

وأهمّ ما يشترط في هؤلاء المؤيدين، شرطان متعاضدان، يكمل أحدهما الآخر، ويندرج تحتها سائر الأوصاف.

أحدهما: الوعي والشعور الحقيقي بأهمّية عدالة الهدف الذي يسعى إليه، والأطروحة التي يسعى إلى تطبيقها.

ثانيهما: الاستعداد للتضحية في سبيل هدفه، علي أي مستوى اقتضته مصلحة ذلك الهدف.

وبمقدار ما يوجد في نفس الفرد من هاتين الصفتين، يكون الفرد، قابلاً للعمل الاجتماعي والجهاد في سبيل الحقّ.

وبمقدار ما يفقد الفرد من هاتين الصفتين، يكون عاجزاً عن العمل والجهاد مهما كان مخلصاً في تديّنه ولكنّه كان منعزلاً عن المجتمع.

ومن هنا، استهدف التخطيط الإلهي، إيجاد التمحيص الذي يرّبي الأمة التريية التدريجيّة البطيئة نحو إيجاد هذين الشرطين، وتكاملهما في نفوس الأفراد بحيث يكونون قابلين لقيادة العالم، فيحقّقون هذا الشرط الثالث.

قد يقال بلزوم شرط رابع لتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة في اليوم الموعود، وهو وجود قواعد شعبية كافية ذات مستوي مطلوب من حيث الوعي والتضحية من أجل هذا التطبيق، لتكون هي رائده الأول في اليوم الموعود.

فإنّ المخلصين الممحصّين الذين يتوفّر فيهم الشرط الثالث، يمثّلون الطليعة الواعية الغزو العالم، وأمّا تطبيق الأطروحة فيحتاج إلى عدد أكبر من القواعد الشعبية الكافية ليكونوا هم المثلّ الصالحة لتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة في العالم.

يتأكد توفّر الشرط الثالث، باعتبار وضوح توفّر سائر الشروط في دعوته (عليه السّلام) ، وعدم وجود بوادر انخراطها إلا فيما يعود إلي هذا الشرط، فإنّ دعوته مبدئيّة ذات قيادة، وهو بشخصه القائد، ونلاحظ أمير المؤمنين (عليه السّلام) كان يعاني من توفّر الشرط الثالث، حيث نراه في العهد الأخير من خلافته يخاطب أصحابه بأنهم ملأوا قلبه قيحاً ويتمني إبدالهم بخير من صرف الدينار بالدرهم، وهذا راجع في حقيقته والتأسّف من ضعف الشرط الثالث يومئذ وعدم توفّره بالنحو المطلوب، للظروف التي كان يعيشها المجتمع يومئذ.

وحيثما تولّى الإمام الحسن (عليه السّلام) مركز الخلافة، والقيادة، وحاول مناجزة القتال للجهاز المنحرف الحاكم، تفرّق عنه جيشه، واستطاع معاوية شراء ضمائر قادة الإمام (عليه السّلام) واحداً بعد واحدٍ، حتّى لم يبقَ معه (عليه السّلام) من جيشه ناصر؛ فاضطرّ إلي الصلح مع معاوية، وهذا في واقعه، رجوع إلي المحافظة علي الدعوة المبدئيّة بعد انخراط الشرط الثالث، أو الرجوع إلي التقيّة بعد عدم وجود الناصرين المؤيدين ويأتي بعده دور الإمام الحسين بن علي (عليه السّلام) ، فتأتيه مئات الكتب من العراق، من الناصرين المؤيدين الثائرين علي الحكم الأموي المنحرف؛ فتتوفّر له الحجّة بوجود الناصر - أعني الشرط الثالث - بعد توفّر الشروط الأخرى، فيشعر بوجود قيامه بالدعوة الإلهية والثورة الطلب الاصلاح في أمة جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) كما قال هو (عليه السّلام) (1).

1. ويأتي دور الأئمة المعصومين (عليهم السّلام) المتأخّرين عن الإمام الحسين (عليه السّلام) فيبدأ عصر الهدنة، كما سُمّي بذلك من قبلهم (عليهم السّلام)، وذلك باعتبار عدم توفّر الشرط الثالث و انعدام الناصرين المخلصين أو قلّتهم عن المقدار الكافي للثورة.

ص: 300

ويُتّضح ذلك بجلاء من موقف الإمام الصادق (عليه السّلام) تجاه مبعوث الثورة الخراسانية إليه، الّذي كان يقول له بأنّ الثّائرين هناك من أصحابه و مؤيّديه فلماذا لا يقوم بالجهاد والمطالبة بحقّه في الحكم المباشر، قائلاً: يا بن رسول الله لكم الرّأفة والرحمة، وأنتم أهل بيت الإمامة، ما الّذي يمنعك أن يكون لك حقّ تقعد عنه، وأنّ تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف.

فقال له (عليه السّلام): اجلس يا خراساني رعي الله حقك، ثمّ قال: يا حنيفة أسجري التنور، فسجرتّه حتّي صار كالجمرة و ابيضّ علوه، ثمّ قال: يا خراساني! قم فاجلس في التنور. فقال الخراساني: ياسيدي يا ابن رسول الله لا تعدّني بالنار، أقلني أقالك الله، قال (عليه السّلام): أقلتك.

قال الراوي - وهو حاضر في ذلك المجلس - فبينما نحن كذلك، إذ أقبل هارون المكيّ، ونعله في سبّابته، فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله، فقال له الصادق (عليه السّلام): ألق نعلك من يدك واجلس في التنور، قال: فألقي النعل من سبّابته، ثمّ جلس في التنور. وبعد هنيئة التفت إليه الإمام (عليه السّلام)، وقال: كم تجد بخراسان مثل هذا؟ فقال: والله ولا واحداً. فقال: أما إنّنا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت(1).

ص: 301

1- بحار الأنوار، ج 11، ص 139 عن المناقب لابن شهر آشوب.

إنّ الحديث عن الظروف الموضوعية لانتهاء مرحلة الغيبة الكبرى وبده مرحلة أُخري - وهي ظهور الإمام (عليه السّلام) . يعني الحديث عن شروط وعلامات تواترت الروايات الكثيرة بذكرها تمهيداً لتربية الشخصية الإسلاميّة علي دلالاتها لتعيشها علي امتداد هذا التاريخ الذي تناولته المباحث المتعدّدة منتظرة ومتوقّعة لهذه المرحلة في كلّ آن حتّي اليوم الموعود.

ووفقاً لذلك لا بدّ من التعرّف علي المراد بالشروط و الفرق بينها وبين العلامات ليتّضح لنا المراد بها في تضاعيف البحث، ولفهم الروايات التي تضمّنتها.

فالشرط معناه ما كان له بالنتيجة شيء يدلّ عليه وسبببّة لزوميّة بحيث يستحيل وجوده بدونها، مثل وجود العدد الكافي من المخلصين الممحصين لنصرة الإمام (عليه السّلام).

وأما العلامة فليس لها سوي دلالة الإعلام والكشف عن وقوع الظهور بعدها، و من العلائم وجود الدجّال و الخسف بالبيداء و غيرها.

ثمّة فروق متعدّدة بين الشرط والعلامة تميّز بينهما.

1. ماذا نعني بشروط الظهور؟
2. ماذا يُقصد بعلامات الظهور؟
3. عدّد الفروق بين العلائم والشروط؟
4. ما هو الهدف من مرحلة الظهور؟
5. إذكر دور القائد في الثورة العالميّة؟ وما هي مواصفاته لهذه المهمّة؟
6. ماذا يتطلّب تحقّق وجود الناصرين المؤازرين بين يدي القائد من أجل إنجاح ثورته العالميّة.

إن الروايات التي تدلّ علي حدوث دلائل وعلامات معيّنة في مستقبل الزمان، علي ثلاثة أقسام: -

القسم الأوّل: يتعلّق بظهور المهدي (عليه السّلام) بنصّ الرواية، كما هو الحال في الأعمّ الأغلب من أخبار المصادر الإمامية، حيث كُتبت كلّها تقريباً لذلك وقلّ فيها التعرّض لعلامات الساعة التي تحدث بعد الظهور.

القسم الثاني: ما ورد مربوطاً بالساعة وقيام يوم القيامة، وهو الأعمّ الأغلب من أخبار المصادر العامّة، حيث لم يرتبط بظهور المهدي (عليه السّلام) منها إلا القليل نسبياً.

القسم الثالث: ما ورد مهملاً من الناحيتين السابقتين. بمعنى تكفّل الرواية لبيان حدوث الحادثة من دون أن يفهم منها ارتباطها بالظهور وقيام الساعة.

فما ورد مرتبطاً بالمهدي (عليه السّلام) بشكل مباشر أو غير مباشر، ممّا حدث أو لم يحدث، هو في حقيقته من علامات قيام الساعة أيضاً، باعتبار ما قلناه من أنّ مفهوم العلامة ليس إلا الحادثة التي جعلت منبهاً للناس عند حدوثها إلي حدوث ما يليها، وكاشفة عنه.

ومن المعلوم أنّ الحادثة المتقدّمة علي الظهور والكاشفة عنه كاشفة عن

قيام الساعة أيضاً.

إذن فمن الصحيح أن تنسب علامات الظهور إلي الساعة، وتجعل علامات عليها كما ورد بالفعل في العديد من الروايات.

وما ورد مرتبطاً بالساعة بشكل غير مباشر ولا قريب، يمكن لنا جعله علامة علي الظهور، بنفس اعتبار التقابل السابق.

وكذلك ما ورد مهملاً من الارتباط بالظهور والساعة، يمكن أن نجعله من علامات الظهور أيضاً.

ولا- يبقى من علامات الساعة الخاصة بها، إلا ما يقع قبل قيامها بقليل، بحسب الأخبار الدالة عليها، وفي مثله يتعين أن يكون واقعاً بعد الظهور أيضاً:

هناك عدّة قرائن تدلنا علي تقدّم الأعم الأغلب من الحوادث الواردة في الأخبار، متقدّمة علي الظهور، و تصلح أن تكون علامة عليه، وإن ورد في الأخبار مرتبطاً بقيام الساعة أو مهملاً عن الربط.

القرينة الأولى: وجود الدليل التاريخي علي وقوع الحادثة التي تنبأت بها الرواية. فإنّ معني ذلك تقدّمها علي العصر الحاضر وهو دليل علي تقدّمها علي الظهور أيضاً، ومثاله التنبؤ بهلاك الدولة العباسية.

القرينة الثانية: ارتباط الحادثة بعصر الفتن والانحراف، كوجود الكذابين والدجال، وقد علمنا تقدّم عصر الفتن علي الظهور، فيكون كلّ ما هو مرتبط بهذا العصر، متقدّم علي الظهور أيضاً.

فإن قال قائل: فكيف علمنا بتقدّم عصر الفتن علي الظهور، مع أنّ عدداً من الروايات السابقة الدالة علي انحراف الزمان، لم يكن مرتبطاً بظهور المهدي (عليه السلام) بحسب صراحته ومدلوله المباشر، وهو الأعم الأغلب من روايات العائمة، فكيف ثبت تقدّم عصر الفتن علي الظهور بشكل مطلق؟

قلنا: يمكن الجواب علي ذلك في مستويين:

ص: 305

المستوي الأول: إنَّ تقدّم عصر الفتن علي الظهور، أو عصر الظلم علي العدل من واضحات الإسلام، بل من واضحات كلِّ من يؤمن باليوم الموعود القاطع للظلم، من أهل الأديان، إذن كلُّ ما دلَّ علي وجود الانحراف، فهو خاص بما قبل الظهور.

المستوي الثاني: وجود عدد كبير من الروايات تربط الفتن والانحراف بما قبل الظهور بالصراحة والدلالة المباشرة، فتكون هذه الروايات قرينة علي أنّ المراد من الروايات الأخرى، نفس هذا المضمون أيضاً.

القرينة الثالثة: إنَّ الحادثة الواحدة، كالخسف بالبيداء، مثلاً، يتكرّر ذكرها في عدّة روايات، منها ما هو مرتبط بالساعة، ومنها ما هو مرتبط بالمهدي (عليه السلام)، ومنها ما هو مهمل. فيكون ما دلَّ علي ارتباطه بالمهدي (عليه السلام) أي علي تقدّمه علي ظهوره، قرينة علي باقي الروايات.

أمّا الروايات التي تذكر الحادثة مهملة عن الربط، فحملها واضح، لأنّه من باب حمل المطلق علي المقيد، فكانّ الأخبار المهملة ذكرت الحادثة مربوطة بعصر ما قبل الظهور أيضاً.

وأمّا الروايات التي تربط نفس الحادثة بقيام الساعة، وتجعلها من أماراتها فباعتبار أنّ هذا الارتباط يناسب البعد الزمني الكبير كما عرفنا، فيكون شاملاً لعصر ما قبل الظهور وما بعده.

القرينة الرابعة: قيام الدليل في كثير من الأحيان علي تقدّم الحادثة المعيّنة علي بعض الحوادث المتقدّمة علي الظهور أو المعاصرة له، فيكون ذلك الدليل بنفسه كافياً لإثبات وقوع تلك الحادثة المعيّنة قبل الظهور.

مثاله: ما ثبت في الروايات من تقدّم وجود الدجال علي نزول المسيح الذي هو بدوره معاصر مع الظهور، فيتعيّن أن يكون وجود الدجال متقدّماً علي الظهور، إلي غير ذلك من الأمثلة.

فبهذه القرائن ونحوها يثبت أنّ الأعمّ الأغلب ممّا رواه العامة من الحوادث حال

كونها منسوبة ومرتبطة بقيام الساعة، هي في واقعها من علامات الظهور.

إنّ هذه القرائن التي ذكرناها لا- تختصّ بتعيين زمن حدوث الحوادث بل تشمل بشكل وآخر، سائر الخصائص والتفاصيل المعطاة في الروايات، إذ يمكن علي الدوام جعل بعض الروايات قرينة علي بعض لاثبات شيء أو نفيه وخاصة بعد الالتزام بالتشدد السندي.

ويمكن أن ينظر إلي العلامات وانقسامها بالنسبة للظهور:

الأول: ما كان مندرجاً في التخطيط الإلهي وقريباً من الظهور كقتل النفس الزكية، لو ثبت دليل نقله.

الثاني: ما كان مندرجاً في هذا التخطيط وبعيداً عن عصر الظهور، كوجود دولة العباسيين والحروب الصليبية.

الثالث: ما كان أمراً تكوينياً قريباً من الظهور، كالكسوف والخسوف المشار إليه.

الرابع: ما كان أمراً تكوينياً بعيداً عن عصر الظهور، كالذي ورد في الأخبار من حصول الفيضانات ووجود أسراب الجراد وشحة الأمطار في عصر الغيبة الكبرى.

وتكون هذه العلامة مطابقة للقواعد الأولية، ولا بدّ من الالتزام بها سواء ورد ذكرها في الروايات أو لا. بعد أن تمّ البرهان علي وجود التخطيط الإلهي وصحّته، وهذه هي المزية الرئيسية لهذا الشكل من الروايات عن غيرها.

وأما بالنسبة إلي الحوادث التكوينية التي بشّرت الروايات بوقوعها قبل الظهور، ولو بزمن طويل. فالسرّ الأساسي في كشفها عن الظهور وكونها علامة عليه، هو أنّ النبي الأكرم (صلّي الله عليه وآله وسلّم) والأئمة الأطهار (عليهم السّلام) يختارون بعض الحوادث الكبرى الملفتة للنظر ممّا يعلمون وقوعها في المستقبل بالوحي أو بالإلهام فيخبرون بها مرتبطاً بالظهور، فيثبت بالقطع واليقين صدق الأخبار بالظهور وهذا هو معني كاشفيتها عن الظهور، وكونها علامة عليه.

وأما بالنسبة إلي الحوادث الكونية القريبة من الظهور، بحسب دلالة الأخبار، فالسرّ

الأساسي في دلالتها علي الظهور هو أنّ الله تعالى يوجد بعض الحوادث الكونية بشكل خاص لأجل أن تصبح علامة علي الظهور، لأجل إلفات نظر الناس إلي الظهور، وخاصة أولئك المخلصين الممحصّين الذين كانوا ولا زالوا ينتظرون الظهور.

مناقشة علامات الظهور

بعض الإشكالات التي قد ترد علي علامات الظهور ونذكر أهمّها:

الإشكال الأول: إنّ بعض العلامات المذكورة في الأخبار منضمّة للمعجزات وخوارق الطبيعة. وهي ممّا لا يمكن حدوثها، ومعه لا بدّ من الاختصار علي مايقع بشكل طبيعي من العلامات.

والجواب عن ذلك:

أنّ قانون المعجزات هو الحكم الفصل في ذلك. وبتطبيقه علي العلامات نعرف أنّ كلّ علامة كانت واردة بشكل منحصر في مقام إقامة الحجّة من قبل الله تعالى علي البشر، فهي ممكنة الوقوع بل ضرورية لا محالة، ومطابقة للقواعد العامة المبرهن علي صحتها في الإسلام.

وإن لم تكن العلامة المنقولة واقعة في هذا السبيل، لم تكن مطابقة للقاعدة ولزم رفض دليلها ما لم يكن قطعياً، وليس في الإسلام دليل قطعي يدلّ علي ذلك.

وإذا تصفّحنا العلامات، لم نجد منها ما هو قائم علي أساس إعجازي غير بعض الحوادث الكونية السابقة علي الظهور، كالخسوف والخسوف في غير أوانه والصبيحة.

الإشكال الثاني: إنّ كلّ علامات الظهور تتضمّن إخبار بالمستقبل، فكيف يمكن أن نتأكّد من صحتها، مع أنّه لا يمكن للبشر الاطلاع علي المستقبل.

والجواب علي ذلك:

إنّه لا يمكن الإخبار بالمستقبل إلا عن طريق التعليم من قبل علام الغيوب جلّ شأنه، إمّا بالوحي أو بما يمتّ إليه بصلة بواسطة أو بوسائط كما كانت عليه صفة

النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) والأئمة المعصومين من بعده، علي ما هو الثابت في عقيدة الإسلام.

إذن، فمادام المعصوم (عليه السلام) عارفاً بحدوث المستقبل، أمكنه الإخبار بها بطبيعة الحال.

ومعه، فليس علينا إلا أن ننظر إلي ما وَصَدَّ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ فَإِنْ كَانَتْ إِثْبَاتًا تَأْرِيخِيًّا كَافِيًّا لِلْعَلَامَةِ الْمَعْيَنَةِ، أَمَكْنَ الْأَخْذَ بِهِ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ. وإلا لزم رفضه لأنه غير كاف للإثبات، لا لكونه موضعاً للمناقشة في أساسه النظري.

الإشكال الثالث: إنَّ علامات الظهور، كما تكون منبّهة للمخلصين الممحصين المؤيدين للمهدي (عليه السلام)، فتُعَدُّهُمْ نَفْسِيًّا لِاسْتِقْبَالِهِ وَمُؤَاذَرَتِهِ، كَذَلِكَ تَكُونُ الْعَلَامَاتُ مِنْبَهَةً لِأَعْدَاءِ الْمَهْدِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَام) الَّذِينَ مِنَ الْمَحْتَمَلِ أَنْ يَعْدُوا الْعِدَّةَ ضَدَّهُ، وَخَاصَّةً إِذَا حَدَّثَتِ الْعَلَامَاتُ الْقَرِيبَةُ مِنَ الظُّهُورِ، فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، فَيَكُونُ هَذَا التَّنْبِيهِ ضَدَّ مَصْلَحَةِ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، كَمَا هُوَ وَاضِحٌ، فَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟!

والجواب علي هذا الإشكال يتم علي عدّة مستويات:

المستوي الأوّل: أننا إذا لاحظنا ما عليه البشر اليوم، بل علي مدي الخطّ التاريخي، وجدنا أنّ هذا الإشكال غير ذي موضوع بالنسبة إلي أيّ فرد منهم.

أمّا منكروا اليوم الموعود و منكروا وجود المهدي أساساً، باعتبار الاتجاه المادّي أو غيره، فهم بطبيعة الحال ينكرون علائم الظهور، جملة وتفصيلاً، ولا يعتبرون شيئاً من الحوادث كاشفاً عنه أو دالاً عليه. وهم في نهاية الشوط لا يتوقعون الظهور لكي يستعدوا ضده بعدة أو عدد.

وأما المعترفون باليوم الموعود من أهل الأديان المختلفة، فليس عندهم علامات له ولم يلتفتوا إلي أيّ تقديرات إليه أو كواشف عنه، و معه يكون حالهم في عدم توقّع الظهور حال منكريه.

ومثلهم من هذه الجهة، المسلمون المنحرفون الذين ساروا علي أساس مادّي أو مصلحي في انحرافاتهم في عصر الفتن والانحراف، ولا يبقى - بعد ذلك - إلا

المسلمون المخلصون الذين يعتقدون بالمهدي (عليه السلام) وينتظرون ظهوره، وهم علي إحاطة ذهنية كاملة بالعلامات فهم الذين تلفتهم الحوادث إلي يوم الظهور.

المستوي الثاني: إن هؤلاء المنحرفين أو الكافرين الذين يخشي من التفاتهم إلي علائم الظهور، لن يلتفتوا إليها، وإن عرفوا مجملًا أن هناك أخبارًا تدلّ علي ذلك.

إن هؤلاء حتي لو صادف أن أطلعوا علي بعض الأخبار الناقلة لعلامات الظهور أو سمعوها من الأفواه، فسوف لن يأخذوا منها محصلاً واضحاً أو دليلاً موثقاً، بعدما عرفنا من اكتنافها بالرمزية، وسيرها طبقاً لفهم الناس المعاصرين لعصور الصدور.

مضافاً إلي تحقيق السند و تدليل سائر المشكلات التي يحتاج تدليلها إلي فهم مترابط متكامل، و هو ممّا يفقده الأعم الأغلب من البشر وحيث لا يفهم الفرد المراد، لم يستطع تطبيق العلامة المخبر عنها.

الخلاصة

تنقسم العلامات المستقبلية إلي علامات ما قبل الظهور وعلامات الظهور وعلامات قيام الساعة (ما بعد الظهور).

و لقرب مقام الساعة من الظهور إذا ما قيس إلي تاريخ ما قبل الظهور تكون علائم قيام الساعة علائم للظهور أيضاً.

و هناك إشكالات قد ورد عليها علامات الظهور ولكن بالإمكان الإجابة

عنها كما جاء في نصّ البحث.

في الحوادث التي دلتنا التاريخ علي حدوثها

إنّ النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أو أحد الأئمة (عليه السّلام) حين يخبر بوقوع بعض الحوادث قبل وقوعها، مرتبطة

بالمهدي (عليه السّلام) أو غير مرتبطة به، فتحدث هذه الحوادث فعلاً. فنجدها ونحن في العصر المتأخّر، وقد حدثت وانتهت وسمعنا التنبؤ بوقوعها أيضاً. وحينئذٍ - فأكبر القرائن علي صدق هذه الروايات هو حدوث الأمور التي أخبرت بحدوثها. ما لم يقد دليل خارجي علي عدم صحّتها في بعض الأحيان.

ومن الطريف أنّ بعض التنبؤات قد قالها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وسجّلها أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) في مصادرهم، قبل حدوث الحادثة المطلوبة، ثمّ حدثت الحادثة فعلاً باليقين.

وما دلّ الدليل علي حدوثه ممّا ورد التنبؤ بحدوثه عدّة أمور:

الأمر الأوّل: اخبار النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بانحراف القيادة الإسلاميّة بعده.

قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال، قلوبهم قلوب الشياطين، في جثمان إنس.

وأخرج الصّحاح الأخرى - الترمذي وابن ماجّة وأحمد والحاكم - مثل ذلك.

الأمر الثاني: اخبار النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أو أحد الأئمة (عليهم السّلام) عن شؤون دولة بني العبّاس.

فمن ذلك: ما رواه النعماني في غيبته، عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، إِنَّهُ التَفَتَ إِلَى الْعَبَّاسِ فَقَالَ:

يَاعِمُّ أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَا خَبَّرَنِي بِهِ جِبْرَائِيلُ؟ فَقَالَ: بَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ لِي: وَيَلِ الذَّرِيَّتِكَ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ. فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُجْتَنَّبُ النِّسَاءَ، فَقَالَ: قَدْ فَرَّغَ اللَّهُ مِمَّا هُوَ كَاتِنٌ.

ودولة بني العباس، واضحة للعيان في التاريخ، وما وقع بينها وبين أولاد علي وفاطمة (عليهما السلام) - أولاد النبي عليه وعليهم الصلاة والسلام - من الخلاف وما ذاقوه من بني العباس من التشريد والمطاردة والتعسف، أوضح من أن يذكر وأشهر من أن يسطر، كما أن ثورات العلويين عليهم التي تعدّ بالعشرات خلال تاريخهم الطويل، معروف موصوف.

وكالخبر الذي ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث أنه قال: ثم يملك بنو العباس فلا يزالون في عنفوان من الملك و غضارة من العيش، حتي يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم(1).

ودولة العباسيين أسست بعد وفاة الإمام الباقر (عليه السلام) بثمانية عشر عاماً حيث توفي (عليه السلام) سنة 114هـ وتولي أبو العباس السفاح، أول ملوك بني العباس سنة 132هـ.

وقد بدأ نجمهم بالأفول عند سيطرة الأتراك علي الحكم ثم انعزلوا تماماً عن المشاركة الفعلية في الحكم في عصر البويهيين وعصر السلاجقة. حتي إذا لم يبق للخلافة أي هبة أو قيادة و تضارب المجتمع المسلم في داخله أصبح طعمة سائغة لهجمات التتار بقيادة هولاكو المغولي، حيث سقط آخر خلفائهم عبدالله المستعصم بالله سنة 656هـ(2).

كما ورد التنبؤ باختلاف أهل المشرق والمغرب، كالذي ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام)

ص: 312

1- غيبة النعماني، ص 139.

2- دليل خارطة بغداد، ص 277.

أيضاً في نفس الحديث حيث قال: «واختلف أهل المشرق والمغرب».

التنبؤ بثورة صاحب الزنج

أخرج الصدوق في الإكمال(1) عن ابن عباس عن رسول الله عن الله عزّوجلّ في بعض كلامه مع رسوله في المعراج، حيث جعل ذلك من علامات الظهور فقال:

«و خراب البصرة علي يد رجل من ذرّيّتك يتبعه الزنوج».

وقال في الإرشاد(2): «وقد جاءت الآثار بذكر علامات الزمان قيام القائم المهدي(عليه السلام) وعدد عدداً كبيراً منها، إلي أن قال: «و خروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم مواليهم».

وكل ذلك ممّا حدث بالفعل علي يد صاحب الزنج.

اسمه علي بن محمّد، زعم أنّه علوي، ولم يكن علي ما يذكر التاريخ - كذلك، فإنّ نسبه في عبد قيس و أمّه من بني أسد بن خزيمه.

وعلي أي حال فرواية الصدوق تؤيد كونه علويّاً، علي حين نجد الإمام العسكري برواية ابن شهر آشوب(3)، ينفي ذلك ويقول: «و صاحب الزنج ليس ممّا أهل البيت».

إخبار النبي (صلي الله عليه وآله وسلّم) بوقوع الحروب الصليبية

وذلك: فيما أخرجه أبو داود وابن ماجه في صحيحيهما بألفاظ متقاربة عن النبي (صلي الله عليه وآله وسلّم)، واللفظ لأبي داود:

«ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدوّاً من ورائكم فتُنصرون

ص: 313

1- إكمال الدين، ج 1، ص 251 - 252.

2- الإرشاد، ص 337.

3- المناقب، ج 3، ص 529.

و تغنمون و تسلمون، ثم ترجعون حتي تنزلوا بمرج ذي تلول. فيرجع رجل من أهل الصليب. فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيدقّه، فعند ذلك تغدر الروم و تجتمع للملحمة» .

وأضاف أبوداود بسند آخر: «و يثور المسلمون إلي أسلحتهم، فيقتلون، فيكرّم الله تلك العصابة بالشهادة».

وأما ابن ماجة فأضاف إلي الحديث الأوّل بسند ثان:

«فيأتون تحت ثمانين، تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفاً».

وهذا الحديث الشريف مطابق كلّ المطابقة مع فترة التأريخ الإسلامي.

وقد قلنا: إنّ أوّل دليل علي صحّة الأخبار وقوع ما أخبر به، وهذا الحديث من أوضح مصاديق ذلك، لأنّ مضمونه واقع في التأريخ بالقطع واليقين.

وإنّ هذا الحديث الشريف لا يحتمل فيه ذلك لأنّه صدر عن النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) في صدر الإسلام.

ومن هنا يمكن أن يعتبر ذلك من المعجزات التي تؤيد عقيدة الإسلام، وصدق كلام النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) ، وأنّه لا ينطق عن الهوي إن هو إلاّ وحيّ يوحى. فضلاً عن إسنادها لفكرة وجود المهدي (عليه السّلام) .

ولعلّ أوضح الحوادث صراحة في ذلك ما حدث سنة 375 هـ علي ما يحدثنا التأريخ (1). من أنّه وقع اختلاف بين ملوك الروم مع بعضهم فاستنجد بعض منهم بملوك الإسلام وذلك البعض هو «ورد» الرومي، وكان من أكابر رؤسائهم وقواد جيوشهم و عظماء بطارقتهم فطمع في الملك و لا قدرة له علي قتال المتنازعين، فكاتب أباتغلب بن حمدان أمير حلب والموصل نيابة عن الخليفة، واستنجد به وصاهره، فأجابه ابن حمدان و استجاش بالمسلمين من الثغور فحصل له جيش ضخم، فقصد قتال الروم

ص: 314

بذلك الجيش فأخرجوا له جيشاً بعد جيش وهو يهزمهم، فقوي جنانه فقصده القسطنطينية، ومع تلك الجيوش «ورد» الرومي الطالب التملك القسطنطينية.

فانظر كيف اتفق هذا الحمداني والرومي علي حرب بقية الروم وانتصرا عليهم، كما قال النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)، وإن لم يدم هذا النصر طويلاً، فإنه حين أراد فتح مدينة القسطنطينية جمعوا له جيوشاً كثيرة وقاتلوه قتالاً شديداً حتى انهزم(1).

فتح القسطنطينية

أخرج مسلم: أن رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) قال:

«لا تقوم الساعة حتي ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، إلي أن يقول: فيفتحون القسطنطينية».

وهذا ما تحقّق فعلاً، بعد عدّة قرون من تسجيله في المصادر الحديثية فضلاً عن زمن التنبؤ به من قبل النبي (صلي الله عليه وآله وسلم). فيكون من هذه الناحية كما قلنا في التنبؤ بالحروب الصليبية علي مستوى المعجزات.

وأما المهدي (عليه السلام) فسوف يفتحها مرةً أخرى إلا أنه سوف يأخذها من المسلمين المنحرفين كما يأخذ سائر البلاد الإسلامية وغيرها.

وإنما ذكرت في الأخبار لأهميتها الجغرافية و استراتيجيتها العسكرية.

علامات أخرى متحققة

أولاً: مقتل الحسيني.

ثانياً: اختلاف بني العباس في الملك الدنيوي.

ثالثاً: إقبال رايات سود من قبل خراسان.

ص: 315

رابعاً: ظهور المغربي بمصر وتملكه الشامات.

خامساً: نزول الترك الجزيرة.

سادساً: نزول الروم بالرملة.

سابعاً: خلع العرب أعتها وتملكها البلاد، وخروجها عن سلطان العجم.

ثامناً: ثبت في الفرات، حتى يدخل الماء أذقة الكوفة.

تاسعاً: عقد الجسر بما يلي الكرخ بمدينة بغداد.

عاشراً: اختلاف صنفين من العجم، وسفك دماء كثيرة فيما بينهم.

ص: 316

إن الروايات التي تُحدِّثنا عن علامات الظهر كانت علي أوجه ثلاثة منها ما تحدّث أو ارتبط بظهور الإمام (عليه السّلام)، في حين أنّ الوجه الآخر كان يتضمّن ما هو مرتبط بقيام الساعة وإشراطها، كما أن بعض الروايات كانت تحمل التنبؤ بحدوث الحادثة والعلامة دون أن تظهر متعلّقة بالساعة أو بالظهر، ويمكن أن تحمل الأوجه الثلاثة علي بعضها، لأنّ الحادثة المتقدّمة علي الظهر والكاشفة عنه تكون أيضاً كاشفة عن قيام الساعة كما يمكن أن تحمل أو توجّه العلامات التي تضمّنت الكشف عن يوم القيامة علي الظهر، كما يمكن أن تحمل تلك العلامات التي لم يراد بها ذكر الظهر أو الساعة علي الظهر، فالظهر قطعاً قبل الساعة من أشراطها وكثيرة هي الروايات التي أشارت إلي حصوله وحدوثه ولو بيوم قبل الساعة.

إنّ الحوادث التي تضمّنتها الروايات منها ما تحقّق وحدث فعلاً ومنها متوقّع الحدوث، فمنها ما كان لسانه يتحدّث عن قيام دولة بني العبّاس وقبلها الدولة الأموية، وحوادث أخري في شرق الأرض وغربها، ولا يغفل في كلّ هذا أنّ الدور الأكبر في تحقّق هذه العلامات و ترابطها يعود إلي المخطّط الإلهي المتعلّق باليوم الموعود و ظهور الإمام (عليه السّلام) لإقامة دولة الحقّ.

1. ماذا يُقصد بالعلامة وما هو دورها في الدلالة علي ظهور الإمام (عليه السلام)؟
2. ما هي أقسام الروايات التي تحدّثت عن علائم الظهور؟
3. كيف يمكن حمل تلك الأقسام علي بعضها فتكون علائم للظهور؟
4. هل تحقّقت بعض علائم الظهور التي تضمّنتها الروايات؟
5. اذكر بعض القرائن التي تساعد علي حمل روايات الفتن والانحراف علي أنّها مرتبطة بالظهور؟
6. كيف ينظر إلي العلامات وانقسامها بالنسبة للظهور؟
7. ما هي الإشكالات الواردة علي علائم الظهور؟ وكيف تجيب عنها؟

إشارة

إنّ دولة الإمام المنتظر (عليه السّلام)، هي دولة الإسلام، تلك الدولة التي تتجسّد فيها تطبيقات التشريع الإسلاميّ كاملة عادلة، وفي مختلف مجالات الحياة، لدى الفرد والأسرة، والمجتمع، والدولة.

والتي تمثّلت في حكم نبيّنا محمّد (صليّ الله عليه وآله وسلّم)، حينما أقام الدولة الإسلاميّة الأولى في المدينة المنورة.

وهنا قد يتساءل: إنّ الظروف الزمانية والمكانية التي عاشتها دولة النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) وأحاطت بها، ولاستها، ربّما

اختلفت مع ظروف دولة الإمام المنتظر (عليه السّلام)، وهذا قد يستدعي شيئاً من الاختلاف بين الدولتين؟

وهو تساؤل ينطوي علي قدر من الوجاهة، وبخاصّة وأنّ التشريع الإسلاميّ المدوّن لم يحتو في الكثير من أنظّمته علي التفاصيل الوافية في بيان رسائل وأساليب التطبيقات للأحكام التشريعيّة في مجال الدولة، ولم يتضمّن في كثير من موادّه - دستوريّة ونظاميّة - إلا الأحكام الكلّيّة والخطوط العامّة.

وإنّ الحياة قد قفزت في تطوّراتها المدنيّة قفزات هائلة وبعيدة، عادت معها تلکم

إنه تساؤل وجيه لما تقدّم، غير أننا متي أدركنا أنّ للإمام المعصوم الكشف عن الأحكام الشرعية الإلهية الواقعية كالنبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم)، وليست المسألة لديه مسألة اجتهاد قد يصيب الواقع وقد يخطيء، وإنّما هي مسألة إدراك الأحكام الشرعية بواقعها (1) ولعلّه إليّ هذا تشير الأحاديث المتضمنة دعوة الإمام المنتظر (عليه السّلام) الناس إليّ إسلام جديد، وهديهم إليّ أمر قد دثر فضلّ عنه الجمهور (2). ويؤيّد ما اشتهر عن النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم): أنّ الإسلام سيعود غريباً كما جاء غريباً (3).

إنّنا حينما ندرك ذلك لا يبقى لدينا أيّ مجال الأمثال هذا التساؤل، عليّ أنّ الوسائل والأساليب خاصّة، هي موضوعات والموضوعات تختلف تبعاً لتطوّر الحضارة والمدنية، فتتغيّر الأحكام وفقاً لتغيّر الموضوعات، وتغيّر الحكم تبعاً لتغيّر الموضوع شيء طبيعيّ في كلّ تشريع إسلامي أو غير إسلامي.

نعم، هناك فرق واحد بين دولة النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) ودولة حفيده الإمام المنتظر (عليه السّلام) يرجع إليّ طبيعة الظروف أيضاً ومساعدتها في إعداد الأجواء الكافية للتطبيق، وهو اتساع نفوذ الدولة السياسيّ.

ففي دولة النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) لم يتّسع نفوذها السياسيّ اتّساعاً يشمل كلّ العالم، وإن كانت دولة النبي (صليّ الله عليه وآله وسلّم) عالمية في أهمّ خصائصها إلّا أنّ الأجواء الاجتماعيّة والسياسية آنذاك لم تؤتتها ظروفها لتحقيق عالميتها.

عالمية النفوذ السياسي

إشارة

أمّا دولة الإمام المنتظر (عليه السّلام)، فالذي نقرأه في الأحاديث التنبؤيّة عن

ص: 320

1- أصول الفقه المقارن، محمّد تقي الحكيم، ص 184.

2- في انتظار الإمام، عبدالهادي الفضلي، ص 22 وما بعدها.

3- إكمال الدين، ص 64.

المعصومين (عليهم السّلام) ، أنّ نفوذها السياسي سيشمل العالم كلّهُ، تحقيقاً لوعده الله تعالى بعالمية الإسلام في أمثال الآيات الكريمة التالية:

1. «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» (1)

2. «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَكَامًا يَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا آسَرْنَا كَيْفَ نَشَاءُ وَلَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» (2)

3. «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (3)

وفي الحديث المروي عن الإمام الصادق (عليه السّلام) عن أبيه الإمام الباقر (عليه السّلام): «لم يجيء تأويل هذه الآية يعني قوله تعالى: « وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً» (4) ولو قد قام قائمنا سيري من يدركه ما يكون تأويل هذه الآية وليبلغن دين محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) ما بلغ الليل» .

وعن الإمام الصادق (عليه السّلام) أيضاً: «إذا قام القائم المهدي لا تبقى أرض إلا نودي فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله» .

وليست عالمية النفوذ السياسي هي وحدها أبرز معالم دولة الإمام المنتظر (عليه السّلام) فهناك من خصائصها ومعالمها البارزة، غير هذا، ممّا سنلاحظه في النصوص التنبؤية الواردة عن المعصومين (عليهم السّلام).

وربّما كان أهمّها ما يأتي:

ص: 321

1- الأنبياء / 105.

2- النور / 55.

3- التوبة / 33.

4- التوبة / 36.

1. عالمية العقيدة الإسلامية (عقيدة التوحيد) وعمومها للمجموعة البشرية في العالم أجمع وتطهير الأرض من كل عقائد الشرك والكفر والضلال والنفاق.

أ- عن محمد بن مسلم قال: قلت للباقر (عليه السلام): ما تأويل قوله تعالى في الأنفال «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ»؟

قال: لم يجيء تأويل هذه الآية، فإذا جاء تأويلها يقتل المشركون، حتى يوحّدوا الله - عزّ وجلّ - وحتى لا يكون شرك، وذلك في قيام قائمنا.

ب - عن رفاعة بن موسى قال: سمعت جعفر الصادق (عليه السلام) يقول في قوله تعالى: «وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا» قال: إذا قام القائم المهدي لا تبقي أرض إلا نودي فيها شهادة: أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله.

ج - عن عمران بن ميثم عن عباية: أنه سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»، أظهِرَ بعد ذلك؟

قالوا: نعم.

قال: كلا، فوالذي نفسي بيده، حتى لا تبقي قرية إلا وينادي فيها بشهادة: أن لا إله إلا الله، بكرةً وعشياً.

2. تنعم الأمة الإسلامية في زمنه (عليه السلام)

أ- عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: تنعم أمتي في زمن المهدي (عليه السلام) نعمة لم يتنعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدراراً ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته، والمال كدوس يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني: فيقول: خذ(1).

ب - إذا قام القائم (عليه السلام) حكم بالعدل، وارتفع أيامه الجور، وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، ورد كل حق إلى أهله ولم يبق أهل دين حتى يظهرها

ص: 322

1- الهيثمي، مجمع الزوائد، ج 7، ص 317؛ مستدرک الصحيحين، ج 4، ص 558.

الإسلام، ويعترفوا بالإيمان.

أما سمعت الله - سبحانه - يقول: « وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ».

وحكم بين الناس بحكم داود (عليه السلام) حكم محمد (صلي الله عليه وآله وسلم).

فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته، ولا برّه، لشمول الغني جميع المؤمنين.

ج - يقاتلون حتى يوحد الله، ولا يشرك به شيئاً، وتخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب لا يؤذيها أحد، ويخرج الله من الأرض نباتها، وينزل من السماء قطرها.

د. إذا قام قائمنا قشم بالسوية، وعدل في الرعية، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصي الله.

3. انتشار الثقافة والعلم

روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث له:

«و توتون الحكمة في زمانه، حتى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم)».

4. وحدة سيرة الإمام والنبى

أ- عن عبدالله بن عطاء المكي عن شيخ من الفقهاء (يعني أبا عبد الله الصادق (عليه السلام)) قال: سألته عن سيرة المهدي: كيف سيرته؟

فقال: يصنع كما صنع رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً.

ب - عن عبدالله بن عطاء قال: سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام)، فقلت: إذا قام القائم بأبي

سيرة يسير في الناس؟

فقال: يهدم ما قبله كما صنع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ويستأنف الإسلام جديداً.

ج - وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر الباقر (عليه السَّلام) يقول: في صاحب هذا الأمر شبه من أربعة أنبياء: شبه من موسى، وشبه من

عيسي وشبه من يوسف، وشبه من

محمّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

فقلت: ما شبه موسى؟

قال: خائف يترقّب.

قلت: وما شبه عيسي؟

فقال: يقال فيه ما قيل في عيسي.

قلت: فما شبه يوسف؟

قال: السجن والغيبة.

قلت: وما شبه محمّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)؟

قال: إذا قام سار بسيرة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إلا أنه يبين آثار محمّد.

د- وفي حديث عبدالله بن عطا مع الباقر (عليه السَّلام)؟ قلت: بما يسير؟

قال: بما سار به رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) هدر ما قبله واستقبل (1).

5. أصحاب الإمام المهدي (عليه السَّلام)

أمّا أصحاب الإمام المنتظر (عليه السَّلام) فهم من خيار البشر في تقواهم وورعهم وتحرجهم في الدين، ونلمح- بإيجاز إلي بعض شؤونهم:

أ- روي محمّد بن الحنفية، أنّ رجلاً سأل الإمام أمير المؤمنين (عليه السَّلام) عن الإمام المهدي، فقال (عليه السَّلام) يخرج في آخر الزمان، ثمّ ذكر الإمام أوصاف أصحابه، فقال:

ص: 324

«فيجمع الله تعالى له قوماً فزع كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون إلي أحد، ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم»(1).

ومعني هذا الحديث أنهم علي بصيرة من أمرهم، وبيّنة من ربّهم، فلا يفرحون بمن التحق بهم، ولا يستوحشون بمن خرج منهم، قد أّلف الله بين قلوبهم، واطرعت نفوسهم بالإيمان وحبّ الله، والتفاني في خدمة الإسلام، والذبّ عن قيمه وأهدافه.

ب - من كلام للإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) في وصفهم جاء فيه:

«قوم لم يمتوا علي الله بالصبر، ولم يستعصموا بذل أنفسهم في الحقّ، حتّي إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء، حملوا بصائرهم علي أسيافهم ودانوا لربّهم بأمر واعظهم»(2).

و حفل كلام الإمام بأروع آيات المدح والثناء لأصحاب المنتظر (عليه السّلام)، دعاة الحقّ، وأنصار الإسلام، وحملة القرآن.

ج - قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) في وصفهم

«يجاهدون في الله قوم أذلة عند المتكبرين في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون»(3).

وهؤلاء الصفوة من المتّقين الأخيار، هم أصحاب الإمام المنتظر (عليه السّلام) وولاية أموره، ووزرائه الذين يقيمون معه الحقّ، ويؤسسون العدل، ويدمرون قلاع الظلم والجور.

أمّا أصحاب الإمام الذين يبايعونه فهم كعدد أصحاب (بدر).

روي عبدالله بن سنان عن الإمام الصادق (عليه السّلام)، أنّه قال: «المفقودون من فرشهم « أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ »، وهم أصحاب المهدي»(4).

ص: 325

1- مستدرك الحاكم، ج 4، ص 554.

2- القندوزي، ينابيع المودّة، ص 437.

3- المصدر السابق.

4- منتخب الأثر، ص 476.

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) :

«والله إني لأعرفهم - أي أصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) . وأعرف أسماءهم وقبائلهم، واسم أميرهم، وهم قوم يحملهم الله كيف شاء من القبيلة الرجل والرجلين حتى بلغ تسعة فيوافون من الآفاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل (بدر). وهو قول الله: « أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » حتى أنّ الرجل ليحتبي فلا يحلّ حبوته حتى يبلغه الله في ذلك»(1).

الخلاصة

إنّ البحث في موضوع دولة الإمام المهدي (عليه السلام) وخصائصها وما تكون عليه بعد ظهوره (عليه السلام) وكيفية تعامله مع الأمة الإسلامية وأهل الأديان يرتكز دون ريب علي الروايات التي وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و الأئمة (عليهم السلام)، فليست هي إذن مورد لتكهن واستطراد الاحتمالات بناءً علي الخيال العقلي غير المستند إلي دليل.

ووفقاً لذلك وعلي ضوء الأحاديث والأخبار التي تحدّثت عن ظهوره ومدّة حكمه وما يكون في تلك المرحلة من حياة البشريّة، فقد ركّزت تلك الأحاديث علي مكان ظهوره، والبيعة له، وذكرت يوم خروجه، وأنصاره، وما يتمّ عليه من خير عميم وفتح أقطار المعمورة حتى تعلو كلمة الله في كلّ بلد وقرية كما هو حال كثير من الروايات.

ص: 326

1. ماذا تقصد بدولة الإمام المهدي (عليه السلام) وكيف يمثّل لها؟
2. ما هو المرتكز من الأدلة في بحث دولة الإمام المهدي (عليه السلام) وما يتفرّع عليها؟
3. ما هي خصائص دولة الإمام المهدي (عليه السلام)؟
4. عدّد الأوجه التي ركّزت عليها الأحاديث الشريفة بخصوص ظهور الإمام (عليه السلام) وإقامة الدولة؟
5. عدّد بعض خصائص أصحاب الإمام المهدي (عليه السلام).
6. اذكر عدد أصحاب الإمام (عليه السلام) واستشهد بحديث يؤيد ذلك؟

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

